

تأليفُ

عبدِالمجيدِ بنِ عَزيزٍ الزنداني

بمساعدة مجموعة الإيمان بجامعة الإيمان

صالح بن أحمد الوعيل
عبدالله بن علي الجودة
صالح بن عبدالقوي السنباني
عبداللطيف بن أحمد الهجرة
عبدالملك عبدالرزاق اليوسفي
عبدالرحمن بن يحيى الغميري
حسن بن عبدالله النهاري
عادل بن حسن الدميني
علي بن محمد البهجي
هاني بن عبدالله العزي
عبدالله بن أحمد عابد
صالح بن مسعود أبو ركب
خالد بن صالح البصلاني

اشترك في المساعدة : عبدالواحد بن عبدالله الخميسي و محمد بن حسن الملحاني

الإيمـــان

تأليف

عبدالمجيد الزنداني

و

عبدالله الوظاف – أحمد سلامـــه

فيصل عبدالعزيز – حزام البهلولي

توحيد عبدالحميد

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة العدل
المحكمة الاستئنافية العليا
الأمانة العامة

بسم الله الرحمن الرحيم
العدل أساس الحكم
وزارة العدل

الرقم ــــــــــــ
التاريخ ــــــــــــ
الملف ــــــــــــ
المرفقات ــــــــــــ

الموضوع ــــــــــــ

الأخ رئيس مكتب التوجيه والإرشاد العام حياكم الله   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد اطلعنا على الكتب الثلاثة من سلسلة كتب تعليم الواجبات الدينية في الإيمان والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق الصادرة من مكتب التوجيه والإرشاد فوجدنا كل كتاب قيماً كثير النفع في بابه كفيلاً ببيان الواجبات الدينية التي لا يسع المسلم جهلها فجزى الله المؤلفين خيراً ونفع بكتبهم المسلمين والإسلام لتاريخ ٢٤/٦/١٣٩٧ ٩/٦/٩٧

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

محمد

فيما حرره الأخوان الأعلام الكفاية فقد كان ذلك بعد الاطلاع على الثلاثة الكتب حرر ١٠/١٣٩٧

[illegible]

طباعة مركز البحوث بجامعة الإيمان

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

أسماء أصحاب الفضيلة العلماء
الذين قاموا بمراجعة هذا الكتاب

١- إبراهيم بن عمر عقيل
٢- أحمد بن إبراهيم العيزري
٣- أحمد بن أحمد حربة
٤- أحمد بن إسماعيل العنسي
٥- أحمد بن حمود الشيخ
٦- أحمد بن عبدالرزاق الرقيحي
٧- أحمد بن عبدالله خليل
٨- أحمد بن عبدالله الظاهري
٩- أحمد بن علي الآنسي
١٠- أحمد بن علي الشامي
١١- أحمد بن علي العفيف
١٢- أحمد بن علي الغرسي
١٣- أحمد بن علي بن أحمد المتوكل
١٤- أحمد بن علي المرتضى
١٥- أحمد بن عيدروس علوي
١٦- أحمد بن قاسم البحر
١٧- أحمد بن محمد غمضان
١٨- أحمد بن محمد المجاهد
١٩- أحمد بن محمد المهدي
٢٠- أحمد بن مقبل بن نصر
٢١- أسد حمزة
٢٢- إسماعيل بن صالح نصار
٢٣- حسن بن قاسم البحر
٢٤- حسن بن يحيى الذاري
٢٥- حسين بن عبدالله البدري
٢٦- حسين بن علي كعيبة
٢٧- حسين بن يحيى الشعوبي
٢٨- حمود بن محمد بن عبدالله شرف الدين
٣٣- زيد بن علي الكبير
٣٤- شرف بن قاسم الوجيه
٣٥- عبدالخالق بن محمد شمسان
٣٦- عبدالرحمن بن عباس بن إبراهيم
٣٧- عبدالرزاق بن أحمد الرقيحي
٣٨- عبدالقادر بن عبدالله
٣٩- عبدالكريم بن علي الرحبي
٤٠- عبدالله بن عبدالحق المطري
٤١- عبدالله بن عبدالله الوظاف
٤٢- عبدالله بن عبده بن مهدي الأبي
٤٣- عبدالله بن قاسم الوشلي
٤٤- عبدالله بن محمد الشرفي
٤٥- عبدالله بن محمد العنسي
٤٦- عبدالله بن يحيى العنسي
٤٧- عبدالمعز بن عبد الستار
٤٨- عبدالنور بن محمد البركاني
٤٩- علي بن أحمد واصل
٥٠- علي بن محمد الحبسي
٥١- علي بن محمد بن علي الشرفي
٥٢- علي بن مطهر عشيش
٥٣- علي بن يحيى شمسان
٥٤- لطف بن محسن ساري
٥٥- محمد بن أحمد التعزي
٥٦- محمد بن أحمد العزاني
٥٧- محمد بن أحمد العمال
٥٨- محمد بن أحمد الغرباني
٥٩- محمد بن أحمد الوهابي
٦٠- محمد بن إسماعيل العمراني

٢٩- حمود بن هاشم الذارحي
٣٠- حميد بن قاسم عقيل
٣١- راشد بن عوض الوصابي
٣٢- زيد بن علي الآنسي

٦١- محمد بن إسماعيل العنسي
٦٢- محمد بن إسماعيل بن محمد المتوكل
٦٣- محمد بن حسن قاسم
٦٤- محمد بن سعيد الشيباني

٦٥- محمد بن سليمان الأهدل
٦٦- محمد بن شرف الدين
٦٧- محمد بن عبدالرحمن العنسي
٦٨- محمد بن عبدالجليل الغزي
٦٩- محمد بن عبدالله بن لطف شاكر
٧٠- محمد بن عبدالله الهدار
٧١- محمد بن علي البدري
٧٢- محمد بن علي البطاح
٧٣- محمد بن علي الرحبي
٧٤- محمد بن علي بن محمد الأكوع
٧٥- محمد بن علي عجلان
٧٦- محمد بن علي المنصور
٧٧- محمد بن علي الهيصمي
٧٨- محمد بن محمد الغشم
٧٩- محمد بن محمد أبو الغيث
٨٠- محمد بن محمد القديمي
٨١- محمد بن مشعوف الأسلمي
٨٢- محمد بن مقبل بن نصر

٨٣- محمد بن يحيى المطهر
٨٤- محمد بن يحيى الدولة
٨٥- محمد بن يحيى قطران
٨٦- محمد بن يحيى مرشد
٨٧- محمد بن يحيى شمسان
٨٨- محمد بن قاسم حميد
٨٩- مشرف بن عبدالكريم المحرابي
٩٠- مطهر بن شرف الدين حنش
٩١- منصور بن ناجي صالح
٩٢- مهيوب سعيد مدهش
٩٣- يحيى بن أحمد شمسان البعداني
٩٤- يحيى بن أحمد التعزي
٩٥- يحيى بن عبدالله حسوسه
٩٦- يحيى بن عبدالله الحبشي
٩٧- يحيى بن علي الآنسي
٩٨- يحيى الصعفاني
٩٩- يحيى لطف الفسيل
١٠٠- يس بن عبدالعزيز[1].

---

(١) تنبيه : رتبت أسماء أصحاب الفضيلة العلماء بحسب ترتيب حروف الهجاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضـــلل فـــلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشـــهد أن محمـــداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .[1]

---

(١) **مقدمة كتاب البرهان** : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد : فقد تنادى عدد من علماء اليمن ودعاته لتدارس موضوع تقوية الإيمـــان وزيادته ، فأقاموا ندوة خاصة لذلك ، وقرروا عقدها كل عام لأهميـــة الموضـــوع وضرورة متابعته لتحقيق الهدف من هذه الندوة ، وهو تقوية الإيمان وزيادته بـــين أبناء المسلمين في اليمن وغيرها ، وقرروا في الدورة الثانيـــة للنـــدوة أن يقـــدموا للمسلمين كتباً ميسرة تحقق الهدف المطلوب، ورأوا أن كتب تعليم الواجبات التـــي كانت قد صدرت في اليمن من مكتب التوجيه والإرشاد العـــام عـــام ١٣٩٨هـــــ الموافق ١٩٧٨م تحقق الهدف نفسه، فاعتمدوها مع توصيات بوضـــع الإضـــافات المناسبة لمزيد من الشرح والبيان وتخريج أحاديثها ، مع المحافظة علـــى الـــنص الأصيل للكتاب فكان هذا الشرح لأحد هذه الكتب وهو كتاب الإيمان الذي أقـــره=

وبعد : فإن أول واجب على الإنسان أن يعرف الله سبحانه وتعالى عن طريق العلم، قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]. وأن يعرف رسول ربه وصدق رسالته عن طريق العلم الذي يورث اليقين، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد:١٩]، وأن يعرف الحكمة من خلقه في هذه الدنيا، وأن يعرف مصيره الذي إليه يسير، وأن يعرف دين ربه الذي هو مأمور باتباعه .

وإذا كان شرف العلم بشرف المعلوم، فإن علم الإيمان يتعلق بمعرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة دين الله، وإذا كانت أهمية العمل تتناسب مع الفائدة التي يجنيها الإنسان منه، كما تتناسب مع الخطر الذي يدفعه الإنسان عن نفسه بهذا العلم، فإن علم الإيمان يحقق للإنسان السعادة والفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

ولقد وعد الله المؤمنين في الدنيا بوعود كثيرة، منها :

=مائة عالم من علماء اليمن واعتمدته المحكمة الاستئنافية العليا والذي نضعه بين يدي القارئ الكريم باسم "البرهان شرح كتاب الإيمان" .

راجين من الله العلي القدير أن ينفع به المسلمين وأن يجعله ذخراً لنا يوم الدين . والله الموفق.

١- **النصر على أعدائهم**، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] .

٢- **الدفاع عنهم**، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج:٣٨] .

٣- **الولاية لهم**، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة:٢٥٧].

٤- **الهداية لهم**، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٥٤] .

٥- **التمكين لهم والاستخلاف في الأرض**، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور:٥٥] .

٦- **الرزق الطيب**، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف :٩٦] .

٧- **العزة**، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٨- **الحياة الطيبة**، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧] .

هذا بعض ما يفوز به المؤمنون في الدنيا، وهذا هو الذي تحقق لأسلافنا المؤمنين الصادقين .

أما الدار الآخرة فحسبهم قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا[1] * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا[2]﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [لقمان:٨، ٩] .

ومن يتأمل أحوال المسلمين اليوم يجد أن ما وعد الله المؤمنين به في الدنيا غير متحقق لهم، مما يشهد بأن إيمانهم ضعيف، أو أنهم فقدوا صفات كثيرة من الإيمان أو أكثرها، فغاب عنهم في حياتهم الدنيا ما وعد الله به المؤمنين من : النصر والولاية، والدفاع، والهداية، والاستخلاف، والتمكين ، والرزق الطيب، والعزة، والحياة الطيبة، ومن استمر على حاله هذا فسيخسر ما أعده الله للمؤمنين في الآخرة كما خسر في الدنيا، بل ربما خسر نفسه في نار جهنم .

لذلك كان لا بد من تقوية الإيمان وتثبيته وتجديده وذلك بنشر علومه بين المسلمين، وإحياء الأعمال الإيمانية في مجتمعاتهم بتطبيق أحكام

---

(١) أي منزلاً أو ما يهيأ للضيف النازل من طعام وغيره .

(٢) أي تحولاً عنها إلى غيرها .

الدين، وكان على العلماء أن يبادروا للقيام بهذا الواجب، خاصـــة وهـــم يشاهدون هجوم المبادئ الإلحادية على المســـلمين، ونشـــاط الحركـــات التنصيرية، كما يشاهدون انتشار الخرافات والأباطيل التي يحاول أهلهـــا أن ينسبوها بالباطل إلى الدين .

وهذا كتاب الإيمان نضعه بين يدي المسلمين مـــن سلســـلة تعلـــيم الواجبات الدينية، ونسأل الله أن يجعله خالصـــاً لوجهـــه وأن ينفـــع بـــه المسلمين .

وإننا نطلب من كل غيور على دينه أن يبذل جهده لتعلمه وتعليمـــه لأهله وجيرانه، ولسائر المسلمين، والله الموفق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

الإيمان وحقيقته

لقد بين الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي يقبل الله به الأعمـــال. ويتحقق به ما وعد الله به المؤمنين.

الإيمان اعتقاد وعمل :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُـمَّ لَـمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥] ونرى من هذه الآية أن الإيمان المقبول الصـــادق هـــو الاعتقاد[(١)] الذي لا يخالطه ريب، وهو العمل المتمثل في الجهاد بالمـــال والنفس في سبيل الله .

ذلك لأن اعتقاد القلب لا يكفي لقبول الإيمان، فلقد كان إبليس معتقداً بالله، فقد جاء على لسانه في القرآن الكريم أنه قال : ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص:٧٩] ومع ذلك فقد وصفه الله بالكفر لتكبره عن عمـــل ما أمره الله به، قال تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِـــيسَ أَبَـــى وَاسْـــتَكْبَرَ وَكَـــانَ مِـــنْ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] .

---

(١) الاعتقاد محله القلب قال تعالى: (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ) (المجادلة: ٢٢).

فالإيمان الحق إذن هو الذي يشتمل على :

١-العقيدة الثابتة التي لا يخالطها شك .

٢-العمل الذي يصدّق العقيدة وهو ثمرتها .

ـ والعمل أنواع :

- عمل القلب، مثل : الخوف من الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه.
- عمل اللسان، مثل نطق الشهادتين(١)، والتسبيح والاستغفار والدعوة إلى الله.
- عمل الجوارح(٢) ، مثل : الصلاة والزكاة والصوم والجهاد في سبيل الله، وطلب العلم لله، والتجارة والزراعة والصناعة تحقيقاً لأمر الله في استخلاف الأرض طبقاً لتعاليم الإسلام .

---

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم : "الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول : لا إله إلا الله" أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ أمور الإيمان ١/١٢برقم ٩ ، ومسلم ك/ الإيمان ب/ بيان عدد شعب الإيمان ١/٦٣ برقم ٣٥ وابن ماجه ١/٢٢ برقم٥٧.

(٢) وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ك/ مواقيت الصلاة ب/ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ١/١٩٥ برقم٥٠٠ واللفظ له ، ومسلم ك/ الإيمان ب/ الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم١/٤٦ برقم١٧ وأبو داود ٢/٣٥٥ برقم٣٦٩٢ ، والنسائي ٨/١٢٠ برقم٥٠٣١ ، عن وفد عبدالقيس عرّف الرسول - صلى الله عليه وسلم الإيمان بأنه :" شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، =

ـ الإيمان يزيد وينقص :

وهناك أسباب ، تقوي الإيمان فيزيد ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال:٢] [1] وهناك أسباب من المعاصي

=وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا إلي خُمس ما غنمتم...". وقال البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنَّ الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص. شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١٧٣/١ ،١٧٤، وسئل أبو حاتم وأبو زرعة عما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان في معنى الإيمان ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص . أصل السنة لابن أبي حاتم ص٢٢٥-٢٢٦، طبع ضمن كتاب (أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة) للهاشمي ط/ الجامعة الإسلامية. وقال البغوي: اتفقت الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان. مناقب الإمام أحمد ص٢٢٨.

(١) **الإيمان يزيد وينقص** : يزيد الإيمان اعتقاداً بزيادة العلم بالأدلة ووضوحها وتظاهرها (تأييد بعضها بعضاً) قال تعالى: (**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**)(الأنفال:٢) وقال أيضاً : (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) (محمد :١٩). وقال تعالى: (**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**) (الرعد:١٩) .

وبرؤية آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس كما قال تعالى : (**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**) (الأنعام:٧٥) .=

=والشبهات تنقص الإيمان ، وإزالتها تثبت الإيمان وتفتح الباب لزيادته قال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...)** (الحجرات :١٥).
كما ينقص الإيمان اعتقاداً بالغفلة ونسيان ذكر الله .
وأما زيادة الإيمان بالقول فتتحقق بزيادة الذكر المشتمل على التوحيد والتعظيم والتنزيه والثناء على الله عزوجل والاستغفار وغير ذلك من معاني الذكر الذي يجتمع فيه حضور القلب ووعيه لما ينطق به اللسان.
وتتحقق زيادة الإيمان بالقول أيضاً بكل ما يدل من القول على الإقرار بالإيمان والتصديق له كقراءة القرآن والدعوة إلى الله وبيان آياته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العلم وتعلمه ونحو ذلك .
ويحصل النقص في هذا الجانب بالغفلة عن ذكر الله ، وبنطق اللسان بما يعارض أو ينافي الإيمان وبكل ما يبغضه الله ورسوله من الأقوال .
وأما في جانب العمل فيزيد الإيمان بالطاعات بجميع أنواعها ، وينقص بالمعاصي أياً كانت، وقد أثر ذلك عن السلف قال أبو هريرة – رضي الله عنه – : "الإيمان يزداد وينقص" رواه الآجري في الشريعة (ص١١١)، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٣١٤/١). وورد مثله عن أبي الدرداء – رضي الله عنه رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٣١٤/١). وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول لأصحابه : "هلموا نزداد إيماناً ؛ فيذكرون الله – عزوجل –". رواه الآجري في الشريعة (ص١١٢) وبنحوه ابن أبي شيبة في الإيمان (ص٣٦) .
وقال معاذ بن جبل – رضي الله عنه – لرجل : "اجلس بنا نؤمن ساعة" رواه أبو عبيد في كتاب الإيمان (ص٧٢) ، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (ص٣٥) ، وقال الألباني: "إسناده على شرط الشيخين" وكان من دعاء عبدالله بن مسعود– =

تضعف الإيمان كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...)**[1] .

وإذا أردنا الفوز بتحقيق الإيمان فعلينا أن نقيمه :

١- **تصديقاً ثابتاً في القلوب عن طريق العلم .**

٢- **وعملاً في القلوب** : عن طريق التذكير والتفكر، وخاصة في آيات الله الكونية والقرآنية وفي الوعد والوعيد .

٣- **وقولاً باللسان** : بكثرة الذكر وقول الحق، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وتعلم العلم وتعليمه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

=رضي الله عنه - : "اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً" فتح الباري ٤٨/١ قال: وإسناده صحيح .

وقال عميرُ بن حبيب الأنصاري الصحابي: "الإيمان يزيد وينقص، قيل له : ما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله - عز وجل - وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، فإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه". رواه الآجري في الشريعة (ص١١١) ، ورواه بلفظ مقارب عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٣١٥/١).

(١) أخرجه البخاري ك/ المظالم ب/ النهبى بغير إذن صاحبه ٨٧٥/٢ برقم٢٣٤٣، ومسلم ك/ الإيمان ب/ نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية ٧٦/١ برقم ٥٧ ، والترمذي ١٥/٥ برقم٢٦٢٥ ، والنسائي ٦٤/٨ برقم ٤٨٧٠.

٤- **وعملاً بجوارحنا** : بإقامة أركان الإسلام، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وبمجاهدة النفس للامتثال لأمر الله، وبمجالسة الصالحين كما قال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٨،٢٩] .

وهذا كله يحتاج أولاً إلى إصلاح القلوب وتنقيتها من الأمراض الصادة عن الهدى.

إصلاح القلوب

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩] [(١)].

---

(١) **إصلاح القلوب** : هيأ الله القلوب لقبول الهدى في أصل الفطرة ، فهي تقبل الحق وترضاه وتميل إليه، فالأصل في القلوب أنها سليمة نقية صالحة ؛ لأنها ولدت على ذلك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) أخرجه البخاري ك/ الجنائز ب/ ماقيل في أولاد المشركين ١/٤٦٥ برقم١٣١٩ ، ومسلم ك/ القدر ب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة٤/٢٠٤٧ برقم٢٦٥٨ ، فإذا مرضت بالشرك أو الشك فهو عارض وطارئ على غير الأصل ، وهو من الشيطان كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن الله عزوجل قال : (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) أخرجه مسلم ك/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها ب/ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ برقم٢٨٦٥ واللفظ له ، وأحمد ٤/١٦٢ برقم١٧٥١٩ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم، وابن حبان ٢/٤٢٢ برقم٦٥٣ ومعنى اجتالتهم: صرفتهم وحولتهم عن الحق. وأمراض القلوب لها سببان ، الأول : الشبهات ، والثاني : الشهوات. فيجب على الإنسان الذي مرض قلبه علاجه وتصفيته حتى يكون سليما صالحا ، وذلك بأن يدفع الشبهات بالعلم واليقين ويدفع الشهوات بذكر الله وذكر الموت وذكر الوعد=

ـ القلب السليم قلب المؤمن:

فكما أن الأرض الصالحة للزراعة تتصف بأوصاف فكذلك قلب المؤمن يتصف بأوصاف[1]، منها :

=والوعيد وتلاوة القرآن وتدبره وزيارة المقابر والزهد في الدنيا ومعرفة حقارتها والتطلع إلى الآخرة ، والتعلق بما أعدَّ الله لأهل رضوانه ومجالسة الصالحين ومجانبة الفاسدين والاستعانة بالله والإخلاص له سبحانه .

(١) **القلب السليم** : قال الطبري: (والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الممات . تفسير الطبري٩/٤٥٣ .

وقال ابن كثير :{ إلا من أتى الله بقلب سليم} أي سالم من الدنس والشرك ثم قال : وقال ابن عباس : {إلا من أتى الله بقلب سليم} يعني : أن يشهد أن لا إله إلا الله. تفسير ابن كثير ٣/٤٥١ .

- ورجح الشوكاني قول الرازي : أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة. فتح القدير ٤/١٥٣ .

وجمع الأقوال في معنى القلب السليم ابن الجوزي فقال: قوله تعالى : (إلا من اتى الله بقلب سليم) فيه ستة أقوال :

- أحدها : سليم من الشرك. قاله الحسن وابن زيد .
- والثاني : سليم من الشك. قاله مجاهد .
- والثالث : سليم أي صحيح وهو قلب المؤمن ؛ لان قلب الكافر والمنافق مريض. قاله سعيد بن المسيب .=

١ ـ الإقبال على الحق :

الذي ينتج عنه معرفة الحق واتباعه، قال تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٧، ١٨] أما القلوب الكافرة السقيمة فتراها معرضة عن الحق، فتبقى جاهلة لا تهتدي إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام:٤].

٢ ـ حب الحق وانشراح الصدر للإسلام :

وصاحب القلب السليم يحب الحق، وينشرح صدره[١] لتعلم الإسلام،

= والرابع : أن السليم في اللغة اللديغ فالمعنى كاللديغ من خوف الله تعالى. قاله الجنيد .

- والخامس : سليم من آفات المال والبنين. قاله الحسين بن الفضل .
- والسادس : سليم من البدعة مطمئن على السنة. حكاه الثعلبي. زاد المسير ١٣٠/٦.

(١) **حب الحق وانشراح الصدر للإسلام** : وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد، والنور الذي يقذفه الله في قلب العبد ، والعلم ، والإنابة إلى الله ومحبته والإقبال عليه والتنعم بعبادته ، ودوام ذكره على كل حال ، والإحسان إلى الخلق ونفعهم بما أمكن، وتطهير القلب من الصفات المذمومة وترك فضول (زيادة) النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم. زاد المعاد ٢٢/٢ ط. الرسالة ١٤٠٧هـ. هذا والقلب المريض بالكفر أو النفاق مشحون=

فيستحق بذلك هداية الله[1]. وأما صاحب القلب السقيم فتراه يكـــره الحق، ويضيق صدره[2] لسماع الإسلام، وبهذا يعرض نفسه لعقاب الله له بإضلاله[3]، قال تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْــلَامِ

=بمشاعر الإعراض عن الحق والكراهية له والتكبر على أهله والحسد لهم. والغافل عن ربه ورسالات ربه والدار الآخرة يعظم الدنيا وشهواتها وينفر من الاستماع إلى الحق فتضيق صدور هؤلاء إذا سمعوا الحق أما صاحب القلب السليم الباحث عــن الحق الحريص عليه المستعد للاستقامة على أمر ربه وخالقه ويخشى غضـــب الله وعقابه فإنه إذا سمع الحق انشرح صدره له وأحب الاستزادة منه فيأخذه ذلك إلـــى طريق الهداية .

(١) قال تعالى : {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (التغابن : ١١) .

(٢) وذكر ابن القيم رحمه الله أن من أعظم أسباب ضيق الصدر : الإعراض عــن الله تعالى ، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره ومحبة سواه. وذكر أن مما يُكدِّر صفاء القلب كثرة الطعام والشراب والنوم والمخالطـــة وإتبـــاع الهـــوى. مـــدارج السالكين ١/٥٠٠ ط. الأولى دار الجليل بيروت .

(٣) فيطبع الله على قلبه بسبب كفره كما قال تعالى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُــوبِ الْكَافِرِينَ} (الأعراف:١٠١) ويختم على قلبه فلا يهتدي إلى الحق، قال تعالى: {خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـــارِهِمْ غِشَـــاوَةٌ وَلَهُـــمْ عَـــذَابٌ عظِـــيمٌ} (البقرة:٧). وهذا الختم والطبع هو بسبب تمادي الكافر في ضلاله فذلك جزاء لـــه، قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }(الصف:٥).

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1] [الأنعام : ١٢٥] وذلك لأنهم يكرهون الحق، قال تعالى : ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

٣ ـ إجابة دعوة الإيمان، وحب الازدياد منه :

وصاحب القلب السليم يستجيب لدعوة الإيمان، كما حكى الله عن أهل القلوب السليمة قولهم : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ويحب المؤمن دائماً أن يزداد من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] . وأما أهل القلوب المريضة فتراهم يصدون عن سبيل الله، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ

---

(١) أثبت العلم الحديث بعد تقدم علم الطيران في طبقات الجو العليا ، أن الطيار الذي يتصعد في السماء كما أخبرت الآية يتعرض إلى نقص في ضغط الهواء الجوي الذي ينتج عنه نقص في تمدد الرئتين عند التنفس بسبب نقص الهواء فيؤدي ذلك إلى نقص في حجم الرئتين ، وبالتالي في حجم الصدر ، ويحصل حرج بضيق مجال الهواء في القصبات الهوائية والشعب الهوائية مما يؤدي إلى حرجٍ ، وهو الحرج الذي يقع في التنفس ، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة فيتحقق بذلك ضيق الصدر لمن يصعد في طبقات الجو العليا .

يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم:٣].

وترى أهل القلوب السليمة يتفكرون في أنفسهم، وفي خلق السماوات والأرض، وفي الهدى الذي جاءهم من خالقهم، يعرفهم الحكمة من حياتهم وموتهم ويصف لهم ماضيهم ومستقبلهم، والجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين، والعذاب الذي ينتظر الكافرين، ويتفكرون في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وأدلة صدقه ، وكيف يطبقون ما أمرهم به لتتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، وليتقوا عذاب النار، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولكن الكافرين عطلوا أسماعهم وعقولهم عما خلقت له من التفكير، فلا يعترفون إلا يوم يندمون يوم القيامة، كما قال تعالى عنهم : ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠، ١١].

٤ ـ التذكر :

والإنسان ينسى، ولكن صاحب القلب السليم يتذكر فيبصر ولا يعمى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، لذلك شرع الله التذكير، فقال سبحانه :

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [الأعلى: ٩-١٣] أمّا أهل القلوب السقيمة فتراهم في غفلة لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] فإن ذكرت بعض الغافلين بالآخرة فربما يقول لك: أجئت لتعلمني الإسلام اليوم؟ وأنا مسلم خير منك[١] ؟!

٥ ـ اليقين :

وترى صاحب القلب السليم الذي يتفكر ويتعلم ويتذكر قد وصل إلى اليقين كما بين ذلك ربنا في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٣، ٤] أما الغافل المعرض فتراه في ريب وشك، قال تعالى:

---

(١) الحقيقة أن القلوب الغافلة تشمئز عند تذكيرها بالله عز وجل أو بشيء من دينه وذلك لغفلتها وامتلائها بآثار الذنوب والمعاصي التي تُبغِض لها الحق ، وتظهره في صورة بشعة؛ فلهذا يحصل لها الانقباض عند التذكير قال تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (الزمر:٤٥).

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان:٩] .. ولا يعرف اليقين[1] إلا كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢] .

٦ ـ لين القلوب لذكر الله :

وترى أهل القلوب السليمة تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله وآياته، أما الكافرون فترى قلوبهم قاسية، قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢، ٢٣] .

فترى أهل هذه القلوب القاسية يتكبرون ويعاندون ويجحدون الآيات والدلائل، قال تعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وهؤلاء المتكبرون يعاقبون، قال تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] . هذا

---

(١) لا يعرف اليقين بسبب أنه قد ألزم نفسه الإعراض عن الحق وأدلة الإيمان وربما جحد وأنكر ما استيقنته نفسه من أدلة الإيمان واليقين كما قال تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل:١٤).

في الدنيا وأما يوم القيامة فجزاؤهم كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٧ ـ اتباع القرآن والسنة :

وترى صاحب القلب السليم قد التزم الطاعة لربه ولرسول ربه، وأخذ يسلك في هذه الدنيا في كل شأن من شؤونه طبقاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

والتزم أمر الله القائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٨]، والقائل : ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ذلك لأن طاعة الرسول طاعة لله، قال تعالى : ﴿مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

وأما صاحب القلب المريض فتراه يتبع كل شيطان مريد، وتراه يتبع هواه ويعبد نفسه لغير الله، ويندم لكن يوم لا ينفع الندم، قال تعالى:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [الأحزاب:٦٦].

فإذا اتصفت قلوبنا بالصفات الطيبة السابقة فعندئذ نكون من أهل القلوب السليمة الصالحة التي تنبت فيها شجرة الإيمان، وتترعرع وتثمر الأعمال الصالحة ، وإذا كنا لا نجد في أنفسنا الأعمال الصالحة فإن ذلك يرجع إلى ضعف شجرة الإيمان التي نبتت في قلوبنا والتي لم تستكمل صفات الصلاح، وما لم نبادر بإصلاح ما في قلوبنا فلن يتغير شيء من حالنا، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : **(ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)**[(١)]. ولن تصلح القلوب إلا بنمو الإيمان فيها وتمكنه.

---

(١) رواه البخاري ك/ الإيمان ب/ فضل من استبرأ لدينه ٢٨/١ برقم٥٢ ، ومسلم ك/ المساقاة ب/ أخذ الحلال وترك الشبهات ١٢١٩/٣ برقم١٥٩٩، وابن ماجه ك/ الفتن ب/ الوقوف عند الشبهات ١٣١٨/٢ برقم ٣٩٨٤ .

الإيمان باللّه

ـ الإيمان باللّه تعالى واجب على الإنسان :

إذا تفكر الإنسان قليلاً سيجد أن الله الذي خلقه قد أعطاه أدوات يتعلم بها سائر العلوم الدينية والدنيوية ، وبغيرها لا يمكنه أن يكتسب شيئاً من علم، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ[١] لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨]. ومن أول شكره سبحانه[٢] أن نستخدم أدوات العلم التي

---

(١) الأفئدة : القلوب .

(٢) **الإيمان بالله تعالى واجب على الإنسان** : هناك أسئلة فطرية تلح على كل عاقل
من أين جاء الإنسان ؟
ولماذا جاء إلى هذه الدنيا؟
ولماذا يموت ويخرج منها تاركا كل ماكسبه فيها ؟
ومن الذي أوجده ؟
وماهي صفاته ؟
وما الذي يرضي الخالق عنه ؟
وما الذي يغضبه منه ؟
وماهو الحق الذي عليه أن يلتزمه ؟
وماهو الباطل الذي عليه أن يجتنبه ؟
أسئلة إذا لم يجد الإنسان الجواب الصحيح لها تجعله في حيرة قاتلة وطلاسم لاحل لها كما قال الشاعر معبراً عن هذه الحيرة :=

= جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت !!

وهبنا إياها، في العلم به(١)، قال تعالى : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد: ١٩] وبغير أن يعلم الإنسان خالقه لا يمكنه أن

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت!!
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت !!
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟!
لست أدري!! .... ولماذا لست أدري ؟!
لست أدري!!

لذلك شاهدنا البشرية تتخبط بدون هدىً من ربها وخالقها فتجيب على هذه الأسئلة إجابات ضالة وفلسفات مدمرة حتى إن بعضهم يقرر أن أحسن طريقةٍ يتوجب سلوكها هي أن يبادر الإنسان بقتل نفسه أو غيره ممن يحب عند أول فرصة سانحة كما يقول بعض الوجوديين الماديين .

ولا طريق لمعرفة الإجابة الصحيحة على هذه الأسئلة ومعرفة المنهج السوي للحياة إلا بمعرفة الخالق سبحانه ، فهو الخالق للإنسان، وهو الذي يعلم لماذا خلق الإنسان، ولماذا يميته ، ولماذا ينقله من الدنيا إلى الآخرة ، وهو الذي يملك وحده أن يبين للعباد ما يرضيه عنهم أو يسخطه عليهم ، وهو صاحب العلم الكامل الذي يعلم مصالح الناس ، وأسباب فسادهم ، فأول واجب على الإنسان أن يعرف ربه للخروج من ظلام الجهل المطبق والحيرة القاتلة إلى آفاق العلم والهدى .

(١) وكما خلق الله تعالى للإنسان جهازاً هضمياً لهضم الطعام ، وجهازاً تنفسياً لاستقبال الهواء ، فقد خلق له أدوات للعلم يكتسب بها العلم والمعرفة تتمثل في السمع الذي يسمع به العلم من غيره، وفي البصر الذي يكشف له ما حوله ، وفي العقل الذي يصوب أو يخطئ ما يسمعه أو يراه ، وخَلْق أدوات العلم هذه التي تقوم عليها كل العلوم الدينية والدنيوية شاهدة بأن الخالق سبحانه أراد للإنسان أن يتعلم فخلق له أدوات العلم ، وبغير سمع أو بصر أو فؤاد يتخبط في الجهالات ليس=
=بخارج منها قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى

يتبع هداه الذي يسعده في الدنيا والآخرة فيكون من الخاسرين، لذلك كان أول واجب على الإنسان أن يعرف الله تعالى .

قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) (الأنعام:٤٦) ومعنى قوله تعالى: (يصدفون : أي : يعرضون عن الحق). وأكمل الله تعالى التعليم للإنسان والهداية بإرسال الرسل إلى بني البشر لتعليمهم ما غاب عنهم من حقائق الوجود ، وما خفي عليهم من أسرار الحياة ، وما يجب عليهم أن يعلموه عن خالقهم وعن أنفسهم ومصيرهم قال تعالى : (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء:١٦٥)

العلم طريق الإيمان

وإذا أراد الإنسان إيماناً صحيحاً فعليه بالعلم[1]، قال تعالى:﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾

(١) **العلم طريق الإيمان** : دل على ذلك قول الله تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ...) (محمد:١٩) وقوله تعالى : (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)(إبراهيم: ٥٢) لذلك خلق الله لنا أدوات العلم وأرسل الرسل لتعليمنا وأقام الحجج والآيات من حولنا لتكون دليلاً وبرهاناً على صدق الإيمان به سبحانه وتعالى ، ومن لم يقم إيمانه على العلم فهو مقلد لغيره في إيمانه ، وقد اختلف العلماء في صحة إيمان المقلد. فمنهم من قال بأن إيمانه غير صحيح مستدلين بقوله سبحانه وتعالى : (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (النجم:٣٩). وقالوا : والمقلد ليس له سعي في إيمانه ؛ لأنه يقبل قول من يقلده بغير حجة ، لكن جمهور العلماء حكموا بصحة إيمان المقلد لأن أصل الإيمان موجود في فطرة الإنسان التي فطر عليها قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)(الروم: من الآية٣٠). وقال عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" أخرجه البخاري ك/ الجنائز ب/ ماقيل في أولاد المشركين ١/٤٦٥ برقم١٣١٩ ، ومسلم ك/ القدر ب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة٤/٢٠٤٧ برقم٢٦٥٨ فالأصل في الإنسان الإيمان. وهو يقلد في أمر قد فطره الله عليه .=

[الرعد:١٩]، ذلك لأن إيمان المقلد لغيره سرعان ما يهتز عند أول امتحان وعند أول شبهة، قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩] وقال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

=ومعنى الفطرة لغة : هي الخلقة التي خلق الله الناس عليها ، ومعنى الفطرة في الشرع : هي الحالة التي خلقوا عليها من الإيمان والمعرفة والإقرار بالربوبية (المنتقى شرح الموطأ ٢/٧١) .

ومن شواهد الفطرة : لجوء الإنسان عند الخطر إلى الله تعالى كما قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْأِنْسَانُ كَفُوراً) (الإسراء:٦٧).

ومن شواهد الفطرة أيضاً الشعور بالخالق صاحب الكمال المطلق في ذاته وصفاته ويعرف ذلك بإحساس الإنسان بنقص كائن في كل ما يشاهده من المخلوقات والموجودات في ذواتها وصفاتها ؛ لأن فطرته قد فطرت على التعلق بالخالق صاحب الكمال المطلق ، فلا يرى كريماً إلا وهو يتصور من هو أكرم منه، ولايرى قوياً إلا وهو يتصور من هو أقوى منه ، ولايرى جمالاً إلا وهو يتصور ما هو أجمل منه ولايرى علما إلا وهو يتصور علماً أتم منه .

الأدلة العلمية على الإيمان بالله سبحانه
القواعد العقلية[1]

ـ القاعدة الأولى ـ العدم لا يخلق شيئاً :

العدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً لأنه غير موجود.

الله الخالق

إذا تأملنا في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان، وحيوان، ونبات، وتفكرنا في كل ما يحدث في الوجود، من رياح، وأمطار، وليل، ونهار، ونظرنا إلى ما يجري في كل حين : من حركات منتظمة للشمس والقمر، والنجوم والكواكب، إذا تأملنا في هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود، في كل لحظة، فإن العقل يجزم بأن هذا

---

(١) **القواعد العقلية** : جعل الله العقل حجة على الإنسان يعرف به الحق من الباطل ويميز به بين الضار والنافع والصحيح والفاسد ، وجعله سبب للتكليف بالدين، فالمجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق ، وجعل الله العقل نوراً يهدي صاحبه إلى معرفة ربه ويدله عليه، والبشر جميعاً يسلمون بأدلة العقل ويقرون بحجيتها ، وهناك قواعد عقلية يقربها كل عاقل ولا يجحدها إلا مكابر ضال. وهي من الأسس التي تقوم عليها أدلة الإيمان بالله تعالى ، وقد جاء الشرع مؤكداً لها ومكملاً لما لا تبلغه قدرتها أو يغيب عن مجالها .

كله ليس من صنع العدم[1]، وإنما هو من صنع الخالق الواحد سـبحانه. قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥،٣٦] .

---

(١) الله الخالق : لأن العدم لا وجود له ، فكيف يوجد له فعل أو أثر وهو معدوم؟! وهذه بدهية عقلية لايجادل فيها أحد ، فإذا كانت المخلوقات لا يمكن أن يكون العدم سببا لوجودها ، فالعقل إذن يقضي بأنه لابد من خالق قد أوجدها ، وعدد الأدلة على وجود الخالق كعدد المخلوقات التي تملأ الكون ، فأعضاء الإنسان بل الإنسان كلـه لم يكن موجوداً ووجدت أعضاؤه ، ووجد بكيانه كاملاً ، وإذا كان آباؤه وأجـداده سبباً في وجوده فإن أصل البشرية آدم عليه السلام ما كان قبله أحد ولم يكـن لـه وجود. وكذا النباتات لم يكن لها وجود على وجه الأرض ووجدت ، وكذا الحيوانات لم يكن لها وجود ووجدت ، وكذا الجبال والأنهار والبحار والتربة وكل مـا علـى الأرض بل الأرض كلها لم تكن موجودة قبل أربعة ونصف مليار عام كما يقـرر علماء الفلك بل إن الوجود كله كان عدما قبل اثني عشر مليار عام كما يقرر علماء الفلك ، ذلك أيضاً، فمَن أوجد كل هذه الكائنات والمخلوقات وقد كانت عدما ؟ مَـنْ إلا الله يا أولي الألباب .

ـ القاعدة الثانية ـ التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع[1]:

إن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة، أو صفة عند الصانع، فلا يمكن أن يوجد شيء في المصنوع، إذا كان الصانع لا يملك قدرة، أو صفة مكنته من فعل ذلك الشيء في المصنوع. مثال :

---

(١) **التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع** : الصفات المتعلقة بأفعال الصانع تعرف من مصنوعه فنعرف أن صانع المصباح الكهربائي يملك زجاجاً لأننا نرى الزجاج ، ويقدر على تشكيل الزجاج في شكل كروي أو إسطواني لأننا نرى ذلك الشكل ، ونعلم أن لديه معدنا يجعله في شكل غطاء لذلك الزجاج فنعرف قدرته على ذلك ، ونرى المصباح يضيء بالكهرباء فنعلم أن الصانع لديه علم بخاصية الإضاءة في المصباح عن طريق الكهرباء ، وإحكام الغطاء المعدني على فتحة الزجاج يدل على صفة الحكمة والقدرة على إحكام الصنع عند الصانع ، مع أننا لم نر الصانع لكن رأينا آثار بعض صفاته المتعلقة بأفعاله ، أما الصفات المتعلقة بذاته فلا ترى في المصباح ، فلا نستطيع أن نعرف من النظر في المصباح هل الصانع جميل أم قبيح ؟ طويل أم قصير ؟ أبيض أم أسود ؟ رجل أم امرأة ؟ كريم أم بخيل ؟ متزوج أم أعزب؟ إلى غير ذلك من الصفات المتعلقة بذاته والتي لا تتعلق بأفعاله ، لذلك كان التفكر في المصنوع طريقاً إلى معرفة بعض صفات الصانع المتعلقة بأفعاله ، ولاتعلم صفات ذاته بالتفكر فيما صنع وإنما تعلم بواسطة مندوب يأتي من لديه يعرِّف ببعض صفاته الذاتية ، كما يعرِّف الرسل بما خفي على الناس من صفات الله تعالى المتعلقة بذاته ، ولله المثل الأعلى .

إذا رأيت باباً من خشب قد أتقن صنعه، فإنك ستعلم أن الصانع يملك الخشب، وأنه يستطيع أن يقطعه بانتظام، وأنه قادر على أن يجعل الخشب أملس، وأنه يملك مسامير، وأنه يقدر على تثبيت أجزاء الباب بالمسامير، وأن لديه خبرة في صناعة الأبواب.. فإذا وجدنا ثقباً منتظماً في الباب (محل المفتاح) شهد لنا ذلك بأن الصانع لديه قدرة، على ثقب الباب بدقة وأن لديه إحكاماً في عمله، وهكذا نجد كل شيء في المصنوع يدل على قدرة أو صفة عند الصانع لأنه لا يمكن أن يوجد في المصنوع إلا إذا كان الصانع يملك قدرة أو صفة تمكنه من صنع ذلك الشيء .

وهكذا سنجد أن التفكر في المصنوع يدلنا على بعض صفات صانعه، ومن هنا نعرف أن التفكير في المخلوقات يدل على بعض صفات الخالق[١]..

(١) كما أن هناك علاقة بين المصنوع وصانعه فلا يوجد شيء في المصنوع إلا إذا كان الصانع يملك قدرة أو صفة تمكنه من فعل ذلك الشيء في المصنوع ، وإذا أردنا أن نعرف صفة من صفات الله المتعلقة بأفعاله فسنرى أثراً لها في المخلوقات، فصفة الرحمة نرى أثرها في إنزال المطر وإنبات الزرع وإحياء الأرض بعد موتها لتفي بحاجات المخلوقات من طعام وكساء ودواء قال تعالى : (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)(الروم:٥٠) فإحياء الأرض بعد موتها أثر دل على صفة الرحمة، وكذلك جميع المخلوقات جعلها الله آثاراً تدل على صفات أفعاله سبحانه ، ويسميها القرآن "آيات" والآية هي: العلامة التي تدل على=

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٣-٦]، وإذا ما تأملنا وتفكرنا في المخلوقات فستعلمنا آيات الله فيها ببعض صفات الله سبحانه، قال تعالى : ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

الحي الذي لا يموت

إن الطعام الذي نأكله لا يسمع ولا يبصر ولا يتحرك ولا ينمو ولا يتنفس ولا يتزوج ولا ينام ولا يستيقظ، فإذا دخل الطعام جسمك أصبح جسماً حياً يتصف بالأوصاف السابقة، وكذلك الحال في طعام الحيوان،

= الشيء، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة:١٦٤).

وكذلك مواد الماء والتراب والهواء التي يتغذى بها النبـات لا تنمـو ولا تثمر ولا تتنفس ولا تتغذى ، فإذا دخلت جسم النبات تحولت إلى نباتـات حية ذات بهجة، فهذه الحياة التي تدب في كل جسم من نبات أو حيوان أو إنسان في كل يوم وفي كل لحظة تشهد أنها من صنع واهب الحياة .

ولقد حاول الإنسان أن يخلق الحياة فباء بالفشل الذريع[١]، وأعلـن الباحثون في الشرق والغرب عجزهم عن خلق الحياة، وصدق الله القائل:

---

(١) **الحي الذي لا يموت :** في عام ١٩٤٢م كلف استالين كبير البـاحثين الـروس (أوبارين) مع فريق من كبار الباحثين أن يوجدوا كائنا حيا من مواد ميتة ، وطـال البحث مدة عشرين عاما إلى أن مات استالين فاضطر أوبارين أن يعلن النتيجة في مؤتمر عام ١٩٦٢م قال فيها: إنه وفريقه قد حاولوا إيجاد الحياة من مـواد ميتـه فعجزوا ، وتأكدوا أن جميع المواد الأرضية لا تصلح لإيجاد الحياة ، وفرَّ أوبارين من المأزق بإحالة قومه إلى البحث عن الحياة في كوكب آخر قـائلا : وربمـا أن جرثومة الحياة جاءت إلى الأرض من كوكب آخر ! ولو عقل وانصف لقـال : إن آدم قد جاء إلى الأرض من السماء، أما المدرسة الغربية فقد طارت فرحاً عنـدما اكتشفوا حامض DNA في الخلية في الأربعينيات من القرن الميلادي الماضـي ، وزعموا أنهم بهذا الاكتشاف يستطيعون خلق الحياة ؛ لأن حـامض DNA يمثـل أصغر جزء من المادة تدب فيه الحياة ، فله خاصية التصرف كمادة ميته إذا نـزع منه الماء ، وإذا أضيف إليه الماء تصرف كمادة حية ، فتوهموا أنهم عرفوا سـر الحياة وعقدوا مؤتمراً دولياً باسم مؤتمر DNA وحضر الجميع لمشاهدة التركيب= = الدقيق لحامض DNA وصنعوا حامضاً مثله في التركيب لكنه حين يضاف إليه

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤] نعم : والبشر يعجزون عن استرداد أي شيء يأخذه الذباب، لأنه بمجرد أخذه يصب عليه من لعابه، فيحوله من فوره شيئاً آخر لا تنفع استعادته(١) .

إن الحياة التي وهبت، وتوهب على الدوام في الكائنات الحية، لا تكون إلا من الحي الدائم سبحانه .

وكل حياة يهددها الموت متى جاءت أسبابه، لكن خالق الأسباب لا تضره الأسباب، فهو الحي الدائم الذي لا يموت . قال تعالى : ﴿لَهُ مُلْكُ

الماء فلا تدب فيه الحياة !! فأعلنوا عجزهم عن خلق الحياة ، ومن العجيب أنهم اختاروا في بحثهم عن الحياة ذباب الفاكهة (دورسفلا) لأن أكبر حجم لحامض DNA يوجد في جيناتها الوراثية ، فتأمل إلى الآية وما تحمله من المعاني .

(١) طريقة الذباب لأخذ غذائه هي أن يصب الذباب من لعابه على المادة الغذائية الصلبة فيحولها إلى مادة سائلة يمكن امتصاصها بإبرة فمه، وهي بذلك تتحول في تركيبها من مادة صلبة إلى مادة سائلة فيتغير تركيبها وطبيعتها ، فإذا أراد أقوى الأشخاص بما معه من الإمكانيات أن يسترد ما أخذه الذباب منه فلن يقدر لأن الذباب يكون قد حوّل المادة التي أخذها إلى مادة أخرى قبل أن يمتصها.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد:٢]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

العليم

إذا تأملت في أجنّةِ الإنسان والحيوان، سترى أن العيون تخلق في أرحام الأمهات حيثُ الظلام الشديد، مع أن العيون لا ترى إلا في الضوء، فيشهد ذلك : أن الذي يخلق العيون يعلم أن تلك الأجنة ستخرج إلى عالم فيه النور، وهكذا يشهد خلق الأجنحة للطيور داخل البيض : أن الخالق يعلم أنها ستطير في الهواء، فخلق لها الأجنحة قبل ولادتها، وهكذا كل مخلوق ترى خلقه وهو جنين قد أعد بما يناسب ظروف الحياة التي سيعيش فيها، حتى جنين الشجرة (البذرة) يهيئه الله بجزء يُكوِّن الأوراق والأغصان، وجزء يضرب في الأرض لامتصاص الماء والتراب(الأملاح)، ولا يكون ذلك إلا من صنع من يعلم أن النبات سيحتاج إلى الماء والتراب والضوء والهواء .

وإذا رأيت الذكور تخلق، فسترى أن الخالق قد علم أعدادها فخلق لها من الإناث ما يكفي لبناء الأسر ، وسيشهد لك ذلك أنه من صنع العليم سبحانه، قال تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩].

والماء العذب إذا كان راكداً تعفن، ولكن العليم بذلك جعل البحار مالحة، وجعل موجها متحركاً حتى لا تفسد الحياة على الأرض بعفونة البحر.

هذا وكل ما في الكون يشهد بأن الخالق لهذا الكون لا شك عليم بما يخلق سبحانه، وهو القائل : ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. وعلم الله محيط بكل شيء لم يسبقه جهل، ولا يدخل عليه نسيان، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

الحكيم

وإذا تأملت في صور المخلوقات، وجدت أن كل جنس يحكمه الخالق سبحانه على مثال واحد .

ففي الإنسان : العينان في الوجه، والأنف بينهما، واليدان في الجانبين، والقدمان من أسفل . ولا تجد أن عيناً نبتت لإنسان في ركبته، أو يداً ظهرت في رأسه، وهذا يشهد أنه من صنع الحكيم، الذي أحكم خلق الإنسان. وكذلك كل جنس من الحيوان أو النبات قد أحكمه ربه على صورة ومثال واحد.

فمن أحكم هذه الصورة إلا القائل : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران : ٦].

وإذا تأملت في الهواء الذي تتنفسه، سترى أنك تستهلك الهواء الصالح (الأكسجين) وتحوله إلى هواء فاسد (ثاني أكسيد الكربون)، ولكن مقدار الهواء الصالح لا ينقص ؛ لأن الخالق جعل النبات يعوض الهواء الصالح بقدر محكم، بحيث تبقى نسبة الهواء عند قدر معلوم، لا تزيد ولا تنقص، ألا يشهد ذلك: أنه من صنع العليم الحكيم؟!

وإذا نظرت إلى أنفك، وجدته قد أحكم ليتناسب مع وظيفته، فالهواء يدخل من ثقبين بين العينين، لكن العليم الحكيم غطى هذين الثقبين بالأنف، وجعل النصف الأعلى من الأنف عظماً؛ حتى لا تضغط الرياح على هذا الغطاء فتسد الثقبين فيمتنع التنفس، كما يشارك عظم الأنف على حماية العينين وفتح الأنف باستمرار لدخول الهواء، إذ لو كان الأنف كله من عظام لما تمكنا من إخراج المخاط. وجعل الخالق جدار الأنف مائلاً لكي يصطدم الهواء بالجدار المائل، فيرده إلى الحواجز الداخلية ليصطدم بها، فيلامس الهواء الداخل المخاط المبطن لجدار الأنف، فتلتصق به الجراثيم والأتربة، فيتصفى الهواء قبل دخوله.. وفي الشتاء تتكاثر الدماء في الأنف فتراه محمراً وذلك لتدفئة الهواء الداخل، وفي الصيف يقوم الأنف بترطيب وتبريد الهواء الجاف، أو الحار.

ألا يشهد ذلك كله أنه من صنع العليم الحكيم؟!

وهكذا : لو تأملنا في خلق كل شيء في الأرض والسماء، لوجـــدنا أنه قد خلق في غاية الإحكام[١].

---

(١) **الحكيم** : إذا تأملت في أي مخلوق في الأرض أو في السماء وجدت أجــزاءه محكمة التركيب في ذراته الدقيقة وجزيئات مادته وخصائصه التـــي خلــق عليهـــا متكاملة مع غيرها من المخلوقات ، فجسيمات الذرة في أي مادة في الكون محكمة التركيب بين شحناتها الموجبة والسالبة ، ومحكمة بمقاديرها التـــي خلقــت عليهـــا لتتوازن مع سائر المواد بإحكام وإتقان ، فنسبة الماء على الأرض متناســـبة مـــع المواد الصلبة (اليابسة)، ونسبة الهواء الذي يكون غلاف الأرض الجوي متناســـبة مع حجم الأرض. وترى المخلوقات متناسبة في وظائفها، فالكائنات الحية تحتـــاج إلى الماء وتحتاج إلى الهواء وتحتاج إلى ضوء الشمس كما تحتاج إلى قوة الجـــذب التي تبقي الكائنات على وجه الأرض مستقرة عليها ، وإذا تأملت ذلك كله وجـــدت أن الهواء والماء وضوء الشمس قد خلقت بأقدار محكمة مع وظائفها ، وتأمل فـــي الإحكام في ميزان الحرارة في جسمك الذي يجعل الجسم مكيفاً ثابتاً عنـــد درجـــة ٣٧درجة مئوية سواء في الصيف أو في الشتاء أو الربيع أو في الخريف ، وعندما تزداد درجة الحرارة التي قد تصل إلى ٤٥ْ وربما ٥٠درجة مئوية في جو الأرض في بعض المناطق الحارة نرى كميات العرق تتصبب من جسم الإنسان لتقوم بعملية التبريد للدماء عند تبخرها من الجسم ، كما يبرد ماء الزمزمية إذا رشت الزمزمية من خارجها بالماء فيتبخر الماء من قماش الزمزمية ويبرد الماء بداخلها ، وبـــنفس العملية تبرد الدماء في الجسم إذا تبخر العرق منه فيبقى عند الدرجـــة المطلوبـــة= =٣٧درجة مئوية ، وفي الشتاء قد تنخفض درجة حـــرارة الجـــو الخـــارجي فـــي المناطق الباردة إلى درجة الصفر أو تحتها ، فيقوم الجسم بإحراق الطعام ويعمـــل

كأفران ترفع درجة حرارة الجسم ليبقى عند درجة ٣٧ درجة مئويـة ؛ لأن هـذه الدرجة هي الدرجة المثلى لتفاعلات كيمياء الحياة في الجسم الذي يعمل بقدرة ربه كالآت تبريد في الصيف ويعمل في الشتاء كالآت تدفئة ، لكنها في كلتا الحالتين لا تنقص عن ٣٧درجة مئوية ولا تزيد عليها ، فمن أحكم هذا الميزان الحراري فـي كل جسم خلقه الله لبني آدم ويخلقه وسيخلقه لبني البشر ؟ إنه الله الحكيم يـا أولـي الألباب ، وترى الأرض محكمة مع المجموعة الشمسية فقـد خلقهـا الله بـالحجم المناسب والكتلة المناسبة والمواد المناسبة وحدد لها الموقع المناسب من الشمس فلو اقتربنا نصف المسافة بيننا وبين الشمس احترقت كل النباتات ولو ابتعـدت الأرض في موقعها عن الشمس نصف المسافة الحالية لتجمدت الدماء في العروق، وتـدور الأرض بالسرعة المناسبة لحياة ما عليها من الكائنات ولتتوازن بإحكام مع سـائر الكواكب المرتبطة بها كالقمر وبقية أجزاء المجموعة الشمسية .

وهكذا كل الكواكب في السماء وكل نجم وإذا تأملت إلى النبات وجـدت أعضـاءه محكمة مع عروقه التي تضرب في الأرض وأوراقه وثماره محكمـة مـع بيئتـه وتركيبه. وكذلك الحيوانات أعضاؤها محكمة متكاملة مع بعضها ووظائفها لتكـون الأجهزة الهضمية والتنفسية وأجهزة الإحساس والتناسل والتكـاثر ، ولـو جـدت أجسامها محكمة مع بيئاتها فأجسام الأسماك متناسبة مع المـاء وأجسـام الطيـور متناسبه مع الهواء وأجسام الزواحف والثديات متناسبة مع الأرض التي تسعى عليها فاحكام في التركيب واحكام في الوظائف وإحكام في الأحجام وإحكام في العلاقات= =بين المخلوقات وإحكام مع البيئات ظاهر في آفاق الكون وهذا الإحكام آية مشاهدة تشهد على أنه من صنع الحكيم سبحانه .

والإحكام في كل شيء، يشهد لكل عاقل أنه من صنع الحكيم العليم سبحانه، قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[1] [الزخرف: ٨٤] .

الخبير

تأمل إلى طعامك كيف خرج من تراب وماء واحد أنواع مختلفة الثمار والألوان. ستجد ذلك يشهد لك أنه من صنع الخبير[2] الذي يخرج

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : وقوله سبحانه (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)(الزخرف : ٨٤) أي : هو إله مَنْ في السماء، وإله مَنْ في الأرض يعبده أهلها، وكلهم خاضعون له ، أذلاء بين يديه .... وهذه الآية كقوله تعالى : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) (الأنعام:٣) أي : هو المدعو الله في السموات والأرض. انظر : تفسير القرآن العظيم : لابن كثير : ٢٤٣/٧ .

(٢) **الخبير** : هو الذي يعلم خصائص كل شيء في الوجود وخفاياه ودور كل خاصية لكل مخلوق والمكان الذي يتناسب مع تلك المخلوقات ، وخصائصها وصفاتها الخفية والدقيقة. فإذا علمنا أن الذرة هي وحدة البناء (لبنة البناء) التي تتكون منها جميع المواد التي نشاهدها في الأرض والسماء ، وعلمنا أن تلك الذرات تتكون من جسيمات تنتظم حول نواتها في دوائر محكمة ، وبتفاعل تلك الجسيمات= = مع بعضها نراها تكتسب صفات جديدة غير ما كانت عليه من الصفات ، فملح الطعام مكون من عنصرين (كلور وصوديوم) الكلور : غاز سام ، والصوديوم : معدن تحتاج إليه الأجسام الحية بمقادير دقيقة ، وإذا نقصت في الجسم تحدث فيه

ضرراً بالغاً ، ونحن نأكل ملح الطعام مع الطعام ولا ندري ما يحدث له من تفاعلات في الجسم ، وكيف يتعامل معه الجسم بعنصريه الصوديوم والكلور ، وكيف يحفظ الجسم ميزان الصوديوم ليبقى بالمقدار النافع لجسم الإنسان ، وما يقال عن ذرات (الصوديوم والكلور) وما ينتج عنهما من تفاعلات بالغة الدقة والخفاء عن أعين الناس يقال عن كل ذرات الوجود التي تتفاعل مع بعضها بقوانين خفية ومعادلات دقيقة وتوازنات محكمة لانشاهدها بأعيننا ، وإنما نرى آثارها في هذا الكون المستقر المنظم المحكم، ولو اختلت هذه التفاعلات الذرية لتفجرت من هذه الذرات طاقات مدمرة يكفي القليل منها لتدمير مدن بأكملها .
وإذا تأملنا في خلايا الجسم نجد لكل خلية وظيفة ، ونجد تركيبها يتناسب مع تلك الوظيفة ، فخلية في العين تبصر الضوء ، وخلية في الأذن تسمع الأصوات ، وخلية في الأنف تشم الروائح ، وخلية في اللسان تذوق الطعوم المختلفة ، وخلية في الجلد تحس بالأجسام على الجلد ، وخلية في المعدة تهضم الطعام ، وخلية في القلب تضخ الدماء ، وخلية في الرئة تتنفس الهواء ، وخلية في الكبد تحطم السموم في الجسم، وخلية في الكلية تطرد المواد البولية من بين الدماء ، وخلية في اللحم تساهم في كساء العظام ، وخلية في العظم تقيم هيكل الكائن الحي. والخلايا أصلها واحد من نطفة من ماء مهين ، ووظائفها شتى ، وتراكيبها دقيقة مختلفة عن بعضها، والأنظمة التي تحكمها بالغة الدقة والإحكام والتنوع ، فَمَنْ غير الخبير سبحانه انشأ تلك الذرات وحدد لها الصفات وأجرى لها القوانين ؟ =
= فمن غير الخبير الذي أوجد تلك الخلايا وأعطى كل خلية وظيفتها ؟ وقدر لكل تفاعل في الجسم سيره ونظامه ودوره المكمل لأدوار غيره لإيجاد هذا الكائن الحي

من الأصل الواحد أنواعاً مختلفة في غاية الإحكام ، وتأمــل إلـــى هــذا

البديع الذي تتم تفاعلات الحياة وكيمياء تلك التفاعلات في جسمه وهو لا يشعر بها ولا يدري ماذا تفعل كل خلية في الجسم وماهو دورها ؟

وكذلك إذا نظرت إلى العلاقة بين النباتات والحيوانات وما يجري بينهما من تكامل في الحفاظ على الهواء في الغلاف الجوي للأرض : علمت خبرة الخبير الذي قدر للحيوانات أن تستهلك الأكسجين في تنفسها بغير إرادة منها أو اختيار ، وأَمَرَ النبات أن يصلح ما أفسدت الحيوانات من الهواء بغير إرادة منه أو اختيار وإعادته إلـــى هواء صالح للتنفس (الهواء الذي تنتجه الحيوانات وتخرجه إلى الجو هو ثاني أكسيد الكربون ، والهواء الذي تطلقه النباتات إلى الغلاف الجوي هو الأكسجين) .

كل هذا يجري والنبات لا يعلم ماذا يفعل ، ولا الحيوانات تــدري مــاذا صــنعت، فسبحان الخبير البديع الذي اتقن نظام كل شيء وأبدع خلقه !!

وإذا نظرت إلى مجرات النجوم التي تزخر بملايين الملايين من النجوم والكواكــب رأيتها مرتبطة ببعضها برباط محكم لاتشاهده الأبصار ، وتدل عليه أدلــة العلــوم الكونية التي تخبرنا أن المد والجزر في البحر هو أثر لجاذبية القمر بقربه أو ابتعاده من الأرض ، وهكذا تتأثر كل الكواكب ببعضها وبغيرها من النجوم بقوى الجاذبية غير المنظورة وبالطاقات الكهربائية الضوئية التي ينتج عنهــا الليــل والنهــار ، وتجري هذه النجوم والكواكب بأحجامها الضخمة في أفلاكها في اتجاهات عديــدة وسرعات متنوعة دون أن تتصادم مع بعضها أو يختل نظامها ، فسبحان الخبيــر الذي أتقن الصنع وأبدعه ، وعلم خصائص المواد والمخلوقات وقدر لها أدوارهــا= = المناسبة لتلك الخصائص ، وأماكنها المناسبة لوظائفها المحددة، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

الطعام: كيف يكوِّن منه الخبير سبحانه : لحماً ودماً، وعظمــاً، وشــحماً، ولبناً، وجلداً ، وشعراً، وأصابع، وأظافر، وأعصاباً، وسوائل مختلفة.

وتأمل إلى وجهك كيف يخرج اللعاب من الفم، والمخاط من الأنف، والدمع من العينين، والشمع من الأذنين، وكل هذه الإفرازات من طعــام واحد!! فيشهد لك خلقها أنها من صنع الخبير سبحانه .

وكيف يكون الحال لو خرج اللعاب من الأنــف ؟! والمخــاط مــن الفم؟! والشمع من العين ؟! والدمع من الأذن ؟! فمن حدد التركيب؟ ومن حدد المكان ؟ أليس هو العليم الخبير الحكيم ؟

والنطفة التي خلق الإنسان منها جعلها الخبير العليم الحكيم أعضاء متباينة، وأجهزة محكمة، متعاونة لخدمة الإنسان .

والسمك في البحر يحتاج إلى الهواء لتنفسه، فأذاب له الخبير الرحيم الهواء مع قطرات المطر التي تنزل في البحر، وأعــد الســمك بجهــاز خاص (الخياشيم) لتستخلص به ذلك الهواء الذائب في الماء .

وإذا تفكرت وأمعنت النظر وجدت كل شيء في الكون قــد صــنع بخبرة بالغة، تشهد لك أنها من صنع الخبير سبحانه.

الرزاق

عندما كان الإنسان حبيساً في ظلمات الرحم، ولا يستطيع بشر أن يمده بشيءٍ من ماء، أو غذاء، حتى الأب، والأم التي هو في جوفها يتخلق، لكن رحمة ربه الرزاق ساقت له الرزق ناضجاً مهضوماً[١] من أنبوبة هي حبل السرة، وعندما يخرج الطفل وينقطع حبل السرة، يخرج الرزاق غذاء ذلك الوليد من ثدي أمه ، ويلهمه استخراج ذلك الغذاء (اللبن) بمص الثدي، وهو بعد لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل .

---

(١) **الرزاق** : يخرج المنوي من الرجل مع رزقه الذي خلقه الله له في السائل المنوي، وتخرج البييضة في الأنثى ومعها رزقها الذي يكفيها ويكفي معها المنوي الذي سيلتحم بها ليكونا النطفة الأمشاج (أي الأخلاط) من ماء الرجل وماء المرأة ، ويهيء الله لتلك النطفة غذاءها في البييضة ، وأثناء سيرها في قناة الرحم (قناة فالوب)، فإذا وصلت إلى جوف الرحم غارت فيه ، ودخلت إلى بركة من الدماء التي أعد الله فيها غذاء الجنين القادم ، فإن لم يأت خرجت دمَ حيضٍ من المرأة، ويتغذى الجنين على تلك الدماء في الرحم مدة أسبوع حتى يخلق الله له أنبوبة من موقع السرة إلى جدار مشيمة الأم ليتصل بالدورة الدموية للأم ليأخذ غذاءه الجديد مباشرة من الدورة الدموية للأم ، وهو غذاء قد تم طبخه وهضمه ، فينمو به الجنين مرحلة بعد أخرى ، من طور العلقة إلى طور المضغة إلى طور العظام إلى طور الكساء باللحم ثم إلى طور النشأة خلقا آخر ، وهو في كل طور يحتاج إلى نوع من الغذاء يتناسب مع ذلك الطور في نوعه وكميته ، والله يهيئ له في جوف الرحم = = ذلك النوع والقدر من الغذاء طوال تسعة أشهر فسبحان الذي وفر الرزق للجنين في بطن أمه وسبحانه الذي أجرى له تلك القوانين .

ثم يرزق الله العباد من النباتات والأشجار التي تصنع الطعام من الماء والتراب والهواء، ويسخر الله الشمس للنبات لإتمام صنع الغذاء الذي يحتاجه الإنسان والحيوان[1]، وما كان للغذاء أن يوفر لولا أن الله

---

(١) وحتى لايبقى طعام الطفل مرهوناً بثديي أمه ليتمكن من الاستقلال بحياته وسعيه ، جعل الله له مصدراً للرزق جديداً بعد فطامه من أمه ، وجعله متوفراً على سطح الأرض في برها وبحرها. ففي البر خلق الله النباتات والأشجار، وجعل فيها مصانع خضراء ذات لون أخضر تقوم بتحويل ، أ- طاقة الشمس ، ب- الماء الذي تسقى به الزروع والأشجار، ج- الهواء الذي تتنفسه النباتات من أوراقها إلى مواد غذائية مختلفة يصنع النبات منها حبوبه وثماره وأوراقه وجذوره ، ويأكل الإنسان تلك الحبوب والثمار ، وبعض جذور النبات كالبطاط ، وأوراقه كالجرجير وغيرها من النباتات سواء في المناطق الجليدية أو في المناطق الحارة أو الصحراوية أو المعتدلة جعل الله لكل بيئة منها نباتات تقوم بهذا الدور في كل هذه الظروف البيئية المختلفة المتباينة ، ويعتمد الحيوان أيضاً على أكل تلك الزروع والنباتات فيخلق الله في الأنعام لبنا يشرب منه الإنسان مستوفيا لجميع مواد الغذاء ، ويخلق فيها لحما= = يتغذى عليه الإنسان ، وبث الله تلك الحيوانات ، ونشر تلك النباتات على سطح الأرض في سائر البيئات المختلفة ؛ ليجد الإنسان غذاءه في كل مكان ينزل فيه من الأرض. وإذا كان النبات هو المصدر الرئيس لصنع غذاء الإنسان والحيوان في أوراقه الخضراء فقد أشار القرآن إلى تلك المصانع الخضراء بقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ

يسوق الماء العذب، ويهيئ التربة الصالحة للزراعة، ويوجد الجو، والظروف المناسبة لإنتاج الغذاء من النباتات، قال تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرْ

وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:٩٩) والآية تفيد أن النباتات تخرج بالماء من بذور وأصول النباتات وتخرج النباتات مادة خضراء [خضراً] يسميها علماء النباتات اليوم باللغة اللاتينية الكلوروفيل ، هي وحدها بقدرة الله التي تقوم بتحول الماء وثاني أكسيد الكربون وضوء الشمس إلى سكر ، ثم يكثف السكر فيتكون منه النشاء [الدقيق] ، ويختزل النشاء فيتكون منه المواد الدهنية ، ويضاف إلى المواد التي تكون السكر مادة النيتروجين فيتكون بذلك المواد الزلالية [البروتينات] وهذه المواد الأساسية في كل أنواع الطعام الذي نأكله وتعيش عليه جميع الكائنات الحية ، وهذا المصنع الأخضر هو الذي دلت عليه الآية بقوله تعالى : (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً)(الأنعام :٩٩) أي شيئاً أخضر [بالخلقة] ومن هذا الشيء الأخضر تدل الآية أن الحبوب تخرج من هذه المادة الخضراء ، قال تعالى : (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً)(الأنعام :٩٩) كما تخرج منه القنوان الدانية والجنات المختلفة من الأعناب والزيتون والرمان كما قال تعالى: (وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)(الأنعام :٩٩) أي كما تخرج من المادة الخضراء الحبوب تخرج القنوان والجنات المختلفة . =

= ولقد حاول الإنسان أن يصنع مصنعاً للطعام شبيهاً لذلك المصنع الأخضر، فباءت جميع محاولاته بالفشل ، وصدق الله تعالى القائل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (فاطر:٣).

الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

فإذا أكل الإنسان أو الحيوان الطعام وتم هضمه بما خلق الله لكل كائن من أجهزة هضم، ساقه الرزاق إلى كل نقطة في جسم الكائن الحي، سواء كانت في وسط المخ، أو على سطح الجلد، أو مخ العظام.. وصدق الله القائل: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا[١] فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١].

إن الرزاق سبحانه، قد تكفل بالأرزاق، فساق رزق بعض الأسماك إلى أعماق البحار، وساق رزق بعض الدود إلى جوف الصخر، وساق رزق الأجنة إلى ظلمات الأرحام، وساق رزق جنين النبات إلى جوف البذرة.. قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:٦] وقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]. ومن أيقن أن رزقه موهوب له من خالقه، فلن يقدر أحد على سلبه رزقه ، ولن يخشى على رزقه أحداً غير الله .

---

(١) لجوا : تمادوا في استكبار وعناد .

الهادي

إذا تأملت في أهداب الجفن الأعلى في العين وجدتها تنحني إلى أعلى، وأهداب الجفن الأسفل، تنحني إلى أسفل، ولو انعكس الأمر لتشوشت رؤية العين .. فمن هدى ويهدي كل شعرة في كل جفن من إنسان أو حيوان، إلا الهادي سبحانه؟! [١]

---

(١) **الهادي سبحانه هو** : الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم مالا يعلمون ، ويهديهم بهداية التوفيق والتسديد ويلهمهم التقوى ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره ، انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٩٤٩/١ .

وإذا تأملت فيما خلق الله لبني الإنسان من العقول والأسماع والأبصار، ودورها في توجيه سلوك الإنسان ، وتعريفه بالحقائق من حوله ، وسألت نفسك من الذي خلق للإنسان أدوات العلم التي يهتدي بها ؟ وعلمت أن جميع أطباء الأرض وخبرائها= = وعلمائها يعجزون عن إعطاء بصر لمن لابصر له وسمع لمن لا سمع له وعقل لمن لا عقل له كما قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) (الأنعام:٤٦). فكيف تكون حياتك وحياة كل إنسان لو خلق بغير أدوات العلم والهداية من سمع وبصر وعقل. إن كل عقل وسمع وبصر وهب للإنسان فيما مضى ويوهب له الآن وسيوهب له في الأجيال القادمة آية من آيات الهادي سبحانه، وأثر من آثار صفة الهداية للهادي جل وعلا ، وهكذا يدلنا الأثر على المؤثر والصفة على الموصوف بها سبحانه وتعالى .

وإذا تأملت في كل حيوان خلقه الله ، وجدت أن الله قد خلق له من الحواس وغرس فيه من الغريزة ما يهديه إلى مقومات وجوده وتسيير حياته. فهو الذي هـدى كـل فرخ لكسر قشرة البيضة بعد اكتمال خلقه فيها ليخرج إلى ماهيأ له من بيئة حياتـه الجديدة ، وهدى الوليد إثر ولادته أن يلتقم ثدي أمه وأن يمتص منه غـذاءه الـذي أعده الله له بعد أن كان الثدي فارغاً قبل الولادة ، فمن هدى الوليد ؟ ومن ملأ الثدي بالغذاء إلا الهادي سبحانه وتعالى .

وفي البحر ثعابين عمياء تخرج من كل الأنهار في جميع القارات وتتجه إلى جنوب برمودا حيث تتناسل هناك في بيوت الآباء في تلك المنطقة ، ثـم تعـود الثعـابين الوليدة وحدها إلى الأنهار التي جاء منها آباؤها دون أن تخطئ أحدها طريقه إلـى نهر آخر، إنها في هذه الرحلة تقطع آلاف الكيلومترات ، وتواجه أمواجاً وتيـارات بحرية شديدة وعواصف قوية ، ولكنها لا تضلها عن طريقها فتصـل إلـى نفـس المكان الذي خرجت منه أمهاتها وآباؤها. فمن هدى هذه الثعابين العمياء إلى مواطن الآباء ؟ من؟ إلا الله الهادي سبحانه . =

= وقد تفصل الرياح بين أنثى فراشة وذكرها وتحمل كلاً منهما إلى مكان بعيد لكن سرعان ما يقع الاتصال بإشارات خفية تهدي الذكر إلى أنثاه فلا يضل طريقه إليها وإن وجدت الكثير من العوائق كالروائح المختلفة أو الرياح والغبار، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. وكمل الله للإنسان هدايته بإرسال الرسـل لتعليمـه الحقائق التي تغيب عنه ،والتي تتعلق بوجوده ومستقبله ومعرفة خالقه ودينه الـذي ارتضاه له ، فأرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات وأنزل معهم الهدى والشرائع كي لا يضلوا ويتخبطوا في الجهالات. فمن قبل هداية الدلالة والإرشاد [التي جـاء بهـا الوحي] منحه الله هداية التوفيق والإعانة التي اختص الله المؤمنين الصادقين بها ،

من الذي يهدي أسنان الفك الأسفل أن تتجه إلى أعلى، وأسنان الفك الأعلى أن تتجه إلى أسفل؟! . من الذي هدى الأنياب أن تنمو فوق الأنياب؟! . والأسنان فوق الأسنان؟! والأضراس (المطاحن) فوق الأضراس؟

من؟ إلا الهادي ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى:٢، ٣] من يهدي كل عضو في كل جسم، من نبات، أو حيوان، أو إنسان، إلى أن يأخذ مكانه الصحيح بين باقي الأعضاء، وأن ينمو بالقدر المناسب لباقي الأجزاء؟!

ومن الذي يهدي البذرة (الحبة) وهي تشق التربة عند نموها أن ترسل العروق (الجذور) إلى أسفل، والساق والأوراق إلى أعلى ؟! ولماذا لم نجد بذرة واحدة ينعكس الأمر فيها؟!

والتي يسألونها منه سبحانه فيعطيهم ويزيدهم هداية إلى هدايتهم ، وتوفيقاً وسداداً كما قال سبحانه : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد:١٧) ، وقوله تعالى : (وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(الحج: من الآية٥٤). وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت:٦٩) وتكتمل هداية الله لعباده المؤمنين في الجنة عندما يهديهم إلى ما أعدلهم من النعيم المقيم كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (يونس:٩) .

ألا يشهد ذلك لكل صاحب عقل : أن ذلك من صنع الهادي سبحانه؟

من الذي يهدي أوراق الشجر إلى التوزع على الساق، أو على الأغصان، فإذا خرجت الورقة الأولى من جهة : خرجت الثانية من جهة أخرى؟!

من الذي يهدي الشمس، والقمر، والنجوم في حركاتها، ويهدي الطيور الرحالة إلى بلدانها البعيدة؟!

أليس هو الهادي : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٢، ٣] والذي يهدي الشعرة والبذرة والورقة، وأكمل هدايته للإنسان فأرسل له الرسل وأبان له الهدى ؟!

ومن أيقن أن الله هو الهادي الحكيم فلن يقبل أي فكرة تعارض هدى الله، شعاره قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١].

الحافظ

إن الذي حفظك من الأخطار وأنت تتخلق في بطن أمك هو الذي يحفظ المخ الضعيف بقفص قوي من عظام الجمجمة، ويحمي العين بعظام الحاجب والأنف والوجنة، ويحمي القلب والرئتين بالقفص

الصدري ، إنه الذي يحفظ حياتك فيسر لك أسباب الحياة من طعام ومـــاء وهواء وضوء وحرارة وغيرها[١] .

---

(١) **الحافظ** : بدون حفظ الحافظ جل وعلا لخلقه ينفــرط عقــد الكــون، وتتفكــك المخلوقات من داخلها كما تدمر من خارجها ، فإذا تأملت في الذرة وجدتها محفوظة بقوانين صارمة قدرها الحافظ الحكيم ، ولو انفكت عرى الذرة لانطلقت منها طاقات ذرية مدمرة تكفي لتدمير كل ما حولها ، ولو اختل جدار كل خلية فـــي نبـــات أو حيوان أو إنسان لما تنوعت تلك النباتات والحيوانات ولما وجد نبات أو حيـــوان أو إنسان. وإذا تأملت في النظام البديع الذي يحفظ الله به كيان الكائنات الحية لوجدتـــه محكماً في داخلها وتركيبها بسنن تضبط نمو كل خلية وتحدد وظيفتها فـــي جســـم الكائن الحي، فتقوم الخلايا بوظائفها المحددة لها ، فخلية الزهـــرة تقـــوم بـــدورها ووظيفتها في إخراج الألوان الجميلة والروائح العطرة ، كما تقوم خلايـــا الجـــذور بدورها في شق التربة وتفتيت ما قد يقابلها من صخور ، وتقـــوم خلايـــا الورقـــة بدورها في صنع الطعام للنبات والحيوان والإنسان ، وهكذا خلية الإبصار فـــي = =عين صقر أو سمك أوإنسان تعرف دورها في رؤية الأشياء وتمييزها، والخلية في الأسنان أو الأنياب في فك إنسان أو تمساح تؤدي دورها في تمزيق الطعام وطحنه وتهيئته للبلع ، وخلية الجلد في جسم الإنسان أو الحيوان تقوم بدورها فـــي حفـــظ أجسام البشر والحيوانات مما قد تتعرض له من البيئة المحيطة بها ، كما تقوم خلايا قلف النبات (قشرة الأشجار والنباتات الخارجية) بنفس الدور لحماية خلايا النبـــات مما قد يتعرض له النبات من خارجه ، فسبحان الحافظ الذي خلق الخلايـــا وحفـــظ لكل خلية خصائصها وميزها بما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها على الوجه الأتم"

وجعل الله للإنسان جهازاً حافظاً يسمى بجهاز المناعة وهو يقوم بحفظ الجسم من داخله ، ومما قد يغزوه من خارجه ، فإذا دخلت شوكة في جلد الإنسان فإن مكانها قد ينتفخ إذا تسربت من خلال تلك الفتحة التي أحدثتها الشوكة في الجلد جراثيم بكمية تضر الجسم ، ويقوم الجسم بجهازه المناعي بفرض حصار على مكان اختراق تلك الشوكة في الجسم ؛ حتى لايسمح بنفاذ تلك الجراثيم إلى سائر الجسم ، ويقوم باستدعاء خلايا الدم المقاتلة للجراثيم إلى نفس الساحة لتدور معركة تسخن بها المنطقة وتتورم ويخرج منها القيح بأجسام كرات الدم البيضاء المقاتلة دفاعاً عن الجسم حتى يقضى على تلك الجراثيم ، فإذا تمكنت الجراثيم من اختراق الحاجز الأول لدفاعات الجسم فسوف تفاجأ بما أعده الحافظ من خط دفاع ثانٍ يتمثل في العقد اللمفاوية التي تنتشر تحت سطح الجلد ، وتمر منها جميع الدماء العائدة إلى الجسم ، وفي هذه العقد تمر الدماء في أنابيب كثيرة الالتواءات لتجعل طريق الجراثيم طويلاً في أقل حجم من الجسم هي العقدة اللمفاوية ، وعلى جانبي الطريق الملتوية توجد الخلايا المهاجمة لهذه الجراثيم فإن قضت عليها فقد تحقق حفظ الحافظ ، وإن تغلبت الجراثيم على خط الدفاع الثاني فإن في انتظارها خط دفاع = = ثالثا قد أعده الحافظ سبحانه في مركزين رئيسين هما الكبد والطحال ، وفيهما يتم التعامل مع تلك الجراثيم قتلاً وتدميراً ، فإذا عجز هذان المركزان وتمكنت الجراثيم من السير بأمان في الدماء والوصول إلى جميع خلايا الجسم فعندئذٍ تفاجأ بما خلق الحافظ جل وعلا من دفاعات جديدة ذات كفاءة عالية متخصصة ، فتظهر في الدماء الأجسام المضادة المناسبة لكل نوع من أنواع الجراثيم الغازية القادرة على الفتك بذلك النوع من الجراثيم الغازية ، فَمَنْ أعد الجسم بخطوط الدفاع المتعاقبة ومن علم الجسم دراسة الخصائص لذلك الجرثوم الغازي وصناعة السلاح القادر على الفتك

بذلك الجرثوم المهاجم دون غيره ؟! مَنْ إلا الحافظ سبحانه وتعالى الــذي يحفــظ الجسم البشري بمعقبات كثيرة غير الملائكة الذين قال الله عنهم : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِــنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...)(الرعد: من الآية١١) وإبهــام لفــظ المعقبات في الآية قد يتسع لكل ما يستقيم معه معنى اللفظ من الملائكة وغيرهم .

وكذلك في النباتات ، فقد جعل الله الحافظ لها وسائل تدافع بها عــن نفســها مــن المسببات المرضية ، ومن هذه الوسائل :

* **الدفاعات التركيبية** : فأول خَطٍ للدفاع ضد المسببات المرضية هو سطح النبــات الذي يجعل الله فيه دفاعات تركيبية مثل :

أ- الشمع الذي تطلى به الأوراق فلا يستقر عليها الماء ، وبالتالي لا تتوفر البيئــة الصالحة لنمو الفطريات وتكاثر البكتيريا .

ب- صغر حجم الثغور والعديسات ومواقعها وأشكالها، تمثــل عائقــاً للمســببات المرضية التي تهاجم النبات .

جــ- الأنسجة النباتية المتكونة من خلايا سميكة الجدران ؛ لإعاقة تقدم الفطريــات والبكتيريا . =

= د- الشعيرات على سطح النبات والتي يكون لها أثر طارد للمــاء وبــذلك تقــل الإصابة.

* وخلق الحافظ سبحانه للنبات دفاعات كيمائية يطلقها للــتخلص مــن المســببات المرضية أو إعاقتها .

* **دفاعات تركيبية وكيمائية طارئة :**

أ- تغيير في تركيب سيتوبلازم الخلية النباتية المستهدفة يؤدي إلى تحلــل خيــوط الفطريات المهاجمة .

ب- تراكيب للدفاع عن جدار الخلية تعيق المسبب المرضي وتحد من تكاثره .
جـ- تراكيب للدفاع عن النسيج تحاصر المسبب المرضي وتمنع وصول المواد الغذائية إليه .
د- قطع العضو المصاب للتخلص منه وبهذا يتم التخلص من المسبب المرضي.
هـ- تراكم الصمغ حول موقع الإصابة لعزل المسبب المرضي وإهلاكه. [انظر: كتاب علم الإيمان الجزء الثاني القسم الأول ص٨٢-٨٨] .
وهذه الأرض التي تحملنا في هذا الكون الفسيح قد حفظها الله بأنظمة حفظ كثيرة بقوى الجاذبية والمغناطيسية وتحديد فلكها وسيرها مع بقية المجموعة الشمسية وجعل لها ما يحفظها من الاصطدام بالنجوم أو الكواكب التي يزخر بها الكون، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) (فاطر:٤١) كما حفظها من الدخول في المناطق الخطرة التي تنبعث فيها إشعاعات ذرية مضرة ، وحفظ مَنْ عليها بأحزمةٍ مغناطيسية وغلاف جوي يمنع وصول الأشعة القاتلة إلى الكائنات الحية التي تعيش على سطحها ، فتأمل حفظ ربك للمخلوق الصغير الذي لاتراه العيون كالذرة = =وبعض الخلايا ، مع حفظ ربك للمخلوقات الكبيرة كالمجرات الهائلة الزاخرة بالنجوم التي لايقطع الضوء قطر بعض المجرات إلا في أكثر من ألفي عام وهو يسافر بسرعة ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية ، وما شوهد في الكون من مجرات يفوق المليارات من المجرات. تلك بعض آيات الحافظ المشاهدة في أرجاء الكون ، ومن يحفظ الكون وما فيه لاشك أن علمه قد أحاط بكل صغير وكبير فيه ، كما أحاط علم الله بأعمال عباده فيحفظها عليهم لتكون شاهدة لهم أو عليهم يوم القيامة ، ويحفظ الله عباده وأولياءه من الوقوع في الذنوب والمهلكات .

إنه الذي لم يكلفك بإدخال الهواء إلى جسمك، أو إخراجه في نومك أو في يقظتك، ولو كلفك ذلك لما تمكنت أن تعمل شيئاً غير إدخال الهواء وإخراجه! فإن غلبك النوم، انقطع عنك الهواء ويأتيك الموت !

إن الحافظ هو الذي يسوق السحب فوق رأسك، فلا ينزلها سيولاً تصب فتهلك الحرث والنسل .

إن الحافظ سبحانه هو الذي أحاط الأرض بغلاف من الهواء يمنع الأشعة الكونية القاتلة القادمة من الشمس والنجوم من أن تهلك الحياة والأحياء، وهو الذي جعل غلاف الهواء درعاً واقياً من تدمير الشهب والنيازك التي تسقط على الأرض بالملايين كل يوم وليلة، وهو الذي ثبت الأرض من أن تميد تحت أقدامنا بالجبال الراسيات!!

أفلا نشكر للمولى سبحانه : أن حفظنا من داخلنا، ومن فوقنا، ومن تحتنا ، وصدق الله القائل : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ[١] مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] .

ومن أيقن أن الله حافظه فلا يضره من في السماوات والأرض إلا بما قدر الله له[١]، شعاره قول الله : ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١] .

---

(١) معقبات : ملائكة تتعاقب على حفظه في الليل والنهار .

صفات أخرى[٢]

---

(١) قال تعالى : (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)(يوسف: من الآية٦٤) وقال تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يونس:١٠٧) وقال عليه الصلاة والسلام لابن عباس : "ياغلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف" ، رواه أحمد في مسند عبدالله بن عباس (٢٩٣/١) برقم٢٦٦٩ و(٣٠٣/١) برقم (٢٧٦٣) وقال شعيب الآرنؤوط إسناده قوي ، والترمذي ٦٦٧/٤ برقم (٢٥١٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١٤٩/٣ برقم (٥٣٠٢) .

(٢) **صفات أخرى** : إن أفعال الله الدالة على صفاته الكثيرة تملأ صفحة الوجود ، فالوجود كله من فعله ، وكل ما فيه أثر من آثار صفات أفعاله سبحانه ، والمتفكر في آيات الله في الكون يجد الكون كله أدلة على تلك الصفات المتعلقة بأفعال الله ، فمن أراد أن يعرف صفات الله المتعلقة بأفعاله فلينظر إلى هذا الكون الفسيح فيشاهد معرضاً واسعاً بامتداد الكون لتلك الآيات وصدق الله القائل : (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)(الأعراف: من الآية١٨٥).

وإذا تأملت إلى الطعام الواحد تأكله الأسرة فيتكون في جسم الرجل رجلاً، وفي جسم المرأة امرأة وفي جسم الطفل طفلاً .. فإذا أكله الهر تحول إلى جسم هر، وإن أكله الفأر، أو الكلب، كان فأراً أو كلباً، مع أنه نفس الطعام، فسبحان المصور الذي يصور كيف يشاء !!

وإذا تأملت إلى حنان الأم، ورحمتها بابنها، سواء كانت امرأة، أم أنثى حيوان، وجدت التضحية البالغة تظهر لك، حتى إن الدجاجة التي تخاف من صوت الطفل تنتفش وتهاجم من أراد فراخها بسوء .

إن تلك الرحمة التي تحمى بها صغار المخلوقات تشهد أنها من صنع الرحيم الرحمن.

وإذا تأملت إلى ضخامة المخلوقات : كالنجوم التي هي أكبر من أرضنا بملايين ملايين المرات، وتأملت إلى أدق المخلوقات التي تجتمع الملايين منها في قطرة ماء، وسألت نفسك : كيف خضعت كل هذه المخلوقات لسيطرة واحدة ونظام محكم دقيق؟! عندئذ ستجد الإجابة : بأن هذا من صنع القوي المهيمن سبحانه وتعالى(١).

---

(١) مرّ معنا الكلام عن بعض صفات الله المتعلقة بأفعاله ، ولله صفات متعلقة بذاته كحبه للمؤمنين وفعل الصالحات وكراهيته للكافرين وفعل المعاصي ، وكصفتي الرضى عن عباده المؤمنين والسخط على الكافرين ، وغيرها من الصفات المتعلقة بذاته التي لا تعلم إلا بتعليم منه أو من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتأمل في

الواحد الأحد

مثال المصباح الذي تقدم ذكره في القاعدة الثانية من القواعد العقلية ستجد أنك تستطيع أن تعرف بعض صفات صانع المصباح من النظر في المصباح ، مثل كونه يملك زجاجاً ومعدنا، ويستطيع أن يشكل الزجاج في شكل كروي أو اسطواني، كما يستطيع أن يشكل المعدن في شكل غطاءٍ معدني محكم على فتحة زجاج المصباح ، وبذلك نعرف أنه حكيم ، وإذا أضاء المصباح بالكهرباء علمنا أن صانع المصباح لديه علم بالكهرباء وخاصيتها التي تضئ ، فنعرف تلك الصفات عن صانع المصباح مع أننا لم نره ، لأنها متعلقة بأفعاله المشاهدة .

ولله المثل الأعلى ، فنستطيع أن نعرف الكثير من صفات الله المتعلقة بأفعاله بالنظر في مخلوقاته ، لكن إذا عدنا إلى مثال صانع المصباح وسألنا عن صفات ذات صانع المصباح أهو جميل أم قبيح ؟ طويل أم قصير رجل أم امرأة ؟ كريم أم بخيل ؟ فلا سبيل إلى معرفة تلك الصفات المتعلقة بذات صانع المصباح إلا عن طريق الإخبار من مندوب يعرف صانع المصباح ، أو كتاب يحمله ذلك المندوب من الصانع نفسه يبين فيه صفات ذلك الصانع ، ولله المثل الأعلى ، فصفات الله=

=المتعلقة بذاته لاتعلم إلا بتعليم من رسله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) (الجن:٢٦-٢٧). أو ما جاء في كتابه الكريم من بيان لصفات الله المتعلقة بذاته سبحانه .

ويقدم الوجود كله شهادة بأنه من صنع الواحد الأحد[١] .

(١) **الواحد الأحد** : إذا تأملت في نظام الكون كله وجدت أنه يتكون من أجزاء صغيرة ترتبط مع بعضها بأنظمة محكمة مكونة كيانات أكبر ، كما هو الشأن في جسيمات الذرة التي تجتمع مع بعضها لتكون الذرة. وكما تجتمع الذرات في جزيئات مكونة العناصر والمواد التي تبني الكون وتركب منها المخلوقات ، وتجتمع الجزيئات مع بعضها مكونة المركبات الكيمائية ذات الخصائص البديعة ، كما يتكون عنصر الماء من ذرتين هما : ذرتين من الأيدروجين وذرة من الأكسجين ، وإذا أضيف إلى هذين العنصرين عنصر الكربون تكون منه مركب كالسكر مثلاً الذي تتكون منه أغذية الكائنات الحية .
وتجتمع المركبات مع بعضها لتكون خلايا في جسم الإنسان أو الحيوان لتقوم بوظائف الحياة في تلك الخلايا ، وتجتمع الخلايا مع بعضها مكونة أنسجة أكبر كنسيج العضلات الذي يتكون من الخلايا العضلية ، ونسيج العظام الذي يتكون من الخلايا العظمية ، وتجتمع الأنسجة مكونة الأعضاء ، مثل تكون المعدة من عدة أنسجة. وترتبط الأعضاء بعضها ببعض مكونة جهازاً كما هو شأن الجهاز الهضمي الذي يتكون من أعضاء الفم والمريء والمعدة والأمعاء .=
= وتجتمع الأجهزة وتترابط مع بعضها لتكون كائناً حياً مستقلاً ، كما هو الشأن في اجتماع أجهزة الإنسان التي تكون جسم الإنسان كجهاز الهضم ، وجهاز التنفس والجهاز الدوري الدموي ، والجهاز الهيكلي الذي يكون العظام والعضلات ، والجهاز الإخراجي الذي يخرج الفضلات الضارة من الجسم ، والجهاز العصبي الذي يسيطر على نشاط الجسم وحركة البدن ، وتجتمع الأجسام الآدمية مكونة

القبائل والشعوب من شتى أنحاء الأرض ، كما تجتمع معها الكائنات الحية من نبات وحيوانات لتكون مجموعة أكبر هي الكائنات الحية على وجه الأرض .
وترتبط الكائنات الحية بغيرها من المخلوقات في الأرض كماء البحار والأنهار وغلاف الهواء الجوي المحيط بالأرض ، وتربة الأرض ومعادنها والسحب والرياح والأمطار ، وترتبط كلها بجسم الأرض الذي يتعاقب عليه الليل والنهار ، فتتوفر بذلك مقومات الحياة لهذه الأحياء على الأرض ، وترتبط الأرض وأنظمتها بنظام أكبر هو نظام المجموعة الشمسية الذي يشمل الشمس وكواكبها المحيطة بها، والتي منها الأرض ، وفي نظام المجموعة الشمسية تترابط الكواكب مع بعضها ومع شمسها بروابط الجاذبية والمغناطيسية والطاقة الضوئية (الكهرومغناطيسية) وغيرها من الروابط التي تجعلها مجموعة متكاملة متوازنة ، وترتبط هذه المجموعة الشمسية بسائر النجوم والمجموعات الأخرى للكواكب التي تدور وترتبط بتلك النجوم في مدينة كبرى مترامية الأطراف تسمى المجرة ، وترتبط المجرَّةُ بدورها بنظام أكبر مع سائر مجرات الكون. وهكذا نرى أن أصغر جُزْءٍ كالذرةِ مرتبط بأكبر مخلوق كالمجرة في سلسلة من الارتباطات ، لو اختل رباط منها لأنفرط عقد ذلك البناء ، فلو حدث خلل في المجرة لتسرب الخلل إلى المجموعة الشمسية ، وإذا وصل الخلل إلى المجموعة الشمسية فسيصل إلى الأرض ، وإذا وصل الخلل = =إلى الأرض فسيصل إلى ما عليها من الكائنات ، وإذا وصل الخلل إلى الكائنات فسيصل إلى أجهزة تلك الكائنات ، ومنها إلى أعضاء تلك الأجهزة ، ثم منها إلى الأنسجة المكونة لتلك الأعضاء ، ثم منها إلى الخلايا ومن الخلايا يصل الفساد والخلل إلى المركبات ، ومن المركبات إلى الجزئيات ومن الجزئيات إلى الذرات ، ومن الذرات إلى جسيماتها الدقيقة ، فتأمل هذا النظام الواحد المتكامل مع بعضه

فأنت ترى أن غذاءك يتوقف على عمل المعدة والأمعـــاء، ويقـــول الأطباء: إن عمل الأمعاء يتوقف على عمل الدماء، ويتوقف دور الـــدماء على الهواء وحركة التنفس، ويتوقف الهواء الصالح للتنفس علـــى عمـــل النباتات، ويتوقف عمل النباتات على وجود الشـــمس، ووجـــود الشـــمس يتوقف على وجود الكواكب المحيطة بها والنجوم الأخرى.. وهكذا نجد:

والذي يربط المجرة بالذرة ويشهد لكل عاقل أن إرادة واحدة هي التي أرادت تلـــك الأنظمة المترابطة، ولو كان هناك إرادتان متعارضتان لفسد نظام الكون .

فلو كان للشمس إله وللأرض إله آخر ، وللهواء إله، وللدماء إله ثالث ورابع وهكذا لأخذ رب الأرض أرضه ، ورب الشمس شمسه ، ورب الدماء دماءه، ورب الهواء هواءه قال تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (المؤمنون:٩١) ولو وجد إله غير الله فلا يكون إلها إلا إذا كان قادراً على الخلق مستقلاً عن غيره ، وإلا إذا كانت له إرادة مستقلة لا تحكمها إرادة غيره، ولو كان هناك إله غيـــر الله فعندئـــذ ستوجد إرادتان مستقلتان مختلفتان، وعندئذ ستتصارع هذه الإرادات علـــى نظـــام الكون الواحد فيفسد الكون ويفسد نظامه ؛ لكن هذا النظام الواحد للكون يشهد أنـــه يسير بإرادة واحدة هي إرادة الخالق الواحد الأحد سبحانه قال تعالى : (لَـــوْ كَـــانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الانبياء:٢٢).

ولو كان هناك عدة آلهة لشهدنا التحالفات بين هذه الآلهة ليصلوا إلى صاحب القرار الأول في هذا الكون قال تعالى : (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَـــى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً) (الاسراء:٤٢-٤٣).

أن كل شيء يعتمد في وجوده وعمله على غيره من الأشياء كما رأينا أن المعدة مرتبطة بنجوم السماء، وذلك يشهد أن الجميع من صنع رب واحد، قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

ولو كان هناك آلهة غير الله لحدث الصراع بينهم على تسيير هذه المخلوقات وعندئذ يدب الفساد على الأرض والسماء، قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

ـ من صاحب هذه الصفات؟

رأينا مما سبق أننا إذا تفكرنا في الكون والمخلوقات من حولنا وجدنا أن كل شيء يشهد بأن خالق هذه المخلوقات هو : الخالق، الحي، القيوم، العليم، الحكيم، الخبير، الرزاق، الهادي، الحافظ، المصور، الرحيم، القوي، القادر، المهيمن، الواحد، الأحد[1] .

---

(١) **من صاحب هذه الصفات** ؟ إذا تأملت في معرض الكون الزاخر بآيات الله والآثار الدالة على صفاته سبحانه كما سبق بيانه ، وجدت أن الله قد بث في هذا الكون من الآيات والآثار ما لايحصى من الأدلة التي تعرفنا به سبحانه ، فهو

سبحانه الذي خلق المخلوقات ولم تك شيئاً وكانت قبل ذلك عدما ، وهو الذي جعل في هذه المخلوقات علامات وآيات وآثاراً تدل على بعض صفاته وبعض قدرته كما شرحنا ذلك في القاعدة العقلية الثانية ، فدلت آيات الخلق وآثاره على أن لهذا الكون خالقاً خلقه ؛ لأن العدم لا يفعل شيئا ولا يخلق شيئاً ، ودلت آثار الحياة في تيارها المتدفق الذي يملأ الوجود حركة ونشاطاً أنها من آثار الحي القيوم الذي يقوم على كل شيء ويدبر أمره، ودلت آثار العلم وآيات العليم على أن الخالق سبحانه يتصف بالعلم، وعلمه هو الذي لا يسبق بجهل ولايعتريه نقص ، ومن تأمل في آثار الحكمة وآياتها وجدها شاهدة ناطقة بأن رب الوجود حكيم في أفعاله صغر ذلك الفعل أم كبر ، ويشهد الكون الذي ينظم بأدق السنن الظاهرة والخفية بأن رب هذا الكون هو الخبير سبحانه، كما تدل آيات الرزق وآثاره المشاهدة من تدبير أرزاق الكائنات وتوفير حاجاتها من طعام وشراب بالمقادير الكافية والألوان البديعة والطعوم المتعددة ومصادرها المتجددة التي لا تقصر عن حاجة مخلوق : يشهد كل ذلك بأن رب تلك الأرزاق وخالقها هو الرزاق الكريم ، ومن تأمل في صفحة الكون ورأى ما فيه من حركات تملأ صفحة الوجود وجدها حركات هادفة تسير نحو أهدافها المحكمة البديعة بتوجيه سديد وإحكام بديع ، فتساهم مع بقية الآيات في الشهادة = =بأن خالق الكون هو الهادي لكل مخلوق ، ولكل حركة في الوجود ، وأنه الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، ومن تفكر في السنن التي يجريها الله عز وجل لحفظ المخلوقات من الذرة إلى المجرة يجدها آثاراً شاهدة دالة على أن الخالق هو الحافظ سبحانه ، ومن سرَّح النظر في الصور البديعة الجميلة في آفاق هذا الكون ومخلوقاته البديعة الجميلة وجدها تحمل آثاراً دالة على أن الذي أبدع الصور الجميلة المتقنة من أصول واحدة هو المصور البديع، وتشهد آيات الرحمة وآثارها

التي ترى في عاطفة الأمومة نحو صغارها وترى في توفير حاجات العبـاد كمـا ترى في توفير حاجات الكائنات لدوام وجودها وحفظها بأن ربهـا هـو الـرحيم سبحانه، ومن رأى الأجسام العملاقة للنجوم والكواكب التي قد يفوق حجم الواحـد منها حجم الأرض بمئات الملايين من المرات وهي تجري فـي أفلاكهـا لاتتقـدم ولاتتأخر عن مواعيدها ولا تحيد عن مساراتها وهي تحتشد في صـفحة الوجـود بمليارات المليارات من الكواكب والنجوم يعلم أن الذي يمسكها من أن تتصادم وأن تقع على بعضها هو القوي القادر سبحانه، وتشهد آيات و آثـار الضـبط الـدقيق والتسيير الهادف لأحوال المخلوقات بأنها بأمر المهيمن تسير، وأنها علامات علـى صفة الهيمنة التي تخضع الكون كله لأمره سبحانه وتعالى ، ومن تأمل فـي آثـار الوحدة في بناء هذا الوجود : في تكوينه من لبنة واحدة هي الذرة ، وفـي ارتبـاط أنظمته بعضها ببعض، وتكامل الأجزاء مع غيرها لينشأ هذا الكون المترابط الـذي يسير تحت إرادة واحدة : تشهد له كل تلك الآيات بأنه مـن صـنع خـالق واحـد لاشريك له في خلقه أو أمره ، وهكذا يتقدم الكون بما يزخر به من المخلوقات فـي معرض لامثيل له يحتوي على مليارات الأدلة الناطقة الشاهدة بأن لهذا الكون خالقاً أوجده من العدم، وأنه يتصف بأعظم الصفات، وأنه الخالق الحي القيـوم العلـيم= =الحكيم الخبير الرزاق الهادي الحافظ المصور الرحيم القوي القادر المهيمن الواحد الأحد الذي لاشريك له ، وكما شهد الكون بهذه الأدلة التي لاتحصى أمام كل عاقل يحترم عقله : ينطق المسلم بالشهادة الكبرى في هذا الوجود ويقدمها شهادة كاملـة محققةً لما تدل عليه وتوجبه من حق للخالق على مخلوقاته شهادة يقرُّ بها العبد لربه وخالقه أن لاخالق غيره ولا مستحقا للعبادة سواه ، فكانت الشهادة الكبـرى التـي

وكما شهد الكون كله بهذه الشهادات فإن المسلم قد شهد مع الكـــون كله وردد هذه الشهادة عن علم ويقين فقال: (أشهد أن لا إله إلا الله).

وإذ كنا عرفنا من القاعدة الأولى : أن العدم لا يخلق شيئاً، وعرفنا من القاعدة الثانية بعض صفات الخالق، فإننا سنعرف من القاعدة الثالثـــة أنه لا يتصف بهذه الصفات إلا الله وحده لا شريك له .

ـ القاعدة الثالثة ـ فاقد الشيء لا يعطيه :

إن الذي لا يملك مالاً، لا يطلب الناس منه المال، والجاهل لا يـــأتي منه العلم، ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

وبالتفكير رأينا العلامات والآيات فـــي المخلوقـــات التـــي تعرفنـــا بصفات الخالق سبحانه، وإذا عرفنا الصفات عرفنا الموصوف[١] .

يقدمها العبد في هذا الوجود تتردد أصداؤها في أرجاء هذا الوجود تنطق أحوالهـــا بشهادة صادقة هي [شهادة أن لا إله إلا الله] .

(١) **فاقد الشيء لا يعطيه** : من القاعدة العقلية الأولى نعرف أن العدم لايخلق شيئاً وأن هذه الموجودات التي توجد كل يوم ووجدت في ما مضى ولم تك شيئاً تشـــهد بأن لها خالقاً أوجدها لأن العدم لا يخلق شيئاً ، ومن القاعدة الثانية التي تقول التفكر في المخلوق يدل على بعض صفات الخالق : نعلم بعض صفاته ، ونعلم أنه الخالق الحي القيوم العليم الحكيم الخبير الرزاق الهادي الحافظ المصور الـــرحيم القـــوي القادر المهيمن الواحد الأحد سبحانه وتعالى ، فمَنْ صاحب هذه الصـــفات ؟ وهـــل يمكن أن يتصف بها أي شيء من الموجودات في الأرض أو السماوات؟ هل يمكن

أن توصف الشمس بأنها عليمة حكيمة خبيرة مصورة بديعة إلى آخر الصـــفات؟! وهل يمكن أن يوصف القمر أو النجم بشيء من هذه الصفات ؟ وهـــل يمكـــن أن يوصف بها شيء في الأرض من جبال أو أنهار أو بحار أو نبات أو حيوان ؟! إن القاعدة الثالثة التي تقول: فاقد الشيء لا يعطيه تدلنا على أن كل هـــذه المخلوقـــات التي تقع عليها أبصارنا لاتملك علماً ولاحكمة ولا خبرة ولا إرادة ، ولا يمكن بحال أن ينسب إليها خلق هذا الوجود ، كيف وهي لا تملك لنفسها ضـــراً ولا نفعـــاً ولا تبديلاً ولاتحويلاً !

فمَنْ صاحب هذه الصفات التي يشهد بها الكون كله؟ إنه لاشك غير هذه المخلوقات إنه ربها وخالقها الذي أوجدها ولم تك شيئاً ، إنه الله الواحد الأحد ســـبحانه الـــذي يستحق أن يعبد ولا يعبد غيره وأن يطاع فلا يعصى ، وتلك شهادة المسلم التي تقوم عليها الأدلة والبراهين التي لاحد لها قال تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَـــا عَلَيْـــكَ = =بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) (الجاثـــية:٦). ومن الناس من يجحـــد تلك الحقائق فينكرها ويعمى عن تلك الآيات فيتخبط في الضلالات ، ومـــنهم مـــن يتوهم بتخريفات حمقى لاحجة لهم فيتوهم أن صاحب الخلـــق والتـــدبير والـــرزق وسائر صفات الكمال العليا هي مجموع هذه المخلوقات ويسمونها الطبيعة ، وهـــي كلها لاتخرج عن كونها مخلوقات عاجزة لا تملك لنفسها مفردة أو مجتمعة تبـــديلاً لصفة من صفاتها أو قدر مما قدر الله لها ، كما لاتملك أن تتحول من حال إلى حال حسب مشيئتها ، وأنى لها المشيئة الحرة وهي مخلوقة وفق إرادة الذي خلقها .

فالذين يزعمون أن الطبيعة خلقتهم، خالفوا العقل وحاربوا الحــق، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم، عليم، خبير، هاد، رزاق، حافظ، رحــيم واحد أحد .

والطبيعة الصماء الجامدة لا تملك علما، ولا حكمة، ولا حيــاة، ولا رحمة، ولا إرادة، فكيف ظن الجاهلون هذا الظــن؟! وفاقــد الشــيء لا يعطيه .

ـ ما هي الطبيعة ؟

الطبيعة هي هذه المخلوقات بما هي عليه من صفات .

ولقد عبد الوثنيون أجزاء من الطبيعة مثــل : الشــمس، والقمــر، والنجوم، والنار، والأحجــار، والإنســان، ويتــوهم الوثنيــون الجــدد (الطبيعيون) أن مجموع الأوثان السابقة (الطبيعة) هي التي خلقتهم، مــع أن الطبيعة لا تملك عقلاً ولهم عقول؟!! ولا تملك علماً، ولهم علم!!! ولا تملك خبرة، ولهم خبرة!! ولا تملك إرادة، ولهم إرادة[1]!!! أما علمــوا أن

(١) **ما هي الطبيعة** : الطبيعة عند الطبيعيين : هي مجموع هذه المخلوقات التــي يشتمل عليها الكون وما طبعت عليه من الخصائص والصفات ، وفيما عدا الإنسان مما نراه من هذه المخلوقات كلها لا تملك عقلاً ، فلا عقل للشــمس ولا للقمــر ولا للنجوم ولا للكواكب ولا للأرض ولا ما عليها مــن البحــار والأنهــار والجبــال والأشجار والحيوان، ولاتملك إرادة تحول بها نفسها وفق مشيئتها من حــال غيــر

فاقد الشيء لا يعطيه، قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا

الذي قدره لها خالقها إلى حال جديد تريده لنفسها ، إنها خاضعة مستسلمة لأمر ربها، فلا تملك الشجرة أن تحول نوعها إلى صنف من شجر آخر ، ولا تملك الورقة فيها أن تتحول إلى جذر أو ثمرة ، ولا يملك الجبل أن يحول موقعه وتكوينه وتركيبه ، ولايملك البحر أن يغير خصائصه وصفاته ، كما لا تملك الشمس أن تغير مدارها أو سرعتها أو أي أمر مما قدره الله لها ، وهكذا كل المخلوقات والموجودات .

وفيما عدا الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان وكائنات دقيقة ، كلُّ ما نشاهده في الكون مما سوى ذلك مادة ميتة جامدة صماء بكماء .

والنباتات والحيوانات والإنسان لا تستطيع تبديل ما قدر الله لها ، فلا تستطيع العين في مخلوق أن تصبح أذنا ، كما لا تستطيع المعدة أن تتحول إلى قلب أو رئة ، ولا يستطيع النبات أن يتحول إلى بشر ، ولا أن يتحول البشر إلى مخلوق آخر، ولا يستطيع كائن حي أن يكتب لنفسه الحياة إذا جاءه قدر الموت. وإذا سألت الطبيعيين هل تملك الطبيعة عقلاً ؟ أو علما ؟ أو حكمة ؟ أو خبرة أو إرادة؟ نفوا ذلك نفياً= =باتاً. فكيف ينسب الوثنيون الجدد (الطبيعيون) خلق هذا الكون إلى نفسه وقد كان في العدم قبل الوجود؟! وكيف أوجد نفسه وقد كان معدوماً لم يخلق بعد؟! وكيف خلقت الطبيعة الصماء البكماء العمياء الجامدة كونا يشهد أن خالقه هو الحكيم العليم الخبير الهادي الرزاق الحافظ الرحيم الواحد الأحد ؟! إنهم يتعامون عن الحقائق التي تملأ صفحة الوجود ، ويجادلون في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير كما قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (الحج:٨) .

لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَـــهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣)مَــا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

شبهـــة[1] ورد

يزعم بعض الملاحدة بأن الطبيعة هي التـــي تخلــق المخلوقــات، ويستدلون على ذلك بما يشاهد من تكون الدود على بقايا وفضلات بعض الحيوانات والإنسان!

ولقد تقدم العلم وكشف للناس أن هذا الــدود الــذي يتكــون علـــى الفضلات وغيرها قد جاء من بيض صغير لا تــراه العيــون، وأمكــن مشاهدتها بالمكبرات (المجاهر أو المايكروســكوبات) وســقطت شــبهة الملاحدة في هذا الباب .

ولكنهم عادوا وقالوا : إذا كان الدود قد جاء من دود ســابق عــن طريق البيض الصغير الذي لم نراه، فإن الجراثيم التي تعفــن الأطعمــة وتفسدها قد جاءت من الطبيعة، ولم تولد من جراثيم سابقة، ولكــن هــذه

---

(١) **شبهة ورد** : هذه الشبهة يسميها الملاحدة شبهة التولد الذاتي ، أي أن الأشــياء تتولد بالطبيعة من مواد طبيعية بحتة ، وقد سقطت هذه الشبهة في منبتها منذ عقود طويلة، وعرف الملاحدة بطلانها منذ أكثر من مئة عــام لكــنهم يصــرون علـــى ترويجها بين ضعاف المسلمين لتشكيكهم في دينهم .

الشبهة أيضاً دحضت قبل أكثر من ثمانين عاماً عندما اكتشف البــاحثون طريقة يحفظون بها الطعام دون أن يتعفن وذلك بعزل الطعام في علــب محكمة تقتل فيها الجراثيم بالحرارة، أو الأشعة، وتعزل عن الهواء حتـــى لا تأتي جراثيم جديدة عن طريق الهواء . وبهذا عرف الناس أن جميـــع المخلوقات تأتي من مخلوقات سابقة، ولا تتولد من الطبيعة كمـــا يـــزعم الجهلة من الملحدين .

وإن تعجب أيها المسلم فمِنْ زعماء الإلحاد الذين يعرفون الحقــائق منذ أكثر من ثمانين عاماً، ولكنهم يصرون على نشـــر هـــذه الجهـــالات لترويج الإلحاد الذي لا يعيش إلا مع الجهل!!

الرد على ضلالات النصارى

عندما نجى الله عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ من كيد أعدائـــه، ورفعه إلى السماء، وقع باقي العلماء مـــن النصـــارى تحـــت إرهـــاب الرومان، فاختفى كثير مـــنهم، وقتـــل آخـــرون، فشـــاع الجهـــل بـــين النصـــارى،[1] وضـــاع إنجيـــل عيســـى، فاســـتبدلوه بأناجيـــل مـــن

(١) **الرد على ضلالات النصارى** : أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام إنجـــيلاً واحداً فجعل منه النصارى سبعين إنجيلا ، كل طائفة منهم تزعم أن إنجيلهـــا هـــو الحق ، وعندما دخل الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين دين النصرانية عمـــل على توحيد كلمة النصارى فعقد مؤتمراً لذلك في نيقية (عام ٣٢٥م) وأقـــروا فـــي مؤتمرهم هذا قبول أربعة أناجيل وأمروا بإحراق ما بقي من السبعين إنجيلا. وحتى الأربعة التي قبلوها مختلفة فيما بينها ، ورجال الكنيسة يعترفوا بأنه لايزال هنـــاك أكثر من خمسين ألف خطأ ، وقد نشرت ذلك مجلة "اليقظـــة" (AWAKE) منـــذ حوالي نصف قرن ... وفي العدد السابع عشر من المجلد الثامن والثلاثين بالضبط. [حوار صريح بين عبدالله وعبدالمسيح. د/ عبدالودود شلبي. ص٩٥]. ونحن نؤمن أن الله أنزل إنجيلاً على عيسى عليه السلام خالياً من أي خطأ أو تناقض ، وقد ذكر هذا الإنجيل الصحيح داخل الأناجيل المزعومة فقد جاء في إنجيل مرقص ، عنـــد ذكر بدء دعوة عيسى عليه السلام ما نصه "وبعدما أسلم يوحنا ، جاء يســـوع إلـــى الجليل ، يكرز.. بإنجيل ملكوت الله ، ويقول : "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا ، وآمنوا بالإنجيل) [مرقس (١/١٤-١٥)] .=

تأليفهم[١]، وكتب كل مؤلف اسمه على إنجيله الذي يختلــف عــن بــاقي الأناجيل ، وأصبح لديهم عدد من الأناجيل، مثل : إنجيل متــى، إنجيــل يوحنا، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا، إنجيل برنابــا[٢]، حتــى بلــغ عــدد

= فأين هذا الإنجيل الذي كان بيد عيسى عليه السلام يدعوا الناس منذ بداية بعثتــه للإيمان به ؟!!!

لقد فقدوا كتاب ربهم الهادي الذي يهديهم ، فلا عجب بعد ذلــك أن يضــلوا عــن الطريق .

(١) والدليل على ذلك ما كتبه لوقا ، أحد كتاب الأناجيل الأربعــة المعتمــدة لــدى النصارى ، فقد جاء في الإصحاح الأول العدد (١-٤) ذكر سبب كتابه لوقا لإنجيله قال فيه "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عنــدنا ، كمــا سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين ، وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضــاً إذا قــد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتبها على التوالي إليــك أيهــا العزيــز ، ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به" [لوقا (١/١-٤)] .

نلاحظ في النص أن هناك عدد كثير الغوا قصة لحياة المسيح عليه الســلام ، كمــا سمعوها من أسلافهم الذين كانوا شهوداً على الأحداث ، فأراد لوقا أن يؤلف مــثلهم ليرسلها إلى صديقه العزيز ثاوفيلس ، فلم يدعي لوقا أن ما كتبه هو كلام الله .

(٢) هذا الأنجيل مذكور بين الأناجيل التي أمرت الكنيسة بإحراقها، إلا أن مكتبــة البابا في روما كان يوجد فيها نسخة من هذا الإنجيل ، ومنذ أكثــر مــن مــائتين وخمسين عاماً عثر راهب إيطالي اسمه (فرامرينو) على هذه النسخة فــي مكتبــة البابا الذي كان مقربا لديه ، واندهش فرامرينو عندما وجد هذا الانجيــل يــذكر =

الأناجيل أكثر من سبعين إنجيلاً ، ثم اختاروا في مؤتمر نصراني أربعـــة من هذه الأناجيل، وأحرقوا ما بقي، وزعموا : أن الله ثالث ثلاثـــة[١] وأن عيسى ابن الله[٢] .. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. ثم قالوا بعد ذلك:

=التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع ، ويذكر أن الله واحـــد لاشريك له وأن عيسى عبد الله ورسوله ، فأخذ الانجيل وعمل على طبعه ونشـــره بعد أن أسلم .

(١) وهناك إنجيل سادس يقال له إنجيل يهوذا عثر عليه في مصر ، وهذا الإنجيل ينقض ما جاء في الأناجيل الأخرى من أن يهوذا الأسخر يوضـــي أحـــد حـــواري المسيح خان المسيح عليه السلام ، فيدعي فيه يهوذا أن الذي أمره بالوشاية به هـــو عيسى عليه السلام نفسه يقول يهوذا في هذا الإنجيل أن عيسى أمره بذلك وقال لـــه "ستسموا عليهم جميعاً وستضحي بالرجل الذي اتخذت هيئته" فمن هو الرجل الـــذي اتخذ هيئته ؟!! وقد أحدث هذا الإنجيل ضجة بين أوساط النصارى ، وتحدثت عنه قناة الجزيرة وغيرها من القنوات ، كما ظهر أيضاً : إنجيلاً سابعاً هو إنجيل مريم المجدلية ، التي يدعي بعض النصارى أن المسيح تزوج بها ، وهناك أيضاً إنجـــيلاً ثامناً يسمى إنجيل الطفولة يحكي فترة طفولة عيسى عليه السلام .

(٢) التثليث غريب على عيسى عليه السلام ، فلم ينطق عيسى عليه السلام بالتثليث ولا يعرف الثالوث حتى رفع ، بل قال إن الله واحد وأن أول وأعظم الوصايا التي جاء بها هي إثبات الوحدانية لله فعندما سأله أحد اليهود عن أول الوصايا التي جاء بها أجابه قائلاً : "إن أول كل الوصايا هي : إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" [إنجيل مرقس (١٢/٢٨)] .=

إن الله واحد، فأصبحوا يعتقدون بما لا يقبله العقل، وهو أن الله واحد وأنه ثلاثة في نفس الوقت[1] .

= فعيسى عليه السلام يثبت أن الرب إلهه وكما هو إله بني إسرائيل وأنه واحد لاشريك له ويقول عيسى في إنجيل يوحنا قبل أن يرفع إلى السماء "وإني أصعد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم" [إنجيل يوحنا (١٧/٢٠)] .

وأكثر من هذا مازالت نصوص موجودة في الإنجيل تثبت أن عيسى عليه السلام هو نبي الله .

فقومه الذين رأوا معجزة إحيائه للميت بإذن الله مجدوا الله وقالوا "قد قام فينا نبي عظيم" [إنجيل لوقا (١٦/٧)]. وسألوا الذي كان أعمى وشفاه عيسى بإذن الله حيث قالوا له : "وما رأيك أنت فيه ما دام قد فتح عينيك ، فأجابهم بأنه نبي" [إنجيل يوحنا (١٧/٩)] .

وعندما ذهب عيسى عليهم السلام إلى أورشليم [القدس] "هتفت الجموع : هذا يسوع النبي الذي من الناصرة بالجليل" [إنجيل متى(٢١/١٠-١١)] .

وهناك نصوص كثيرة في أناجيلهم المعتمدة لديهم تثبت وحدانية الله عزوجل ونبوة عيسى عليه السلام ولكن لا يسعنا كتابتها هنا .

(١) بعد أن أضاع النصارى الإنجيل تخبطوا في الضلال ، فاختلفوا حول شخصية المسيح عيسى عليه السلام ، هل هو إله أم إنسان ؟ فبزعمهم أنه ابن الله وابن مريم قرروا أن نصفه إله ونصفه إنسان ، واختلفوا حول طبيعته وما الصفة المتغلبة فيه هل هي صفة الألوهية (اللاهوت) أم الإنسانية (الناسوت)؟ وقرروا أنه إله وأنه ثالث ثلاثة ، وقد كانوا يتوارثون من عهد المسيح عليه السلام أن الله واحد لاشريك له،=

= فأشكل عليهم الأمر بعد مقولتهم الجديدة : إن الله ثالث ثلاثة ، فقرروا أن هذا سر

قال البوصيري :

جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهتدوا لم يجعلوا العدد الكثير قليلاً

ويزعمون : أن الله (أي عيسى) مات مصلوباً، مع اعتقادهم أن الملائكة لا تموت، وأن البشر (اليهود والرومان) هم الذين قتلوا عيسى . ويقررون في أناجيلهم أن بعض أتباع المسيح وجدوه حياً بعد حادثة الصلب[١] والله يقول : ﴿.. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ

من أسرار العقيدة ليس للعقل فيه مجال!! بعد أن جاءوا بما يصادم العقل وهو أن الله واحد وأنه ثلاثة في نفس الوقت .

(١) وحادثة صلب عيسى من القضايا الكبرى في تاريخ النصارى ، اختلط عليهم الأمر فيها فتخبطوا تخبطاً كبيراً ، ونُقلت عنهم نصوص يعارض بعضها بعضاً، ففي إنجيلهم المعتمد لديهم يذكرون أن عيسى عليه السلام كان مع أصحابه وعلم بأن جند الروم يبحثون عنه فلجأ إلى ربه بالدعاء ، وكان العرق يتساقط من وجهه. ألا يشهد هذا لكل عاقل أن عيسى عبد لله لا يقدر أن يدفع عن نفسه خطر المخلوقين ويلجأ إلى خالقه لينجيه. والسؤال الآن عن الله الذي لجأ إليه عبده ورسوله هل يسلمه لأعدائه وهو يستغيث به أم يغيثه وهو القادر على أن ينجيه من كربه ؟ الذين يزعمون أن المسيح صلب يظنون بالله سوءا وينتقصون من مكانة عيسى عليه السلام عند ربه، ويزعمون أن الله خذله وأسلمه لعدوه فقتله وصلبه ، ويجلي القرآن غوامض هذه المسألة ، فيبين أن الله نصر عبده ورسوله عيسى عليه السلام ونجّاه= = من أعدائه وانتقم من خصمه الذي وشى به إلى الروم ، فحوّل الواشي يهوذا في صورة عيسى، (لايوجد في ديننا ما يثبت أن الواشي هو يهوذا أو أنه الذي حول

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧)بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧،١٥٨] .

على شبه عيسى عليه السلام) وأنجى الله عيسى من مكر أعدائه ، وصرف عنه جند الروم بالقاء القبض على يهوذا بعد أن جعله الله في صورة عيسى وشَكْلِه ، كما جاء ذلك في انجيل برنابا (١٣٠/١) وكلما صرخ يهوذا أنه ليس المسيح ازدادوا له ضربا ، وازداد أعداء المسيح تأكيداً لجند الروم أنه هو .

وتذكر الأناجيل المعتمدة الآن عند النصارى أن أصحاب المسيح وجدوه حيا يرزق بجسمه وروحه بعد حادثة الصلب بثلاثة أيام ، وتشككوا عندما رأوه ، ولكنه أثبت لهم أنه عيسى وأكل من طعامهم ليثبت لهم أنه ببدنه وروحه ، وبقية القصة عندهم أنه أخبرهم بأنه سيفارقهم ، وأن الله سيرسل إليهم من يعزيهم لفراقهم له ، ويصرح إنجيل برنابا باسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك رفع الله المسيح إلى السماء أمام الحواريين إلى السماء وهم يشاهدون ، فهاهم يشهدون أنه لم يمت وأنه وجد حياً بعد حادثة الصلب ، والبديهة على هذا تقضي أن الذي صُلِب غيره ، لكن النصارى تخبطوا تخبطاً شديداً فاضطروا لتأليف قصة مختلقة لتفسير حادثة الصلب التي وقعت على شبهه ، بأن عيسى صلب فمات ودفن ثم بعث بعد ثلاثة أيام بزعمهم ، وصدق الله القائل مخبراً عن هذه الحادثة : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء:١٧٥-١٥٨).

وأما قولهم : أن عيسى لا أب له، مما يدل ــ بزعمهم ــ علــى أن الله أبوه، فقد رد القرآن عليهم[1]، قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ

---

(١) أثبت العلم الحديث أن بعض الكائنات الحية كالنحل يخرج بعض نسلها منفرداً من بييضة الأنثى (ملكة النحل) دون أن تخالط سائل ذكــور النحــل ، وأن تلــك البييضات التي لم تختلط بسائل الذكر تنجب ذكوراً ، وقد وجدوا أن خليــة النحــل تتكون من ستة عشر حاملا وراثياً (كروموزوم) ؛ لأنها تأخذ نصف هذه المورثات (الكروموزومات) والتي عددها ثمانية من بييضة الأنثى ، وثمانية أخرى من سائل الذكر ، لكن ذكور النحل لاتتكون خلايا أجسامها إلا من ثمانيــة حوامــل وراثيــة (كروموزومات) فقط لأنها تكونت عن بييضة الأنثى (الملكة) فقط ، وأثبت العلــم الحديث أنه يمكن أخذ بويضة لأنثى الأرنب وتنبيهها بمنبه كيمائي أو حــراري أو غيره فتنطلق تلك البييضة في رحم الأنثى مكونة أرنبا كاملا دون تلقيحهــا بمــاء الذكر! أفيعجز الخالق عن خلق عيسى عليه السلام من أم دون أب وهو الذي يقول للشيء : كن فيكون؟! وآدم عليه السلام الذي ضرب الله به مثلاً لتجلية هذه الحقيقة مَنْ أبوه ؟ ومَنْ أمه ؟ فهل يجرؤ قائل أن ينسبه إلى الله كما افترى النصــارى أن المسيح ابن الله (نستغفر الله) ، وحواء التي خلقها الله من ضلع آدم دون الحاجة إلى أم فمَنْ أمها ؟ إن الأمر بالنسبة لله أمرُ خالقٍ يخلق ما يشاء كيفما يشاء بــأي ســنة يشاء، ولا يعجزه شيء ، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُــولَ لَــهُ كُــنْ فَيَكُــونُ)= =(يّــس:٨٢) ، فآدم مَنْ خَلَقَه؟ خلقه الله من غير أب وأم ، وحواء مَــنْ خلقهــا ؟ خلقها الله من غير أم ، وعيسى من خَلَقَه ؟ خلقه الله من غير أب ، وخلق الله سائر

كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩]، وقد بين المولى سبحانه : أن عيسى بشر كان يأكل الطعام، ومن أكل الطعام احتاج لقضاء الحاجة، فكيف يكون ربا من تحكمه ضرورات الطعام والشراب وقضاء الحاجة؟ قال تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

بني آدم من أب وأم قال تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)(القصص: من الآية٦٨).

وهل يزعم عاقل أن من صنع مصنوعاً صار أباً لذلك المصنوع!! تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .

مجيب المضطر إذا دعاه

ويمكن لكل إنسان أيضاً أن يعرف ربه عن قــرب[1] وذلــك عــن طريق مشاهدة إجابة الله للدعاء ، فكم خرج المؤمنون يطلبون ــ بقلوب

---

(١) **مجيب المضطر إذا دعاه :** ومن الأدلة العملية الحسية المشاهدة التي يعرف الله بها نفسه لعباده ويبين لهم أنه قريب فيسمع كلامهم ويشهد مكانهم ويصرف الوجود فيقضي حوائجهم قال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْــطَرَّ إِذَا دَعَــاهُ وَيَكْشِــفُ السُّــوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) (النمل:٦٢) وهل سيبقى شك في قلب مؤمن وثق صلته بربه وتقرب إليه بسائر العبادات والطاعات ، فإن أصابه مرض دعا ربه فشفى مرضه ، وإن أحاطت به كربة دعا ربه ففرج كربتــه ، وإن نزلت به فاقة دعا ربه فوهبه ما يغنيه في حاجته ، وإن أحاط به عدو جعــل لــه مخرجا ، وإذا سعى في أمر بارك الله سعيه ، إنها الأدلة العملية المحسوسة التــي يعرفها المؤمنون الصادقون العابدون ، والتي عرفها اتباع الرسل عبر التــاريخ ، وعرفها المسلمون بجلاء ووضوح في جيل الصحابة الكرام ثم من بعــدهم جيــل التابعين ، ومن جاء بعدهم من الصالحين ، ولاتزال في المجتمعات الإسلامية اليوم نماذج من هؤلاء المؤمنين المتصلين بربهم القريبين منه سبحانه ، يتجلى كــرم الله عليهم بإجابة دعائهم ، وحتى المقصرون إذا أخلصوا العبادة والدعاء ولجأوا إلى الله تائبين وجدوا من كرمه سبحانه مايشهد لهم ولغيرهم بفضل ربهم عليهم ، وأنه سمع شكواهم في حالة الاضطرار وأجاب دعاءهم. ويمكن لأي باحث أن يعرف بعــض هذه النماذج في المجتمعات الإسلامية ، فسيجد أمثلة كثيرة شاهدة بصدق الحقيقة ،= = وخاصة بين صفوف الُعبّاد والذين يعيشون لدينهم ويجاهدون من أجله ، وهــذا

الدليل العملي يقطع الشك باليقين ويملأ قلوب المؤمنين ثقة بربهم وتـوكلاً عليـه ، ويملأ نفوسهم بالرضا والاطمئنان بربهم وخالقهم ، حتى وإن لم يستجب لهـم فـي بعض أدعيتهم التي ربما لم تجب بسبب معصية ، أو استعجالِ لإجابةِ الـدعاء ، أو لتمحيص من ربهم واختبار لهم منه سبحانه أو أنهم كوفئوا على دعائهم بدفع بـلاء كان نازلا بهم، أو أنه سبحانه ادخرها لهم في الآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لـي" رواه البخـاري ك/ الدعوات ب/ يستجاب للعبد ما لم يعجل ٥/٢٣٣٥ برقم ٥٩٨١ ومسلم ك/ الـذكر والدعاء والتوبة ب/ بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ٤/٢٠٩٥ برقم ٢٧٣٥ وروى الترمذي عن عباده بن الصامت أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه إياهـا أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذا نكثر قال : الله أكثر" انظر سنن الترمذي ك/ الدعوات ب/ انتظار الفرج وغيـر ذلك ٥/٥٦٦ برقم٣٥٧٣. قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقال الألباني : حسن صحيح وزاد أحمـد "أويـدخرها لـه فـي الآخـرة" ٣/١٨ برقم١١١٤٩ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده جيد ، وقد أورده الألباني في صـحيح الجامع ١/١٠٥٨ برقم ٥٧١٤ وقال عنه : حسن .

ومن أراد توسعاً في هذا الموضوع فليراجع كتابنـا علـم الإيمـان الجـزء الأول ص١١٣ والجزء الثالث من علم الإيمان (تحت الطبع) .

إن علاقة المؤمنين بربهم لاتقوم على الجانب النظري وحده ، بل تتعداه إلى الجانب العملي الذي يشمل كل شؤون حياتهم ، وهم الرابحون لأنهم عرفوا ربهم وعبدوه= = ويعرضون عليه ما يواجههم من معضلات الحياة ، ويشهدون نفحات الرحمة من

وجلة تائبة ــ من ربهم أن يسقيهم الغيث ، فكان الجــواب علـــى الفــور في كثير من الأحيان، ويــأتي الغيــث إلـــى القريـــة أو المدينـــة التـــي خرجت تدعوا ربها، [١] والقــرى والمــدن التـــي بجوارهـــا لا يأتيهـــا

ربهم والكرم العظيم من رب قال عن نفسه : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيــبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْــتَجِيبُوا لِــي وَلْيُؤْمِنُــوا بِــي لَعَلَّهُــمْ يَرْشُــدُونَ) (البقرة:١٨٦).

فمن أسعد بالله من عباده الصادقين الذين لا تنقطع حــوائجهم ، وربهــم الســميع المجيب الذي لاينقص من ملكه شيء ، القائل في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أن الله قال : "يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر" صحيح مسلم ك/ البر والصلة والآداب ب/ تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ برقم٢٥٧٧ وأخرجه الترمذي ٦٥٦/٤ والبيهقي في الكبرى ٩٣/٦ وأحمد في مسنده ١٦٠/٥ برقم٢١٤٥٨ وغيرهم .

(١) الله وحده هو العليم بكل شيء ، والقادر على كل شيء ، هو الذي يجيب دعاء الداعين ويفرج كرب المكروبين .

– ففي غزوة بدر استجاب الله لاستغاثة المسلمين فنصرهم على عدوهم وهــم قلـــة وعدوهم في كثرة وصدق الله القائل : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران:١٢٣) . =

= – ويوم الخندق أصاب المسلمين جوع شديد ، فــأراد جـــابر رضـــي الله عنـــه استضافة النبي صلى الله عليه وسلم ونفرٍ معه على صاع من شعير وبهيمة داجن ،

فساررە في ذلك ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو أهل الخندق وهم ألف ، ويدعو في الطعام فيبارك الله ذلك الطعام حتى يشبع الجيش كله ، انظر البخاري ك/ المغازي ب/غزوة الخندق ٥/١٥٠٥ برقم٣٨٧٦ ، ومسلم ك/ الأشربة ب/ جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ٣/١٦١٠ برقم٢٠٣٩، والبيهقي في دلائل النبوة ب/ يا أهل الخندق ٤/٤ برقم ١٣١١ وغيرهم .

– وفي سفر اشتكى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العطش وكانوا أربعين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعليٍ وآخر : "إذهبا فابتغيا الماء ، فوجدا امرأة معها مزادتين فيهما ماء ، فجاءا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا فأفرغ من تلك المزادتين في أوعية القوم فسقى من شاء واستقى من شاء ، وهي قائمة تنظر– قال عمران : وأيم الله لقد أُقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاءة منها حين ابتدأ فيها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : "مارزئنا من مائك شيئا ، ولكن الله هو الذي أسقانا" [انظر البخاري ك/ التيمم ب/ الصعيد الطيب ١/١٣٠ برقم ٣٣٧ ، ومسلم ك/ المساجد ب/ قضاء الصلاة الفائتة ١/٤٧٤ برقم ٦٨٢وغيرها] .

– وفي غزوة خيبر اشتكى على رضي الله عنه الرمد ، فبصق النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء [انظر البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ دعاء النبي إلى الإسلام ٣/١٠٧٧ برقم٢٧٨٣ ، ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل علي ٤/١٨٧٢ برقم٢٤٠٥، وغيرهما].

شيء[١] ، وكم رأى المضطرون تفريجاً لحالة الكــرب بـدعائهم ، قـال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] . وقال الشاعر :

وكم أصاب المسلمين من جفاف	فنفــروا ثقــالهم مـــع الخفـــاف
وطلبــوا مـــن الإلـــه الفرجـــا	فحققوا الفوز ونـــالوا المخرجـــا
فهل طبيعـــة أجابـــت أم وثـــن؟	أم أنه السميع كشـــاف المحـــن[٢]

---

(١) فقد حصل في منطقة حرف سفيان عام ١٩٧٣ أنْ اشتد الجفاف فقـال الشـيخ عبدالله عشيش : تعالوا نخرج لصلاة الاستسقاء ، فلم يستجب الناس ، وخرج معـه شخص واحد اسمه : يحيى الأقطل ، وصليا صلاة الاستسقاء في مزرعـة يحيـى الأقطل ، ودعوا الله تعالى فأنزل الله المطر على تلـك المزرعـة دون غيرهـا، فاخضرت مزرعته دون غيرها فجعل من يمر عليها يتعجب ! فيقال له : هذا زرع يحيى الأقطل الذي صلى صلاة الاستسقاء .

- وفي الحبشة اشتد القحط والجفاف أيام الحكم الشيوعي ، وضاق النـاس وهلـك الكثير من المواشي ، فأذنت الحكومة بالخروج لصلاة الاستسقاء ، فخرج النصارى فلم يمطروا ، ثم خرج المسلمون فصلوا صلاة الاستسقاء فما جاء العصـر حتـى أغاثهم الله بالمطر بعد سنوات من الجفاف ، وقال النصارى : هذا مطر المسلمين .

- وفي منطقة يهر بيافع من اليمن عندما زرتها عام ١٤١٧هـ قال الناس لي انظر يا شيخ : الزرع كاد أن يذبل ، والبن كاد أن ييبس ، فاستسق الله لنا ، فطلبت منهم أن يؤمنوا على دعائي، وأن يخلصوا الدعاء ، وحينها قال أحد الحاضرين : إذا نزل المطر فسأصلي وأتوب من اليوم ، وماهي إلا ساعة وثلث تقريباً حتى نزل المطر [انظر علم الإيمان – الجزء الأول ص١٠٩-١١٠] .

(٢) فقد استجاب الله لدعاء كثير من المرضى فشفاهم الله تعالى من مرضهم، ومنهم الأخ الشيخ/ صالح بن راصع – من قبيلة الجدعان – من نِهْم ، وكان قد أصـيب=

=بالسرطان وقد مر على أطباء في عدد من الدول فأجابوه بأن حالتك ميؤوس منها، وأن يرجع إلى بيته حتى يأتي حكم الله ، فاستغاث بربه وأنشأ قصيدة في ذلك فرفع الله عنه الداء وبرئ من مرضه ، ومما قال في قصيدته :

أقول ياالله يـــالي كلنــا نرتجـــي لـــه ... رب الخلائق من ترجـــاه مـــا خـــاب

أنت العظيم أنت الرحيم التجـــي لـــه ... وأنت الذي بيـــدك مفـــاتيح الأبـــواب

دعيت باســماك العظـــام الجزيلـــه ... تشفي مريضك خالفوا فيـــه الاطبـــاب

وأدعيه وحـــده مـــا دعينـــا بديلـــه ... في بطن جوف الليل والنـــاس غيـــاب

هو الذي يسمع دعـــا مرتجـــي لـــه ... لما دعاه والرجـــاء فيـــه مـــا خـــاب

وعندما عاد إلى الأردن للتأكد من حالته ، أخبره نفس الأطباء السابقين بأن مرضه قد زال عنه ولله الحمد .

– ومن استجابة الله لدعاء المضطرين ماكان من أمر "جميلـــة الجزائريـــة" التـــي أصيبت بالسرطان ، وعجز الأطباء عن علاجها فذهبت لأداء العمرة، ودعـــت الله تعالى ، وشربت من ماء زمزم فأجاب الله دعاءها ، ثم عادت إلى نفس الأطباء في أوروبا فعجب الأطباء من شفائها .

– وفي محافظة إب من بلاد اليمن كان الحاج محمد بن ناجي المعمري قد مـــرض بالسرطان في المثانة ، ويئس الأطباء من علاجه ، فدعا الله واستغاث به وطلب من مشايخ جامعة الإيمان وطلابها الدعاء له ، فما جاء اليوم الثاني إلا وقد برئ مـــن مرضه .=

موقف الكافرين من أدلة الإيمان

إن أدلة الإيمان بالله كثيرة ، وعددها كعــدد مخلوقاتــه، لأن كــل مخلوق يدل على صفات خالقه، لكن الكافرين[1] لم ينتفعوا بهذه الأدلــة،

= وكم للمستغيثين من نفحات وكرامات من الله تغمرهم فتنقذهم من أمراضـــهم أو مصائبهم ويفرج الله بها عن كروبهم ، وبابه مفتوح وكرمه نازل وعباده محتاجون وهو الوهاب الذي يجيب من أحسن الدعاء له والاستغاثة بين يديه .

(١) **موقف الكافرين من أدلة الإيمان** : كلف الله عباده بالإيمان به وبرسوله قــال تعالى : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَــا وَاللَّــهُ بِمَــا تَعْمَلُــونَ خَبِيــرٌ) (التغابن:٨) ، وجعل العلم طريقاً إلى الإيمان به فقال تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّــا اللَّهُ)(محمد : ١٩). وقال سبحانه : (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَــنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الرعد:١٩)، وجعل لكل إنسان أدوات يكتســب بها العلم ، فمنحه السمع والبصر والفؤاد (العقل) وأمره بتوظيفها لاكتساب الإيمــان به ، الذي جعل أدلته تملأ الأرض والسماوات كما مر بنا في الأبحاث الماضــية ، ووهب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات ما أقنع جيلــه ومعاصريه بصدق رسالته بعد أن كانوا ألد أعدائه كما كان أتباعاً لأديان أخــرى ، وجعل من معجزاته ما يتجدد ظهوره عبر الزمان لتطلع عليه الأجيال كما ســيأتي بيانه في أبحاث الإعجاز العلمي وعلامات الساعة، وجعل في العقول نوراً يقــرر حقائق الإيمان به ويؤكد صدق الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم بأدلة يهتدي بها العقل السوي ، وفطر الناس على الإيمان به واللجوء إليه إذا أحاطت بهم الكوارث= = والخطوب مقرين بأن لا ملجأ منه إلا إليه ، ووهب العباد الذين يصــدقون فــي

طلب الهداية نوراً يزيدهم إيماناً يقذفه في قلوبهم كما قال تعالى: (وَالَّـذِينَ اهْتَـدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد:١٧) .
الكفرفي اللغة : هو التغطية ، وفي حقيقته الشرعية : لا يخرج عن جريمة التغطية للحقائق فهو جحود بآيات الله وبينات الرسل عليهم الصلاة والسلام وبما شرعه الله من دين لعباده ؛ لأنه إما أن يكون بتعطيل أدوات العلم عن وظيفتها الأولى التـي خلقت من أجلها وهي العلم بالله وبرسوله وبدينه ، أو بالتكذيب بها إذا جاءته فيغلق نوافذ العلم إلى قلبه فيبقى متخبطاً في ظلمات جهالاته وكفره ليس بخارج منها ، وقد حرَّف اليهود والنصارى دين الله وافتروا على الله الكذب قال تعالى : (وَإِنَّ مِـنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُـوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَـذِبَ وَهُـمْ يَعْلَمُـونَ) (آل عمران:٧٨). ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الخاتم مصححاً لمـا حرف اليهود والنصارى ، أبى كثير منهم أن يقبلوا الحق الذي جاء بـه الرسـول صلى الله عليه وسلم. وشاء الله أن يكشف على أيديهم أنفسهم كذبهم وافتراءهم على الله. فجاء تقدم العلم في أوروبا متصادما مع نصوص دينهم المقدسة عندهم، وكان عليهم أن يراجعوا أنفسهم وما حرفوا من الدين وأن يقبلوا دعوة الإسـلام ، لكـنهم أبوا واستكبروا وقالوا : إذا كان ديننا خطأ فمن باب أولى دين المسلمين المتخلفـين في ميادين العلم والحضارة ، فسلكوا طريقاً معوجاً يكذب بالدين كله ويـرد أدلتـه وحججه، وأعلنوا عن العلمانية اللادينية التي أقاموا دساتيرهم عليها وأنشأوا أنظمتهم في كل مجالات الحياة طبقاً لها ، فأعرضوا عن الإسلام وحججه وجهلـوا بأدلتـه وبراهينه ، وغفلوا عن انسجام العلم معه وتجليته لمعجزاته التي ظهرت في هـذا=
=الزمان كما وعد ربنا بقوله: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

لأن قلوبهم مريضة ليست صالحة لاستقبال الهدى كما هو حال القلـــوب المؤمنة ــ كما بينا سابقاً ــ فترى الكافر: معرضاً عن آيات الله، ويجادل

أَنَّهُ الْحَقُّ) (فصلت:٥٣) وغرقوا في تقليد دعاة الضـــلال ، والأحقـــاد التاريخيـــة الصليبية ضد المسلمين، وصدتهم تلك العداوات أن يستمعوا للهدى والنور ، فبسبب إعراضهم عن الدين وحقائقه وقعوا في الجهل والغفلة ، ودفعهم ذلك إلـــى تكـــذيب آيات الله بعد أن علموا بها غروراً بما وصلوا إليه من الحضارة والتقدم العلمـــي ، واستكباراً على الحق وحملته من المسلمين المتخلفين في ميادين التقـــدم المـــادي ، وجنّدوا لمحاربة الإسلام جيوشاً من المستشرقين والمبشرين (المنصـــرين) الـــذين روجوا الأكاذيب والشبهات عن الإسلام في تلك البيئات ، فصدقوا تلـــك الشـــبهات ورددوا تلك الأكاذيب فزادتهم إعراضاً عن حقائق الدين ، وقلدهم تلاميذهم الـــذين تأثروا بهم في بلاد المسلمين ، ونقلوا إليهم أمراضهم فعموا عن الحق وظنوا أنهـــم على الحق وأنهم يحسنون صنعا. لكن الله يأبي إلا أن يظهر دينه ويتم نوره ، فهذه رايات الإيمان ترتفع في بلاد المسلين ، ودعوة الإسلام تزداد قوة كل يـــوم وهـــذه العلوم التجريبية القادمة من الغرب تتقدم بشهاداتها الجلية بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم العلمية كما وعـــد الله بقولـــه : (وَقُـــلِ الْحَمْـــدُ لِلَّـــهِ سَـــيُرِيكُمْ آيَاتِـــهِ فَتَعْرِفُونَهَا)(النمل: من الآية٩٣) .

وقد تقدم بعض أساطين العلم في الغرب والشرق بشهاداتهم حول حقائق الإعجـــاز العلمي في القرآن والسنة. [انظر كتاب "إنه الحق" أو شريطه المسجل لهم] .

وإذا كانت الجامعات في البلدان غير الإسلامية قلاعاً للإلحـــاد والعلمانيـــة ، فـــإن مثيلاتها في بلاد المسلمين قد أصبحت قلاعاً للإيمان ، وها هو ذا الإسلام ينتشر في الغرب والشرق بأدلته الواضحة وحججه الساطعة رغم ضعف أهله وقلة إمكانياتهم.

بالباطل، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[1] [الحج: ٨].

وتراه يكابر في آيات الله، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وتراه يلبس الحق بالباطل ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا[2] الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢] . وتراهم يصدون عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء : ١٦٧].

ـ التقليد في الكفر :

ومن أهم سمات الكافرين : أنهم وهم يرفضون الإيمان بأدلته الساطعة ــ يستبدلون به الكفر بدون دليل، اللهم إلا التقليد الأعمى، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

ـ افتراء الشبهات :

---

(١) "بغير علم " : وهو الدليل العقلي الضروري "ولا هدى" : وهو الدليل العقلي الاستدلالي. "ولا كتاب منير" : وهو الدليل النقلي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(٢) " ولا تلبسوا " : لا تخلطوا .

ومن أساليب الكافرين لصد المؤمنين : افتراء الشبهات التي قد تؤثر في من يجهل عقيدته، ولم يتحصن ضد شبهات الملحدين .

ومنها : أن الملاحدة اليوم يرددون ما قاله بنو إسرائيل لموسى، كما حكاه القرآن : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾(١) [البقرة: ٥٥] مع أنهم يؤمنون بوجود العقول المفكرة ، وبوجود الهواء وبالجاذبية الأرضية التي تجذب كل شيء إلى الأرض، وبأمواج الإذاعة تأتيهم من أماكن بعيدة، وهم ما شاهدوا شيئاً من ذلك ، لكنهم رأوا آثار العقول قد ظهرت على سلوك العقلاء، وآثار الهواء ظهرت بتحريك أغصان الأشجار وغيرها، وآثار الجاذبية ظهرت بجذب الأشياء إلى الأرض، وآثار الأمواج ظهرت أصواتاً في جهاز المذياع (الراديو) فآمنوا بالعقول ، والهواء، والجاذبية، والأمواج، بعد أن شاهدوا آثارها، فعندما عجزت الأبصار عن الرؤية، لضعفها، علمت العقول بوجود المؤثر من آثاره المشاهدة . ولو تخلى الكفار عن استكبارهم بأبصارهم الضعيفة، العاجزة، التي لا تستطيع أن ترى الهواء الذي يلامسها، ولا ترى من في خارج المكان، وتفكروا، لوجدوا : أنهم وما في الكون، من أرضه وسمائه، ليسوا إلا آثاراً، وآيات بينات تعرفهم بخالقهم سبحانه .

---

(١) "جهرة " : عياناً بالبصر .

إن البصر الضعيف[١] ، لا يستطيع أن يحيط برؤية النجوم وهـــي: (زينة السماء الدنيا) فكيف يستطيع أن يحيط بالذي على العرش اســـتوى،

---

(١) أدوات العلم عند الإنسان محدودة ، فالسمع محدود لا يسمع إلا إلى مكان قريب ولا يقدر على سماع الأصوات إلا ما كان في مجال قدرة الأذن علـــى الإحســـاس بتردده ، فإذا زاد الصوت أو قل عن المقدار الذي تحس به الأذن عجزت الأذن عن سماعه ، وكذلك البصر فلا ترى العين إلا إلى مسافات محدودة تعجز بعدها عـــن الإبصار ، ولاترى الأشياء اللطيفة كالهواء الذي يلامسها والجاذبية التـــي تمســـك الأشياء على الأرض وتجذبها إليها ، ولا ترى أمواج الإذاعة والتلفزيون واللاسلكي والتلفونات المحمولة وغيرها التي يعج بها الهواء ، وأما بقية الحواس من لمس وشم ومطعم فدائرتها محدودة جداً ومجالها لايتجاوز موضعها في الجلـــد أو اللســـان أو الأنف .

والعقل مقيد بما يأتيه من نوافذ هذه الحواس ، فمن لا سمع له ولا بصر له ولا لمس له ولا شم له ولا طعم له لايدرك شيئاً مما حوله ، ولا يمكن لعقله أن يتعرف على أي شيء ، وهذه الأدوات المحدودة العلم عند الإنسان تجعل قدرتـــه علـــى العلـــم محدودة ، فكمل الله العلم عند الإنسان بالوحي الذي جاءه منه سبحانه يهديه ويرشده إليه ويعرفه بأسمائه وصفاته .=

= ومن تأمل في الكون الذي يعيش فيه يعي هذه الحقيقة ، ويعرف حـــدود العلـــم البشري فقد زين الله السماء الدنيا بنجوم وكواكب قال تعالى : (وَلَقَدْ زَيَّنَّـــا السَّـــمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)(الملك: من الآية٥) وقال تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الـــدُّنْيَا بِزِينَـــةٍ الْكَوَاكِبِ) (الصافات:٦) لكن هذه المصابيح والكواكب بيننا وبينها مسافات يعجـــز

العقل عن إدراكها ، ويقدم العلم الحديث الأدلة عليها ، فعلماء الفلك يقولــون : إن متوسط المسافة بين الأرض والشمس يبلغ ثلاثة وتســعين مليونــاً مــن الأميــال. والضوء يقطع المسافة هذه في ثمان دقائق وثلث ، مع أن سرعة الضوء تصل إلى ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية. وبعض النجوم لايصل الضوء منها إلينا إلا بعد أن يسافر أربع سنوات وخمسة أشهر ، وهذا هو أقرب النجوم إلينا بعد الشمس وهــو المسمى: (رجل قنطورس) وبعض النجوم لايصل الضوء منها إلينــا إلا بعــد أن يسافر مئات الآلاف من السنين الضوئية [ومسافة السنة الضوئية هي: المسافة التي يقطعها الضوء في السنة وبسرعة ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية] ومن النجوم ما لايصل ضوؤه إلى الأرض إلا بعد أن يسافر مليون سنة كما هو شأن النجوم فــي مجرة المرأه المسلسلة (اندروميدا) ومن المجرات ما لايصل ضوؤها إلينا إلا بعــد أن يسافر ما يقارب إثنى عشر مليار عام ، وكل هذه زينة السماء الدنيا ، فيا تــرى أين يكون جِرْم السماء الدنيا؟ وكم يكون بعد السماء الثانية وهي تعلو السماء الــدنيا بمسافات لا يعلمها إلا الله ؟ وهكذا إلى أن نصل إلى السماء السابعة ، ومــع هــذه السعة التي لايُدرك مداها للسماوات السبع فهي بالنسبة للكرسي كحلقة أُلقيت في فلاة (أي في صحراء) وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقــة كما جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فــلاة ، وفضــل = =العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة" أخرجه ابن حبــان فــي صحيحه ٧٦/٢ برقم ٣٦١ ك/ البر والإحسان ب/ ما جاء في الطاعات وثوابهــا ، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ٧٧/١ برقم ٥٨ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ب/ ما السموات السبع عن الكرسي إلا كحلقة ٤٠٣/٢ برقم٨٣٠ ، وعبــدالله بــن

(وما السموات السبع بالنسبة لكرسيه إلا كسبعة دراهم في ترس[1]، وما الكرسي بالنسبة للعرش إلا كحلقة في صحراء)[2] .

وإذا كان بصر الإنسان في هذه الدنيا لا يحتمل النظر إلى الشمس مباشرة، فكيف يتحمل النظر إلى الله جل وعلا؟! الذي ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[3] [الشورى: ١١].

أحمد في السنة برقم ٣٩٠ ٤٢٠/١ ، وابن حجر في المطالب العالية ٨٠٩/١٠ برقم ٣٥٣٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٢٣/١ برقم ١٠٩ .

(١) الترس : الدرقة التي يتقي بها الفارس ضربة السيف . وقد استوى الله على العرش استواء يليق به .

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات، قال الألباني : لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث.

(٣) وأنى لبصر الإنسان الضعيف أن يحتمل النظر إلى الله سبحانه وحجابه النور الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، كما قال عليه الصلاة والسلام في وصفه لله سبحانه "حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ إن الله لا ينام. ١٦١/١ برقم١٧٩ ، وابن ماجه في سننه ٧٠/١ برقم١٩٥ وصححه الألباني وأحمد في= =مسنده ٤٠٠/٤ برقم١٩٦٠٢ وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح ، وابن حبان في صحيحه ٤٩٩/١ برقم ٢٦٦ .

قال النووي : قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه : نوره وجلاله وبهاؤه ١٣/٣ .

وقديماً طلب موسى عليه السلام رؤية ربه ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

والناس جميعاً بما فيهم الكفار يصدقون الأطباء، والخبراء، والأساتذة، وهم يخبرونهم بأمورٍ ما شاهدتها أبصارهم؛ ذلك لأن المخبرين أهل ثقة عند السامعين.

ولو تَرَكَ الكافرون الاستكبار[١] لعرفوا ربهم أيضاً عن طريق رسله الصادقين الذين قدموا من المعجزات والبينات ما يجعلهم أوثق أهل الأرض فيما يقولون عن ربهم[٢] .

اشتراط الإجابة :

---

(١) الإعراض والجحود والتكذيب .

(٢) إن البصر الضعيف إذا عجز عن رؤية الأشياء اللطيفة كالهواء والجاذبية وأمواج الإذاعة وغيرها ، نسعفه بالاستدلال على تلك الأشياء بالنظر إلى آثارها فنستدل على الهواء بتحريكه أغصان الشجر ، ونستدل على الجاذبية بجذبها للأجسام إلى الأرض ، ونستدل على الموجات غير المرئية للإذاعة بأثرها في جهاز المذياع. ولله المثل الأعلى ، فكذلك يستدل المؤمنون على ربهم وصفاته بآثاره = =التي تملأ الأرض والسماوات ، ويكتمل علم المؤمنين بربهم عن طريق تعليم الرسل لهم وتعريفهم بالله وصفاته .

وهناك من يشترط لإيمانه بالله أن يستجيب الله لمـا يقترحـه مـن مقترحات[١] ، كأن يقول أحدهم : إذا أراد الله أن أؤمن به فعليه أن يفعل كذا وكذا .. وهذا شبيه بقول الكـافرين، كمـا حكـى عـنهم القـرآن : ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَـكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّـمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا**﴾[الإسراء:٩٠-٩٢].

---

(١) وهذه شبهة يرددها بعض المفتونين والجهال تقوم على مطالبة الله بأفعال يقدر الناس على القيام بها ، بل وبعضها في مقدور الأطفال ، فيقول أحدهم: إذا كان الله موجوداً فلينقل هذه الحصاة من مكانها أو يغسل هذا الكأس أو يسوق هذه السـيارة في الشارع المزدحم [تعالى الله عن ذلك] ، ومثل هؤلاء في اشتراطاتهم هذه كمثـل من يشترط لاعترافه برئيس الحكومة أن ينقل حصاة من مكانهـا أو عصـا أو أن يسوق سيارة أو حراثة أو ما شابهها من الأعمال! فهـل سيسـتجيب لـه رئـيس الحكومة؟! ولو فعل ذلك رئيس الحكومة لطالبه آخر بمقترحات جديدة وثالث ورابع وخامس حتى يصبح رئيس الحكومة مسخرة للناس ، لكن رئيس الحكومـة تظهـر مكانته ويُعرف بالأعمال التي لايقدر عليها إلا رئيس الحكومة من إعلان الحرب أو السلم وتعيين الوزراء وإقالتهم وسن القوانين ونقضها ، والأمر بصرف الرواتـب وإدارة شئون البلاد ، ولله المثل الأعلى ، فمن أراد أن يعرف الله فليتعـرف عليـه بالأفعال التي لايقدر عليها إلا الله سبحانه كالإحياء والإماته وتقليب الليل والنهـار وإمساك السماء أن تقع على الأرض وتدبير أرزاق المخلوقـات وغيرهـا، ولـو استجاب الله لمقترحات الجاهلين المتعنتين لفسدت السماوات والأرض .

ولو جعل الله الطريق إلى الإيمان ، هــو : أن يســتجيب ســبحانه لمقترحات الناس؛ لوجدنا من يشترط لإيمانه أن يجعل الله الليــل نهــاراً، والشمس قمراً، والأرض سماء، والرجال نساءً، ونجــد غيــره يشــترط عكس ذلك؟ وثالثاً يشترط لإيمانه قتل فلان من النــاس، ومــوت فــلان، وهلاك البلدة الفلانية!! ورابعاً بعكسه!! وعندئذ تفسد الأرض والســماء، قال تعالى : ﴿**وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون:٧١] .

لقد أقام الله الدلائل الكافية في مخلوقاته، وخلق لنا أسماعاً، وأبصاراً وأفئدة نعرف بها تلك الدلائل، وبهذا تقوم الحجة وتسقط الشبهات .

معرفة الله بأسمائه وصفاته

ـ أهمية معرفة الأسماء والصفات :

إذا قيل لك : إن فلاناً من الناس كريم ، وإن من صفاته أنه : يعطي من طلبه ؛ فأنت عندئذ ستطمع في عطائه، وتقدره في نفسك ، وتنتفع بمعرفتك لهذه الصفة عند حاجتك، والعكس لو علمت أنه بخيل. وإذا قيل لك : إن الحكومة عادلة في أحكامها، تهتم بمن يسكن داخل بلادها، وتعاقب من يخالف نظامها، فسترى الناس يسلكون داخل تلك الدولة ما يجعلهم ينتفعون بما تمنحه الدولة من خدمات، وبما تتصف به من صفات العدل، واحترام النظام، وترى الناس يحبون تلك الحكومة بقدر ما تمتاز به من صفات الخير، كما تراهم يحرصون على أن لا يعرضوا أنفسهم للعقاب والتأديب .

"ولله المثل الأعلى" . فمن يعرف صفات ربه سبحانه وأسماءه الحسنى تتسع دائرة معرفته بمن بيده ملكوت السماوات والأرض، فترى سلوكه وسعيه متناسباً مع علمه بأسماء الله وصفاته[1]، أما الذين كفروا

---

(١) فمن يستيقن أن الله غفور رحيم فلا يقنط من رحمة الله مهما كثرت ذنوبه كما قال تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ...) (الزمر:٥٣) ومن يعلم أن الله شديد العقاب كما وصف نفسه بقوله تعالى := =(فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ) (الفجر:٢٥-٢٦) يملأ هذا

فيقول عنهم الله تعالى: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1] [الحج: ٧٤] .

ولقد حذر القرآن من تحريف أسماء الله[2]، فقال سبحانه : ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ**

العلم بصفة الله قلبه خوفاً من الله وحذراً من عقابه ، ومن يعلم أن الله سميع الدعاء مجيب دعوة المضطر إذا دعاه يلجأ إليه بالدعاء ويجتهد بأن يكون دعاؤه مقبولاً ، ومن يستيقن أن الله بيده مقاليد كل شيء وأنه يقول للشيء كن فيكون وأنه الذي يكفي عباده كما قال تعالى : (... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)(الطلاق : ٣) من علم ذلك صدق في توكله على الله . ومن يعرف نعم الله وفضله على عباده في الدنيا والآخرة يتعلق قلبه بحب الله والسعي لكسب مرضاته .

(١) "ما قدروا الله" : ما عظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته. "عزيز": غالب لكل شيء ولا يغلبه شيء.

(٢) كل اسم من أسماء الله علم يدل على ذات الله ، وصفاته ، والأثر المترتب على الصفة المتعلقة بأفعاله ، وقد اشتقت أسماء الله الحسنى من أفعال الله العظيمة وصفاته العليا ، فكانت أسماءً حسنى تحمل معاني المدح والثناء اللائقة بربنا جل وعلا وهي توقيفية ؛ لأنه لا يمكن للعباد أن يحيطوا علما بذات الله وأفعاله وصفاته كما قال تعالى : (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)(طـه: من الآية١١٠) وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدا لا= =يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر" أخرجه البخاري ك/ الدعوات ،

ب/ لله مائه اسم واحد ٢٨/٢٠برقم ٥٩٣١ ومسلم ك/ الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ب/ في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ١٧١/١٣ برقم ٤٨٣٥، وأحمد ٣٤٠/١٦ برقم٧٧٩٩ والبيهقي في الكبرى ٨٤/١٦ والنسائي في السنن الكبرى ٣٩٣/٤ برقم ٧٦٥٩ .

ولحفظ أسماء الله المذكور في الحديث مراتب :

أولها : إحصاء ألفاظها وعددها .

الثاني : فهم معاني تلك الأسماء ومدلولها .

الثالث : دعاؤه بها كما قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)(لأعراف: من الآية١٨٠) ، قال الخطابي : الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوها أحدها : أن يعدها حتى يستوفيها (يريد أنه لا يقتصر على بعضها ، لكن يدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب). ثانيا : المراد بالاحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها ، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء .

وثالثها : المراد بالاحصاء : الإحاطة بمعانيها انظر فتح الباري ٢١٥/١٨ .

وقد أورد الترمذي حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ذكر فيه تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله ك/ الدعوات ٥٣٠/٥ برقم٣٥٠٧ ، وقد ضعف المحدثون سنده، ومن العلماء من أحصى لله أكثر من تسعة وتسعين اسماً ، وقال الإمام النووي عن الحديث الذي يذكر أن لله تسعة وتسعين اسما مايلي : (اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه ،= =بل المراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها ، لا الإخبار بحصر الأسماء). انظر

يُلْحِدُونَ[1] **فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأعـراف: ١٨٠] . كما حذر القرآن من وصف الله بمالا يليق به سبحانه من اتخاذ الصاحبة والولد[2]. فقال: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ**

شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ٢٩/٩ وقال بعض العلماء : لقد أخفيت هذه الأسماء كما أخفيت ليلة القدر ليجتهد الناس في البحث عنها .

وقد كان المشركون يحرفون أسماء الله عما هي عليه ، فسموا بها آلهتهم ، كتسميتهم اللات اشتقاقاً منهم لها من اسم الله ، وسموا العزى اشتقاقاً من اسم الله العزيز. انظر تفسير الطبري ٢٨٢/٢ .

وقال الزجاج : ولا ينبغي لأحدٍ أن يدعوه بما لم يسمِّ به نفسه فيقول: يا جواد ولا يقول : يا سخي ، ويقول : يا قوي ولا يقول : يا جَلْد ، ويقول : يا رحيم ولايقول يا رقيق ؛ لأنه لم يصف نفسه بذلك .

(١) "يلحدون" : يميلون بأسمائه إلى غير الصواب، أو يسمون بأسمائه غيَره.

(٢) لا يمكن للعبد أن يحيط علماً بالله كما سبق بيانه ، فأدوات علمه من سمعه وبصره وسائر حواسه محدودة كما سبق بيانه ، وعقله محدود بما يأتي من تلك الحواس المحدودة ، وأنى لمحدود بوسيلة محدودة في العلم أن يحيط بمن وسع كرسيه السماوات والأرض وصفاً وتقديراً؟! ولقد تكرم الله على عباده بتعريفه نفسه لهم في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الذي علمه من أمور الغيب ما يحتاجه الناس كما قال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ...)(الجن: ٢٦-٢٧) .=

كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾
[المؤمنون :٩١] .

= والعلم بصفات الله وأسمائه الحسنى من العلم الذي بينه الله لعباده بما أظهره من آثار تلك الأسماء والصفات ، وبما أوحى به إلى رسله عليهم الصلاة والسلام .
وكما عرفنا أسماء الله الحسنى والصفات العلا التي تليق بالله جل وعلا ، نفى الوحي عن الله تعالى من الأسماء والصفات ما لايليق به ، وأنكر القرآن إنكاراً شديداً على الذين يصفون الله بما لا يليق به ، كما قال تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (المؤمنون:٩١).
وحذر القرآن من وصف الله بما لا يليق به تحذيراً تتفطر له القلوب أن دعوا للرحمن ولدا كما قال تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً) (مريم:٨٨-٩٣).

الوحي الطريق الأمثل
لمعرفة أسماء الله وصفاته

إن علم الإنسان بمخلوقات الله محدود، وهو لا يستطيع أن يحيط بالله علماً.

فالسماوات السبع بالنسبة للكرسي كسبعة دراهم في ترس، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة رميت في فلاة (صحراء)(١)، و ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**(٢) ﴾ [طه : ٥] . وعلمنا لا يكاد يبلغ حدود النجوم التي هي زينة السماء الدنيا، لذلك لا نستطيع أن نحيط بالله علماً، قال تعالى : ﴿ .. **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة " . أخرجه ابن حبان في صحيحه ٧٦/٢ برقم ٣٦١ ك/ البر والإحسان ب/ ما جاء في الطاعات وثوابها ، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ٧٧/١ برقم ٥٨ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ب/ ما السموات السبع عن الكرسي إلا كحلقة ٤٠٣/٢ برقم٨٣٠ ، وعبدالله بن أحمد في السنة برقم ٣٩٠ ٤٢٠/١ ، وابن حجر في المطالب العالية ٨٠٩/١٠ برقم ٣٥٣٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٢٣/١ برقم ١٠٩. وقال : واعلم أنه لايصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث .

(٢) "استوىً : استواءً يليق بجلاله وعظمته تعالى .

وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ[١] **حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** [البقــرة : ٢٥٥] . فلا نعرف الله حق معرفته، إلا بتعليم منه ــ سبحانه ــ، وقد جاءنا مــن الله البيان، والعلم، فعرفنا سبحانه بنفسه وبأسمائه[٢]، وصفاته[٣]، فنقــف عندها[٤] ونمجده ــ سبحانه ــ بذكرها .

---

(١) " لا يؤوده " : لا يثقله ولا يشق عليه.

(٢) كما قال تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الــرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيــزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَــارِئُ الْمُصَــوِّرُ لَــهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّــمَاوَاتِ وَالْــأَرْضِ وَهُــوَ الْعَزِيــزُ الْحَكِــيمُ) (الحشر:٢٢-٢٤) .

(٣) كما قال سبحانه : (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ)(الأنعام: من الآية١٣٣) ، وقــال سبحانه : (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)(المدثر: من الآية٥٦) ، وقال ســبحانه : (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)(الروم: من الآية٥٠)، وقال سبحانه : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً...)(فصــلت: مــن الآية١٥) وقال سبحانه : (حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (غافر:٢-٣).

(٤) إن الصفات المتعلقة بأفعال الله سبحانه يمكن أن ترى آثارها فــي المخلوقــات وأما الصفات المتعلقة بذاته وبما يحب ويكره وبما يرضيه ويغضبه ونحو ذلك فهو غيب لا يمكن للإنسان أن يعرفه على جهة القطع إلا بالوحي منه ســبحانه. انظــر المثال السابق الذي مر بنا عند حديثنا عن صانع المصباح الكهربائي .

ـ تنزيه الله عن مشابهته للخلق :

وعندما يقال : الملك الفلاني كريم، والبواب الذي معه كريم، وطفله كريم، فلا شك أن السامع سيفرق : بين الملك، وبوابه، وطفله[1]، وذلـــك

---

(١) من تأمل في صفات المواد الميتة الجامدة ، وتفكر في صفات الكائنات الحيـــة يجد فرقاً شاسعاً بين صفات المواد الميتة والكائنات الحيـــة ، لا يمكـــن معـــه أن توصف المواد الميتة بشئ من صفات المواد الحية ، فلا تستطيع أن تقول أن الحجر يحس أو يأكل أو ينمو أو يتزوج ، فنحن أمام صفات للكائنات الحيـــة لايمكـــن أن يكون لها مثيل في مرتبة المواد الميتة الجامدة التي دونها ، وإذا تأملنا في مســـتوى الحياة عند النباتات ومستوى الحياة عند الحيوانات ، وجدنا أن للحيوانات صـــفات أعلى لايمكن وجودها في عالم النبات ، فالنبات لا يرى بعين باصرة ولايسمع بأذن ولايشم رائحة بأنف ولا يطعم حلوا أو مرا بلسان ، ولا يسافر من بلد إلى بلد ، وإذا تأملت إلى صفات الحياة بين الإنسان وسائر الحيوانات ، وجدت صفات للإنســـان لايمكن وجودها عند الحيوان كالعقل والعلم والاختراع والإبداع وإنشاء الحضارات، ولو أردنا أن تتصور المواد الميتة الجامدة كالأحجار بعض ما تتميـــز بـــه عليهـــا النباتات من الصفات كالتعذية والتنفس والنمو والتكاثر فأنى لها أن تـــدرك مـــا لا وجود له في واقعها أو تتصوره ؟!

وكذلك إذا أردنا من النباتات أن تتصور ما بينها وبين الحيوانات من فـــوارق فـــي الصفات كالنظر والسمع والشم والطعم والحركة من مكان إلى آخر، فأنى لهـــا أن تدرك ما لا وجود له في واقعها أو تتصوره؟! وكذلك إذا أردنا من الحيوانـــات أن تتصور ما بينها وبين الإنسان من فوارق في الصفات ، كالعقل والعلم والاختراع=

بالرغم أن الجميع من بني آدم، فإذا قيل لك : الله كريم، فلا شك أنك ستعلم أن كرم المولى ــ جل وعلا ــ لا يشابهه شيء من كرم عباده المملوكين الضعفاء .

= والإبداع وبناء الحضارة فأنى لها أن تدرك ما لاوجود له في واقعها وعالمها أو تتصوره ؟!

والعقل يقضي أن صفات الله تختلف عن صفات مخلوقاته ، وأن الفارق كبير فوق كل تصور فهو الخالق وهي مخلوقة له ، وهو الأول الذي ليس قبله شيء ؛ وهي محدثة لخالقها الذي أنشأها ، ومحكومة بأمره وهو الحاكم لها سبحانه ، ولو كانت صفاته كصفاتها لكان المخلوق خالقاً والخالق مخلوقاً ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

وهذه الصفات الإلهية العظيمة التي لايقدر البشر على الإحاطة بها لعظام هذه الصفات وقصور أدوات العلم عند الإنسان أنى لهم أن يقدروا قدرها ، ويعرفوا كنهها وكيفيتها من أنفسهم ؟! أنّى للإنسان أن يدرك ما لا قدرة له على الإحاطة به أو معرفة كنهه وكيفيته إلا بوحي وبيان منه سبحانه، قال تعالى : (وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(البقرة : ٢٥٥) .

وكما أن ذات الله جل وعلا لا تشابه ذوات مخلوقاته ، فصفاته جل وعلا أيضاً لا تشبه صفات مخلوقاته ، وصدق الله القائل : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى : ١١) .

وهكذا في كل صفة من صفاته سبحانه، فعلمه ليس كعلم عباده، وحكمته ليست كحكمة المخلوقين، ورحمته بالمؤمنين، وانتقامه من الكافرين ليس كرحمة وانتقام عباده المخلوقين . كل ذلك وغيره له فيه الكمال الأعلى، ولا يشبهه فيه أحد، قال تعالى : ﴿ .. **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى : ١١] فالنقص يلحق غيره ، وله الكمال الذي يليق به وحده .

الإيمان بأسماء اللّه وصفاته
كما جاءت في الكتاب والسنة

ومن فضل الله علينا أنه سبحانه بعلمه وحكمته، قد عرفنا بنفسه في كتابه وسنة نبيه، فعرفنا أنه : له الأسماء الحسنى، وصفات الكمال العليا[١]، ولا يمكن لأحد أن يصف الله بأحسن وأفضل مما وصف الله به نفسه[٢]، كما أنه لا يمكن لأحد من المؤمنين أن ينتقص من صفات الله التي وصف نفسه بها سبحانه .

---

(١) لا أحد أعلم بالله من الله سبحانه ، ولا أحد بعد الله أعلم به من رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولا أحد أصدق من الله قولا ، قال تعالى : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)(النساء: ٨٧) ، وقال سبحانه : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً)(النساء: ١٢٢) فإذا قال قولاً فقوله الفصل ؛ لأنه يقوم على كمال العلم ، ويقوم على كمال البيان ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على ما شاء من الغيب وآتاه الله جوامع الكلم كما قال عليه الصلاة والسلام عن نفسه "أوتيت جوامع الكلم" وهو أفصح من تكلم بالعربية من البشر ، فإذ جاءنا البيان من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد جاءنا الهدى الذي ما بعده إلا الضلال قال تعالى : (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ)(يونس: من الآية٣٢) وقال تعالى عن كتابه : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً) (الإسراء:١٠٥) .

(٢) ويفهم كلام الله وفق القواعد الآتية : =

= (أ) ويفهم كتاب الله بما فصله الله من كلام ، فليس أحد أحق بتفصيل كلام الله منه سبحانه قال تعالى : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود:١) .

(ب) ويفهم كلام الله في ضوء بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لـــه ؛ إذ البيـــان لمراد الله من كلامه مِنْ أهم واجبات الرسول صلى الله عليه وسلم قـــال تعـــالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل: من الآية٤٤)

(ج) فإذا لم يوجد بيان من القرآن أو من السنة النبوية ، فينظـــر إلـــى مـــا فهمـــه الصحابة من النص ، فَهُمُ الذين تلقوا العلم مباشرة من الرســـول صـــلى الله عليـــه وسلم، وعَلِموا كل ما يتعلق بكلام الله وكلام رسوله ، والمعاني التي قصدت بها تلك الآيات والأحاديث ، وقد زكى الله في كتابه فهمهم للدين ، وبين أنه الـــدين الـــذي ارتضاه بعد أن وعدهم بأنه سيستخلفهم في الأرض ، وقد تحقق ذلك فاستخلفهم على الأرض التي كانت تحت سلطان أكبر امراطوريتين في عهدهم : فارس والروم قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَـــا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِـــنْ بَعْـــدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـــقُونَ) (النور:٥٥).

وقد أخبر الله جل وعلا أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصـــار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرضى عن الذين يتبعونهم بإحســـان، قال تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَـــانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١٠٠) هذا إذا أجمع الصحابة على معنى مـــن معـــاني الدين، أما إذا اختلفوا ففي الأمر سعة لمن بعدهم ؛ لأنه لايمكن أن يجمعوا إلا إذا=

ـ استحالة إدراك الذات :

بالأدلة العقلية والنقلية نعرف أن الله غير مخلوقاته، فلا بد أن تكون صفاته مختلفة عن صفات مخلوقاته ، فكل المخلوقات ناقصة الصـــفات، وهو سبحانه صاحب الكمال[1] .

= كان لديهم من الشواهد والقرائن والأسباب ما جعلهم يتوحدون على فهـــم واحـــد للنص القرءاني أو النبوي .

(د) فإذا لم يوجد التفصيل والبيان لموضوع البحث من الكتاب أو السنة أو إجمـــاع الصحابة ، فيفهم النص في ضوء لغة العرب التي نزل بها القرآن ، كما قال تعالى: (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)(الزمر: من الآية٢٨) وقال تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِـــيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء:١٩٢-١٩٥) .

ويراعى ترتيب الاستدلال بحسب ترتيب القواعد السابقة. كما يراعى فهـــم اللغـــة العربية كما كان يفهمها من كان ينزل عليهم القرآن وحدثهم بلغتهم .

(١) جاءت امرأة إنجليزية أراد زوجها أن يسلم ، على يد الشيخ عبدالله الحكيمـــي، تجادل الشيخ الحكمي حتى لا يسلم زوجها، فقالت : إنها لا تؤمن بـــالله إلا إذا رأت الله ـــ أستغفر الله ـــ ولا تؤمن بالله حتى تعلم كم طوله ؟ وكم عرضه ؟ وكم وزنه؟ وما شكله ؟ فقال الشيخ الحكيمي : وهل تحبين زوجك هذا؟ قالت : نعم . قال : أنا لا أصدق! قالت : ولماذا ؟ قال : لا أصدق أنك تحبين زوجـــك إلا إذا أخبرتينـــي: كيف هذا الحب؟ وكم رطلاً يزن؟ وما لونه؟ وما طوله؟ وما عرضـــه؟ قالـــت: إن الحب موجود، ولكنا لا نستطيع أن نعرف كيفيته ولا طوله ولا عرضه ولا وزنه.= = قال : ـــ ولله المثل الأعلى ـــ فنحن نؤمن به سبحانه وهو أعلى من أن نحيط به

ولقد جاءنا منه الوصف والبيان، فنؤمن به كما وصف نفسه في كتابه العزيز وكما جاء في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون سؤال عن حقيقة الذات، قال تعالى : ﴿ .. **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]، فهو سميع ، وهو بصير، ولكن سمعه ليس كسمع مخلوقاته، وبصره ليس كبصر مخلوقاته، ولا نستطيع الإحاطة به، وهو الكبير المتعال .

ـ العقل والتصور :

ولقد خلق الله للإنسان عقلاً يعقل به الحقائق، ويعرف به الحق من الباطل، والضار من النافع، وجعله عماد التكليف، فمن فقد عقله رفع عنه القلم، وجعل الله للعقل طاقات واسعة .

وخلق الله للإنسان قوة يتصور بها الأشياء، تعينه على تنظيم الأمور وتخيلها، ولكن قوة التصور ضعيفة[1] ومحدودة، فإذا وصفت لك مدينة،

علماً بأدوات علمنا القاصرة المحدودة. وكم من الأمور التي نؤمن بها ولا ندرك كيفيتها، فهذا النوم يأتي ولا ندري كيف هو؟ أو كيف يحدث؟ ولا نعرف وزن النوم أو طوله أو رضه وكذلك اليقظة والفرح والسرور، بل وأغلب الناس لا يعرفون كيفية الكهرباء؟ وهم بها مؤمنون، وهكذا في كثير من الأمور .

(١) إن قوة التصور تعجز عن تصور النوم الذي يغشانا كل ليلة ، ونؤمن أنه حقيقة لكن لا نستطيع أن نتصوره بصورة معينة ، فنحن لا نعرف لون النوم ولا شكله

عقلت أن فيها أشياء، وتصورت تلك الأشياء، ولكنـك إذا رأيـت تلـك المدينة ستجد أنها على غير الصورة التي تصورتها من قبل .

وإذا طرق شخص الباب استطعت أن تعقل أن طارقاً يطرق الباب، ولكن تصورك يعجز أن يتصور من الطارق حقيقة؟ وما طولـه؟ ومـا عرضه؟ وما لونه؟ وما حجمه؟ .. فقوة العقل اخترقت حـاجز البـاب، فعقلت أن طارقاً موجوداً يطرق الباب فقط، بينما عجزت قوة التصـور، وحبسها حاجز الباب أن تنفذ[١] .

ولا طوله ولا عرضه ولا حجمه ولا وزنه ، لكن العقل يوقن بـأن النـوم حقيقـة موجودة ولكن قوة التصور تعجز عن تصورها. ونحن نعقل ما جاءنا من صـفات عن الله جل وعلا ، لكننا نعجز عن تصور قدرها وكيفياتها لضعف قوة التصـور عندنا .

وقد قال الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن الاسـتواء (أي اسـتواء الله علـى العرش) قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والإيمان به واجـب ، والسؤال عنه بدعة .

ولما سئل الإمام الشافعي رحمه الله عن الاستواء قال : استوى بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي في الإدراك ، وأمسك عن الخوض في ذلك كل الإمساك.
ولما سئل عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال : استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر. انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١/١٨٦ .

(١) فقوة التصور التي يحجزها أي حاجز كالباب من أن تتصـور مـا وراءه ، لا يمكنها أن تتصور ما هو بعيد عنها وما لم تشاهده من قبل ؛ لأن كل صورة يرسمها

"ولله المثل الأعلى " . فالعقل يؤمن بالله، وقوة التصور تعجز عن إدراك الله سبحانه : ﴿ .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

الأسماء الحسنى

لله الأسماء الحسنى، وله تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها دخل الجنة، وله أسماء أخرى غيرها، كما جاء في الحديث(١) .

الخَيَال إنما يُشَكِّلها من صور سابقة قد وقع عليها البصر أو أدركتها الحواس ، فتكون الصورة الجديدة توسيعاً لأبعادها أو تصغيراً لأحجامها أو تفكيكاً لأجزائها أو تركيباً لأجزاء مضافة إليها مما قد رآه سابقاً بحواسه ، وعليه فلا يمكن لقوة التصور العاجزة أن ترسم صورة صادقة لربها ؛ لأنها لم تره ، لذلك قال العلماء: "كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك " لأنك لا تتصور إلا ماقد رأيته سابقا،وكل ما رأيته سابقا إنما هو من المخلوقات،و معلوم أن ذات الله غير ذوات مخلوقاته وصفاته سبحانه لا بد أن تختلف عن صفات مخلوقاته ، وقوة التصور لديك لاتتصور إلا صورا من عالم المخلوقات التي تشاهدها،والله بخلاف مخلوقاته ذاتا وصفاتا .

(١) أخرجه الترمذي ك/ الدعوات ٥/٥٣٠ برقم ٣٥٠٧ .

قـــال تعـــالى : ﴿ وَلِلَّـــهِ الْأَسْـــمَاءُ الْحُسْـــنَى فَـــادْعُوهُ بِهَـــا﴾[1] [الأعراف:١٨٠] . ومن الأسماء الحسنى :

"الواحد، الأحد الصمد[2]، القيوم[3]، الخالق، المصـــور، الـــرحمن، الرحيم، اللطيف، الرزاق، الواسع[4]، العظيم، العزيز[5]، الحكيم، العلـــيم، الحافظ، الهادي، المحيي، المميت، الوارث[6].

شهادة أن محمداً رسول الله

ـ الأدلة البينة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

---

(١) من يرجو إجابة ممن يناديه ، فعليه أن يحرص على مناداته بأحسن الأسماء ، وأن يصفه بأعلى صفاته ، وإذا أراد العبد إجابة لدعائـــه فعليـــه أن يتحـــرى آداب الدعاء ، والتي من أهمها أن يدعو ربه بأسمائه الحسنى كما أمره ربه بقوله : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)(لأعراف: من الآية١٨٠) ، وكما قال تعـــالى : (قُـــلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)(الاسراء:١١٠) .
ومن امتثل أمر الله في الدعاء حري به أن تجاب دعوته ، وكم يخطـــئ الجـــاهلون عندما يدعون ربهم بغير ما أمرهم به ، ويتوسلون إليه بغير ما شرع لهم من أسمائه الحسنى وصفاته العلى .

(٢) الصمد : الغني الذي يقصد في الحوائج ، ولا يحتاج إلى أحد .

(٣) القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره .

(٤) الواسع : الذي عمت رحمته ووسع علمه كل شيء .

(٥) العزيز : الغالب الذي لا يذل .

(٦) الوارث : الباقي بعد فناء الموجودات .

يؤيد الله رسله بالبينات الدالة على صدق رسالتهم حتى لا يكـــذبهم الناس، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[١]، ولقد أيد الله محمداً صلى الله عليه وسلم ببينات واضحة وأدلة قاطعة معجزة منها :

ـ البينة (المعجزة) القرآنية :

لقد جعل الله معجزة محمد صلى الله عليه وسلم دائمة لتقنع النـــاس جميعاً إلى يوم القيامة[٢]، وجعل القرآن الكريم أقوى المعجزات، وحفظه

(١) بالبينات : بالمعجزات والأدلة التي تبين صدق الرسول وتوضحه .

(٢) جعل الله معجزات الرسل قبل محمد صلى الله عليه وســلم معجــزات حســية يشاهدها الناس عند وقوعها فيؤمنوا بها وينقلونها إلى الجيل الذي بعدهم، وينقلها من بعدهم إلى من يأتي من بعدهم ، ومع كثرة النقل وضعف التدوين تحدث زيادات أو نقص في الروايات حتى يأتي جيل يتشكك في صدق تلك الروايات ، بسبب اختلافها أو تعارضها ويضعف عنده الإيمان، ويتجرأ على المخالفات والمعاصي ، فيبعث الله رسولاً جديداً بمعجزة جديدة وتمر معجزته بما مرت به المعجزات الأولى ، حتـــى إذا ختم الله الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ اقتضـــت حكمتـــه أن يحفـــظ معجزات الرسول الخاتم ، وأن يجعلهـــا باقيـــة فـــي الأجيـــال بعـــده إلـــى قيـــام الساعة ، فجعل معجزاته الكبرى القرآن، وحفـــظ هـــذه المعجـــزة كمـــا قـــال := = (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩) وما أجرى على يديـــه مـــن معجزات حسية كثيرة شاهدها جيله من مؤمنين وكافرين ، وسجل القرآن عدداً منها وأسمعها الله لمن شاهدوها من المسلمين والكافرين ، فما اعترض على ما سجل في

سبحانه من التحريف، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾[١] [هود: ١٧] .

ولهذه البينة القرآنية أوجه توضح إعجاز القرآن نذكر منها :

القرآن كافر ولا مؤمن ، فكان منهم إقراراً جماعياً بوقوع المعجزة حفظه الله لنا في كتابه إلى يومنا وسيحفظه إلى يوم الدين ، وأخبر الله تعالى في القرآن عن أشياء غيبية ستقع لقوم محمد صلى الله عليه وسلم في حياته أو بعد مماته صلى الله عليه وسلم فوقعت كما أخبر، وحفظ الله هذا النوع من الإعجاز في الكتاب المحفوظ ، وأظهر الله في القرآن معجزاتٍ في الأنفس والآفاق تتجدد على مر القرون، فجاء مرور القرون مؤكداً لما ذكره القرآن عنها ، والتي من أهمها ما أظهره الله من إعجاز علمي في القرآن وكذا في السنة تعقد له المؤتمرات الدولية بين الحين والآخر.

(١) ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾)(هود : ١٧) هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والبينة : هي القرآن من ربه تعالى . و"الأحزاب" : جميع الكفار على اختلافهم في الملل والنحل .

ـ فصاحة القرآن وعظمته الدائمة :

القرآن مكون من أحرف الهجاء (أ، ب، ت، ث) وكلام الناس مكون من نفس الأحرف، لكن فصاحة القرآن أعجزت الإنس والجن، على أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، فأنت إذا سمعت خطبة فصيحة، أو قصيدة بليغة أعجبتك، سرعان ما تصبح هذه الخطبة أو القصيدة بالية في سمعك إذا كررت عليك لأنه ما من كلام بشر إلا وهو يبلى إذا كرر .

ولكن، كم يقرأ المسلمون الفاتحة، والسور القصار؟ وكم يختم الدارس للقرآن كتاب الله ويعيده، فما أحس قارئ للقرآن أن الفاتحة أو أي سورة قد أصبحت بالية، فعلى أي شيء يدل هذا؟ لا شك أن هذه الظاهرة تشهد لكل عاقل أن القرآن كلام الله الذي لا يبلى .

ولقد تحدى القرآن من ارتاب في صدقه أن يأتي بسورة من مثله، قال الله تعالى : ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**[1] **مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ**

---

(١) "شهداءكم" : قال ابن عباس : شهداءكم أعوانكم وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك انظر : تفسير ابن كثير ١/٩١ .

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا[1] فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] .

ـ إخبار القرآن بالغيب :

الغيب لا يعلمه إلا الله، ولقد أخبر القرآن بغيوب كثيرة، فكان هذا دليلاً على أن القرآن من عند الله، وأن محمداً الذي بلغ القرآن للناس رسول الله ، ومن هذه الأخبار الغيبية :

---

(١) **فصاحة القرآن وعظمته الدائمة** : أخبر القرآن الكريم أن الكفار سيعجزون عن قبول التحدي الذي دعت إليه هذه الآية ، وكان بإمكان الكافرين أن يقوموا ولو بمحاولة صورية ليثبتوا خطأ ما سجل عليهم القرآن من أنهم لن يفعلوا ذلك ، وتكون بذلك للكفار حجة على الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، مع أنهم كانوا في أمس الحاجة لمثل هذه المناورة والمحاولة ؛ لأنها ستكفيهم إهدار أموالهم وإزهاق نفوسهم في حربهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، لكنهم هزموا أمام هذا التحدي ، ولم يجدوا وسيلة لدفع أثر القرآن على النفوس إلا أن تواصوا فيما بينهم ألا يسمعوا هذا القرآن وأن يشوشوا عليه إذا قرأه قارئ حتى لا يتأثر به سامع كما قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت:٢٦) ومع ذلك فقد غزى القرآن بإعجازه القلوب ، وحولهم واحداً إثر واحد من صفوف المكذبين إلى صفوف الأتباع الصادقين ، وهل استطاع أحد في الماضي أو يستطيع في الحاضر وكذا في المستقبل أن يأتي بكلام لا يبلى كالقرآن ؟ اللهم لا. فقد ظهرت معجزة كتابك (انظر علم الإيمان الجزء الثاني القسم الأول) .

١ــ عندما انتصر الفرس وهم عباد أوثان على الروم وهم أهل كتاب في فلسطين فرح المشركون في مكة، وتوعدوا المسلمين بمصير كمصير الروم، فساء ذلك المؤمنين فأنزل الله قوله : ﴿ **الم * غُلِبَتْ الرُّومُ * فِي أَدْنَى[١] الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ**

---

(١) قوله تعالى : (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) لفظ أدنى يدل على معنيين ١- القرب ٢- الانخفاض ، وقد حمل المفسرون لفظ أدنى على : أقرب ، وفسروا أقرب الأرض: بأقرب الأرض إلى جزيرة العرب وهي أرض فلسطين التي دارت فيها المعركة ، والمعنى الثاني للفظ أدنى أظهره الله في هذا الزمان ، فقد ثبت علمياً أن أخفض بقعة على سطح الأرض هي أيضاً منطقة البحر الميت في فلسطين التي دارت فيها المعركة بين الفرس والروم، وقد دارت محاورة حول هذا الموضوع بيني وبين رئيس الجمعية الجيولوجية الأمريكية السابق البروفسور "ألسن بالمر" وعندما اختلفنا قال : عندي ما يجلِّي الأمرَ في هذه القضية! فجاء بمجسم كبير للأرض كان يحمله معه ، ويُظْهِر هذا المجسم ارتفاع أو انخفاض أي بقعة على سطح الأرض في البر أو البحر ، وسألني أين هذه المنطقة التي تذكرها؟ قلت : بيت المقدس (أورشليم) كما يسمونها. فأدار المجسم الأرضي على فلسطين وبيت المقدس ووضع أصبعه بحماس على الموقع ، فإذا به يقرأ على المجسم الذي جاء به هو : أخفض منطقة على سطح الأرض !! فسلم وتبنى معي المعجزة في مؤتمر الإعجاز العلمي الذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٥م .

وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:١-٦].

وعندما نزلت هذه الآيات رددها المسلمون، وتهكم بما وعدت به الكافرون، وتصدى كافر[1] لأبي بكر رضي الله عنه يراهنه على أن الفرس لن تنهزم في المدة التي حددتها الآيات بكلمة (بضع سنين)، وهي مدة تمتد من ثلاث سنوات إلى عشر ولا تزيد، فقبل أبو بكر الصديق الرهان[2] قبل تحريم الرهان، وسمح الرسول صلى الله عليه وسلم بمضي

---

(١) هو أبي بن خلف .

(٢) إن هذا الرهان لم يكن بين أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– وبين أبي بن خلف فحسب ، بل كان في حقيقته بين المسلمين قاطبة ، والكافرين مجتمعين؛ على تصديق القرآن فيما أخبر أو تكذيبه ، ومضى الرهان ، وأخذت عليه الضمانات من الطرفين واشتهر أمره ، وانتظر الكل موعده ، وكان موعداً قريباً حدده القرآن بكلمة بضع التي هي أقل من عشر سنوات ، وكلما اقترب الوعد تطلعت إليه النفوس، واشتدت إليه القلوب شوقا لما يتحقق من أمر هذا الخبر المعجز المتحدي ، وبعد سبع سنوات من الرهان صدق الله ما أخبر الناس به ، فهزمت الفرس وانتصرت الروم ، وكان ذلك متزامناً مع انتصار المسلمين في بدر والذي أشارت إليه الآية بقوله تعالى : (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الروم:٤-٥) فاجتمع للمسلمين فرحهم بتحقيق وعد ربهم، وانتصارهم على عدوهم في بدر، وكبت الكفار بتحقيق ما وعد الله به مع هزيمتهم.

الرهان، ووقف الكافرون مع الكافر الذي دخل الرهان، كما وقف المسلمون ينتظرون تحقيق وعد الله، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع)[1] ، وهكذا ضعت النبوة أمام امتحان، فقد جاء الخبر الإلهي بانتصار الروم المهزومين، وليس هناك من الدلائل ما يدل على أنهم سينتصرون، وحُدد الموعد بأقل من عشر سنين، وكان الخبر بصيغة لا تقبل التأويل ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٦]، والكفار جميعاً يعلمون أن محمداً من أعقل الناس، ولا يمكن أن يورط نفسه في مثل هذا الامتحان، لو لم يكن على غاية الثقة من ربه وتصديقه له .

لذلك ما مرت سبع سنوات حتى تحقق وعد الله، وفرح المؤمنون، وظهر صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فآمن جمع من الناس، ودخلوا في دين الله .

٢ – لقد كانت المحاولات كثيرة جداً لاغتياله صلى الله عليه وسلم ، من المشركين، ومن اليهود، عن طريق الحرب، وعن طريق المؤامرة، ومع ذلك فقد نزل قرآن يعد رسول الله بأن أعداءه لن يصلوا إليه، قال تعالى:

---

(١) رواه الترمذي ك/ تفسير القرآن ب/ سورة الروم ٥/٣٤٢ برقم٣١٩١ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/٢٨ برقم١٢٣٧٧ ، والحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي ٢/٤٤٥ برقم٣٥٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم٢٥٥١.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾[1] [الإسراء: ٦٠] وقال سبحانه : ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وبعد نزول هذه الآية، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة الذين كانوا يحرسونه، فقال[2]: (يا أيها الناس انصرفوا عنا ؛ فقد عصمنا الله عز وجل)[3].

ولقد كثرت المؤامرات، ولكن الله سبحانه أحبطها، تحقيقاً لوعده، ولقد استشهد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الخلفاء الأربعة الراشدين والإسلام قوي والكفر مندحر وأسباب الأمن متوفرة للخلفاء ولم تكن متوفرة في عهد الرسول، لكن الدفاع الإلهي، هو الذي

---

(١) أي منعك وعصمك من الناس، كما قاله الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الآية : (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ) [المائدة: ٦٧] فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : "أيها الناس انصرفوا ؛ فقد عصمني الله " أخرجه الحاكم في المستدرك ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ك/ التفسير ب/ سورة المائدة ٣٤٢/٢ برقم٣٢٢١ وأخرجه الترمذي في سننه ك/ تفسير القرآن ب/ سورة المائدة ٢٥١/٥ برقم٣٠٤٦ ، وحسنه الألباني برقم ٣٠٤٦ ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم ٢٤٨٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٩ برقم ١٧٥٠٨.

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والترمذي والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

نجي رسوله الذي وثق بوعد ربه، فمضى في دعوته، وصرف حرسه، فصدقه الله ما وعده[١] .

٣ – لقد كان الرسل يتعاقبون على الأرض، ولكن منذ أن ظهر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : انقطع الرسل، وذلك تصديقاً لقول الله سبحانه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٠] . فهذا خبر غيبي صدقته القرون التي جاءت بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد بأنه لا نبي آخر بعد خاتم الأنبياء[٢] .

---

(١) نحن أمام وعد من الله ، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم له يكلفه حياته؛ لأنه صَرَفَ الحرسَ وبقي أمام الأعداء بدون حراسة على كثرة أعدائه وكثرة مؤامراتهم ، فتحقق ما وعد الله رسوله به من الحماية والعصمة من الناس، وفشلت جميع المحاولات .

(٢) اقتضت حكمة الله أن يرسل الرسل إلى عباده كما قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(فاطر :٢٤) ، وكما قال تعالى : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا)(المؤمنون:٤٤) ومعنى تترى : أي يتبع بعضهم بعضا .

وفي بعض الأحيان كان الأنبياء والرسل يبعثون في وقت واحد كما حدث لإبراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام ، ولم ينقطع الوحي من الله للبشرية إلا بعد أن ختم الرسالة والنبوة بخاتم الأنبياء والمرسلين ، وأعلن لهم ذلك، وهذا يقتضي أنه لن يرسل بعده رسولاً جديداً . =

ـ الإعجاز العلمي الحديث للقرآن :

قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت:٥٣].

لقد تحقق الوعد من ربنا في هذا الزمان، فرأى الكافرون الذين لم يتبين لهم الحق آيات الله في الآفاق[(١)] وفي الأنفس ، وما رأوا تلك الآيات والأسرار إلا بأدق الأجهزة والوسائل كالطائرات والغواصات[(٢)]، والتي لم يملكها الإنسان إلا في هذا الزمان، فكان لهم في ذلك بينة بأن الله هو

= وحفظ الله رسالة الرسول الخاتم ومعجزاته ، ومع كثرة البشر اليوم وتعدد أممهم وشعوبهم ومرور مايزيد على ألف وأربعمائة عام من بعثته عليه الصلاة والسلام لم يأت رسول جديد تصديقاً لهذا الخبر وشهادة بصدقه أنه لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، وهذا لا يتعارض مع ما أخبر به القرآن وأخبرت به السنة أن الله سينزل عيسى عليه السلام الذي لم يمت بعد بل رفعه الله إليه ، لأن الذي أخبر أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبر أن عيسى عليه السلام سيعود مرة ثانية إلى الأرض متبعاً لدين محمد صلى الله عليه وسلم حاكماً بشريعتنا الإسلامية وهو نبي سابق وليس نبياً جديداً ، وجعله الله علامة من علامات الساعة قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ)(الزخرف :٦١) وفي قراءةٍ (وَإِنَّهُ لَعَلَم لِلسَّاعَةِ) بفتح العين واللام. أ.هـ.

(١) الآفاق : سائر الجهات في الأرض والسماوات .

(٢) والمجاهر والمناظير المكبرة وغيرها من الأجهزة العلمية الحديثة التي تكتشف بها أسرار الكون في شتى المجالات .

الذي أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم عن هذه الأسرار في الخلق، يوم لا أجهزة بحث علمي، ولا طائرات، ولا غواصات، فكان هذا لوناً جديداً من إعجاز القرآن، يبين للكافرين اليوم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق هذا الدين، ومن أمثلة ذلك:

١- ما كان أحد يظن أن أصل السماء ونجومها، وكواكبها هو الدخان[١]، حتى تقدمت أجهزة البحث العلمي، وشاهد الباحثون بقايا الدخان لا تزال

---

(١) في أوائل الثمانينات من القرن العشرين قابلت البرفسور/ اليسون بالمر رئيس الجمعية الجيولوجية الأمريكية السابق ودارت بينا هذه المحاورة :

قلت : ما هو أصل السماء ؟

اليسون بالمر : ضباب كوني .

قلت : الضباب بارد ، والمادة التي تكونت منها السماء ساخنة، كما أنها تشتمل على غازات ملتهبة ، وليس في الضباب غازات ملتهبة ، والمادة التي تكون منها الكون داكنة مظلمة ، والضباب ليس كذلك ، وبناءً على هذا فلا نستطيع أن نسمي أصل الكون ضباباً .

اليسون بالمر : إذاً نقول هو غبار كوني .

قلت : الغبار الكوني يتكون من جزيئات صلبة ، وأصل السماء (السديم) كما هو معروف غازات ، تعلق فيها جسيمات صلبة ، والسديم ساخن ، والغبار ليس من صفاته السخونة ، فهذا التعريف ناقص .=

= اليسون بالمر : فماذا نقول ؟

قلت : دخان ، فالدخان عبارة عن غازات ، تعلق فيها جسـيمات صـلبة ، وهـو ساخن، وداكن ومعتم ، وهذه أوصاف المادة التي تكون منها أصل الكون (السديم) .
اليسون بالمر : إذاً نترك هذا الموضوع مفتوحاً بيني وبينك للبحث .
وبعد عامين اتصلت : بمندوب هيئة الإعجاز العلمي بأمريكا الـدكتور. مصـطفى عبدالباسط ، ودارت بيننا هذه المحاورة .
قال الدكتور مصطفى : أبشرك يا شيخ ، طلبني البروفسور بـالمر لزيارتـه إلـى مدينته ، فركبت الطائرة وما إن ظهرت من باب الطـائرة ، حتـى وجدتـه بـين المستقبلين بجوار سلم الطائرة ، فلما رآني ناداني : مصطفى ، مصطفى ، أصـل السماء دخان! أصل السماء دخان !!
قال د. مصطفى : فتذكرت المحاورة التي دارت بينه وبينك قبل سنتين ، وعنـدما وصلنا البيت قال لي : هل تذكر المحاورة بيني وبين الشيخ الزنداني؟ فقلت لـه : نعم! فقال : صدر مقال علمي في مجلة العلوم الأمريكية للبرفسـور مكَـنن وهـو [متخصص في المجموعة الشمسية] يقول فيه : أصل المادة التـي تكونـت منهـا المجموعة الشمسية دخان ومعلوم أن المادة نفسها هي التي تكونت منها بقية النجوم والكواكب ، فأحببت أن أخبرك بهذا لتخبر الشيخ الزنداني ، وأراني المقـال فـي المجلة العلمية .
قلت : الله أكبر (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:٥٣) . الحمد الله يـا أخ مصـطفى، اتصل بالبرفسور (مكنن) وقل له : هل هو على استعداد لتقديم بحث علمي حـول هذا الموضوع في مؤتمر إسلام آباد عاصمة باكستان ؟ فأجاب الدكتور/ مصطفى= = سوف أفعل إن شاء الله ، وبعد بضعة أيام جاء الجواب من البرفسـور/ مكـنن

تتكون منه النجوم إلى يومنا هذا، والله يقول : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] .

٢- وكشف الباحثون الآن : أن نجوماً في السماء لا تزال تخلق، وأن مدن النجوم (المجرات) يتباعد بعضها عن بعض، وبهذا عرف أن السماء لا تزال تتسع، قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ[١] وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ[٢]﴾ [الذاريات:٤٧].

بالموافقة وقدم البحث الذي يثبت أن أصل السماء دخان أمام جمهور الحاضرين في المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في إسلام آباد .

(١) " بأيد " : بقوة .

(٢) موسعون : اسم فاعل ، وإذا استعمل اسم الفاعل يدل على وقوع الفعل في الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، كما في قوله تعالى : (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر:٩) و(حافظون) : اسم فاعل يدل على وقوع الحفظ للقرآن في الماضي ، وفي الحاضر : (وقت نزول القرآن) ، وفي المستقبل . وكذلك لفظ (موسعون) يدل على أن الله وسع بناء السماء في الماضي ووقت نزول القرآن وما بعد نزول القرآن في المستقبل. لم يكن أحد من الناس يعلم أن نجوم السماء لا تزال تتباعد فيما بينها ، وأن بعضها لايزال يخلق ، ولم يعرف الإنسان أن نجوم السماء تتباعد بعضها عن بعض إلا بعد عام ١٩٢٢م ، عندما اكتشف= =العالم الأمريكي الفلكي: هابل تلك الحقيقة التي كانت بعيدة عن التصور عند جميع البشر ، الذين كانوا يظنون أن السماء ثابتة الأبعاد ، حتى أن العالم الأمريكي

٣- وكشف الباحثون أخيراً : أن القمر كان مشتعلاً ثم انطفأ ، ومحي ضوؤه، وأن النور الذي يخرج منه في الليل ليس إلا انعكاساً من سراج آخر، هو الشمس، والله يقول : ﴿ .. فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء : ١٢]، قال المفسرون(١) : (آية الليل القمر وآية النهار الشمس)، وقال ابن عباس رضي الله عنه : (كان القمر يضيء كالشمس)(٢) . وقال المفسرون(٣) : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي طمسنا ضوءها. ثم ذكر القرآن القمر وسراجه، فقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان : ٦٠] انظر : قال الله : ﴿ سِرَاجًا ﴾ ، ولو كان القمر يضيء، لقال الرحمن : (سراجين) ولم يقل: سراجاً !

الشهير : انيشتاين ذهب لزيارة هابل في مرصده ليتأكد من صحة المشاهدات الفلكية التي تؤيد هذا الاكتشاف ، فمن علَّم محمداً صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق التي لم تدرك إلا بأدق الأجهزة لقياسات أطياف الضوء المنبعثة من نجوم السماء ؟!

(١) الطبري وابن كثير والقرطبي .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٩ .

(٣) القرطبي والبغوي وابن الجوزي والرازي والخازن والآلوسي .

٤- وكان الناس يظنون : أن من صعد في السماء تنفس الهواء العليل، فلما صنع الإنسان المناطيد والطائرات الحديثة[١] وصعد في السماء، وجد: أن من صعد في السماء ؛ يضيق صدره، ويبلغ أشد درجات الضيق بسبب أن الهواء ينقص كلما صعد الإنسان في السماء،[٢] والله يقول ﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

---

(١) كان الإنسان قد اكتشف المناطيد التي هي عبارة عن بالونات تعبأ بغاز الهليوم فتطير في السماء وترتفع فوق الجبال وتحركها الرياح ، ووجدوا من الظواهر في الجو ما أكدته الأجهزة العلمية المختلفة، والتي منها الأجهزة التي تحملها الطائرات.

(٢) دخول الهواء إلى الرئتين في صدر الإنسان ، وخروجه منه ، جعله الله متناسباً مع ضغط الهواء الجوي وكثافته على سطح الأرض ، وكلما ارتقى الإنسان في السماء يقل ضغط الجو على جسمه ، وتقل قدرته على تعبئة الرئتين بالهواء ، فيشعر من يَصْعَدُ في السماء بهذا النقص الذي يؤثر على صدره فيجعله ضيقاً ، كما تضيق مجاري القنوات الهوائية في الرئة فيصير التنفس حرجاً ، وهذه الحالة التي تحدث للإنسان لم تعرف إلا بعد صعود الإنسان في السماء بالوسائل الحديثة. ويلبس رواد الفضاء ملابس تتناسب مع نقص الهواء ، لكن نقص الجاذبية الأرضية يؤثر كذلك على رواد الفضاء وعلى تنفسهم ، مما يؤدي إلى ضيق وحرج يجعل رواد الفضاء يستعجلون العودة إلى الأرض .

٥- وما كان أحد يتصور أن الجبال تخــرق الأرض، كالأوتــاد، حتــى اكتشف الدارسون[١]، أن تحت الطبقة الأرضية الصــلبة، التــي نعــيش عليها، طبقة لينة لزجة تحتها، وأن تحت كل جبل، جذراً يغوص في هذه الطبقة اللينة[٢]، فيمسك الأرض الصلبة، التي نعــيش عليهــا، مــن أن تضطرب من تحتنا، بسبب لين ما تحتها، والله يقول : ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ : ٧]. ويقول : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ .

٦- واكتشف الدارسون : أن الماء إذا نزل أخرج النبــات، وأن النبــات يخرج مادة خضراء اللون[٣]، هي التي تصنع منها الحبوب والثمار، ومن

---

(١) مثل داتون وبرات انظر الإعجاز العلمي في القرآن الكــريم ٢/١٦١-١٦٣ ، أ.د/ حسن أبو العينين .

(٢) كما بين ذلك سير آري رئيس الجمعية الملكية الجيولوجيــة البريطانيــة عــام ١٨٤٥م .

(٣) ما كان أحد يعلم الكيفية التي تتكون بها الحبوب والثمــار وأجســام الأشــجار والزروع ، حتى تم اكتشاف المصنع الأخضر في النبات (الكلوروفيل) وهو عبارة عن مصنع صغير يسبح في خلايا النبات بكميات هائلة فتعطي هذه المصانع النبات لونه الأخضر ، وبعد دراسة هذا المصنع ووظائفه لمدة استغرقت ثلاثمائة عام فــي أوروبا ، عرف الإنسان الكيفية التي يصنع بها النبات حبوبه وثماره ، بل والمــواد التي يبني منها أوراقه وأغصانه وأزهاره وجذوره وسائر أجزائه ، وعَلِم الإنســان أن النباتات عندما تبدأ في الإنبات (البادرات) يخــرج النبــات هــذه المصــانع =

=الخضراء، وتقوم تلك المصانع الخضراء بتركيب الماء والهـواء (ثـاني أكسـيد الكربون) مع ضوء الشمس؛ لتكون من ذلك المواد السكرية ، ثم تكثف تلك المـواد السكرية فتكون النشأ، وتختزل تلك المواد السكرية فتتكون الدهون ، وتضاف لتلك المواد السكرية ذرات من النيتروجين فتكون المواد الزلالية (البروتينات) وهذه هي المواد الأساسية التي تتكون منها جميع الأغذية للنبات والحيوان والإنسان ، ومنهـا يتكون الحبوب والثمار وأجسام النباتات وإذن فالنبات يخرج المصانع الخضـراء ، والمصانع الخضراء تخرج الحبوب والثمار وسائر أنواع النباتات ، وهذا هو الذي قرره القرآن قبل ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِـنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْـرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِـي ذَلِكُـمْ لَآيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُـونَ) (الأنعام:٩٩) .

فالنبات يخرج الخضر ، والخضر في اللغة : هو المادة التي تكون بفطرتها خضراء اللون ، والخضر يخرج الحبوب والثمار ، ومن هذا الخضر تخرج القنوان الدانيـة من النخل، ومنه تخرج أيضاً الجنات من الأعناب والزيتون والرمان، مشتبها وغير متشابه. وقوله تعالى : (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَـرَ) فعنـدما نظـر الأوربيـون المتخصصون في علم وظائف أعضاء النبات إلى الثمار ، وسـألوا أنفسـهم عـن مصدر هذه الثمار ، أوصلهم ذلك إلى اكتشاف المصـنع الأخضـر (البلاسـتيدات الخضراء- الكلورفيل) ووظيفته ، ورأوا كذلك أن النبات عندما يينع فيصبح مصفراً وتزول منه الخضرة يتوقف عن الإثمار والنمو؛ لأن المصنع الأخضر قد تلاشـى. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمـة قبـل أكثـر مـن ألـف وأربعمائـة عـام=

هذه المادة الخضراء تخرج الحبوب، والثمار، والله يقول : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ (١) [الأنعام : ٩٩] .

٧- واكتشف الباحثون أن في النباتات جميعاً زوجية(٢) (ذكر وأنثى) وما كان أحد يعلم ذلك من قبل. والله يقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[يس:٣٦].

=(انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)(الأنعام :٩٩) فعندما يكون مخضراً يثمر وينمو وعندما يينع يتوقف الإثمار والنمو .

(١) "خضراً " : مادة خضراء . "متراكباً" : متراكماً كسنابل الحنطة .

(٢) ما كان أحد قبل تقدم العلم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة يعلم أن هناك زوجية في النبات ، وأن هناك ذكورة وأنوثة في أعضاء النباتات ، حتى تقدم علم النبات وكشف أعضاء التأنيث وأعضاء التذكير في كل النباتات ، ومنها مثلاً وجود أعضاء التأنيث في منابت كل حبة في كوز الذرة الرومي [الذرة الشامية الهندية] ، حيث تمتد شعيرة حريرية من عرق كل حبة تخرج من بين أغلفة الكوز إلى منطقة رأس الكوز حيث تتجعد وتفقد ملمسها الحريري لتتمكن من إلتقاط حبوب اللقاح الذكرية التي تتساقط من شماريخ النبات والموجودة في قمته والتي تخرج في شكل حبات بيضاء صغيرة ، تلتقطها تلك الشعيرات المتجعدة في رأس كل كوز فتعبر منها إلى المبيض في نهاية الشعرة الحريرية فيتم التلقيح والإنجاب للحبة ، وإذا كان هذا الاكتشاف لعالم الذكورة والأنوثة في النبات لم يعرف إلا في القرون الأخيرة= = فإن القرآن قد جاء مبيناً للذكورة والأنوثة في العوالم كلها ما كان معروفاً في

٨- واكتشف الأطباء أن الأعصاب التي تتألم بحريق النار وشدة البــرد توجد في الجلد وفي الأحشاء فقط ، وتتركز باقي أعصاب الإحساس فــي الجلد مما يجعل الإنسان يتألم عند دخول إبرة الطبيب في منطقة الجلــد، فإذا غارت في اللحم تلاشى الألم، وقد بين القرآن أن الألم بالحرق يكون في الجلد، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ[1] جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2] [النساء: ٥٦] .

الإنسان والحيوان زمن نزول القرآن وما عرف الآن من زوجية في النباتات وفــي ذرات الأجسام من جسيمات موجبة وأخرى سالبة وما سيعرف في المستقبل كما في قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّــا لا يَعْلَمُونَ) (يّــس:٣٦) .

(١) "نضجت" : احترقت وتهرأت ، انظر تفسير الطبري عند الآية المذكورة.

(٢) وفي زمن نزول القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام ؛ كان البشر يظنــون أن الإحساس بأنواع الألم يوجد في كل جزء من البدن ، حتى جاء العلم الحديث بعد تقدم المجاهر الحديثة (المكروسكوبات) وعلم التشريح فاكتشف أن الجلد يشتمل على النهايات العصبية لأنواع الإحساسات ، وإنها تتلاشى في البدن بعد منطقــة الجلــد وخاصة الأعصاب الحساسة للحرارة والبرودة فلا توجد في غيــر الجلــد إلا فــي منطقة الأحشاء لذلك رأينا القرآن الكريم وهو يهدد الكــافرين بالعــذاب الألــيم = =بالحرارة في النار يحدد المناطق في الجسم التي توجد فيها الأعصاب الحساســة بألم الحريق بالنار في الجلد وفي الأحشاء قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ

٩- واكتشف الدارسون أن اللبن في الأنعام يستخلص من بين الفرث في الأمعاء الدقيقة[١]، فتبقى الفضلات التي تخرج في صورة بعر وغيره،

نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء:٥٦) أي أن منطقة العذاب في الجلد ؛ حيث توجد الأعصاب الحساسة للحرارة والبرودة فإذا نضج الجلد وماتت تلك الأعصاب سوف لا يحس صاحبها بألم ؛ لأن تلك النهايات العصبية الحساسة للحرارة والبرودة لا توجد في اللحم (العضلات) وإنما توجد في الجلد فيبدل الله الكافرين جلوداً أخرى كما قال تعالى: (... بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ...) (النساء:٥٦) . وأما أعصاب الإحساس للحرارة والبرودة الموجودة في الأحشاء ، فإن الألم لا يتحقق إذا بقي الماء الحميم الناري في تلك الأمعاء ؛ لأن الأمعاء والمعدة مبطنة بطبقة مخاطية تحول دون الإحساس بالحرارة ، ولذلك إذا ابتلع شخص لقمة ساخنة ، أو شراباً ساخناً فإنه لا يشعر بحرارة ذلك الشراب أو اللقمة الساخنة في معدته وأمعائه؛ بسبب تلك الطبقة المخاطية التي تبطن المعدة والأمعاء وهي غير حساسة للحرارة ؛ وبناء على ذلك فإن العذاب بالماء الحميم الذي يشربه الكافر ؛ هو أن تقطع الأمعاء، فينزل الماء الحميم إلى منطقة الأحشاء الغنية بالأعصاب الحساسة بألم الحرارة أو البرودة فيقع العذاب كما بين الله تعالى في قوله : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)(محمد: من الآية١٥) .

(١) كشف العلم الحديث - بعد اكتشاف وظائف الجهاز الهضمي والجهاز الدوري الدموي خلال مائة عام من الدراسة ؛ بأدق الآلات لدراسة الجهاز الهضمي في الحيوان، أن ما تأكله الأنعام من طعام يتحول إلى فرث بفعل إنزيمات هضمية

بعد أن كانت كلها فرثاً سائلاً، ثم تدخل المواد الغذائية في الدم، ثم يستخلص اللبن من الدم في الضروع، والله يقول : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ(١) لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ [النحل : ٦٦].

١٠- ما كانت البشرية تعرف أن في البحر موجاً داخلياً غير الموج السطحي ، وما كان الناس يعلمون أن في أعماق البحار ظلمات(٢)، فجعل

معينة تحوله إلى فرث، ثم يتجه ذلك الفرث إلى الأمعاء ، حيث تستكمل عملية الهضم فتحوله إلى فرث رائق (وترى الجزّار إذا أخرج بأصابعه ما بداخل الأمعاء يجري معه فرثاً سائلاً). وفي الأمعاء تمتص المواد الغذائية من بين الفرث ، وتدخل في الدماء عن طريق زوائد في الأمعاء تسمي الخملات ، وهي التي تقوم بامتصاص المواد الغذائية وإدخالها إلى الدم في جسم الحيوان ، فتبقى بقية الفضلات التي تخرج من أجسام الأنعام في صورة بعر أو روث .

(١) " من بين فرث ودم" : لقد تصفى اللبن مرتين، مرة من الفرث ثم صار دماً، ومرة من الدم ثم صار لبناً خالصاً .

(٢) لم تكتشف الأمواج الداخلية للبحار إلا في عام ١٩٠٠م ، على أيادي البحارة الإسكندنافيين ، وما كان أحد من الناس قبل ذلك يتصور أن هناك موجاً داخلياً في البحر؛ لأن الذين يغوصون في البحر إلي أي عمق ممكن لهم قبل صناعة الغواصات لا يمكنهم أن يجدوا تلك الأمواج ، لأنها على عمق لا يصلون إليه إلا عن طريق الغواصات ؛ التي لم تصنع إلا بعد عام ١٩٣٣م ؛ كما أن الظلمات التي في البحار العميقة لم تعرف إلا بعد صناعة الآلات المقاومة للضغوط المائية

الله للأسماك سرجاً في أجسامها تنير لها في تلك الظلمات، وما كان أحـــد يعلم أن الموج بسطحه المائل يشتت الضوء الذي يسقط عليه من أعلـــى

الشديدة، بعد عام ١٩٣٣م ، كما أن الظلمات الناشئة عن العمقِ والتي تحدث بسبب امتصاص ألوان الطيف السبعة التي يتكون منها الشعاع الضوئي ؛ إنما تـــتم علـــى أعماق متفاوتة في الماء بحسب طول الموجة لكل لون من ألوان الطيف الســـبعة ، فعلى عمق عشرين متراً من سطح البحر يتم امتصاص اللون الأحمر ، وعلى عمق ثلاثين متراً يمتص اللون البرتقالي ، وعلى عمق خمســـين متـــراً يمـــتص اللـــون الأصفر، وعلى عمق مائة متر يمتص اللون الأخضر ، ويمتص اللون الأزرق على عمق ٢٠٠متر، وبهذا تتكون الظلمات بسبب أعماق البحر ، وقد نسبتها الآية إلـــى تلك الأعماق كما قال تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ)(النور : ٤٠) أي عميق. كما ذكرت الآية بعض الظلمات التي تتكون في البحر بسبب الحـــواجز الضـــوئية المتمثلة في الموج الداخلي ، ومن فوقه الموج السطحي الذي يعكـــس جـــزءاً مـــن الأشعة الساقطة على البحر ، فتظهر للمشاهد في صورة لمعان على ســـطح تلـــك الأمواج ، والحاجز الضوئي الأخير : هو السحاب الذي يشتت جزءاً من الضـــوء= = الساقط عليه ، ويمتص جزءاً آخر ، ويعكس جزءاً ثالثاً ؛ فتنشأ عنه ظلمة بسبب السحاب، وإلى هذه الظلمات الناشئة عن الحواجز الثلاثة أشارت الآية قال تعالى :- **(يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِـــنْ فَوْقِـــهِ مَـــوْجٌ مِـــنْ فَوْقِـــهِ سَـــحَابٌ ظُلُمَـــاتٌ بَعْضُـــهَا فَـــوْقَ بَعْضٍ)**(النور:٤٠) ويلاحظ القارئ للآية : أن ظلمات الحواجز الثلاث ؛ وظلمـــات الأعماق للألوان السبعة ؛ قد عبر عنها في الآية بجمع القلة ، وهي ظلمات ، والتي تكون ما بين الثلاث إلى العشر ، فمن علَّم محمداً كل هذه الأسرار المختفيـــة فـــي أعماق البحر ، وهو الذي عاش في بيئة صحراوية ولم يركب البحر قط ؟!

فيكون بذلك ظلمة كما تفعل السحاب في منع بعض الأشعة من النفاذ إلى أسفل، لكن كل هذه الأسرار قد ذكرها الله في آية واحدة، قال تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1] [النور : ٤٠] .

هذه الأسرار وغيرها في آفاق السماء، وأعماق الماء، وباطن الأرض، وبطون الأنعام، وجوف النبات، وفي تركيب الإنسان، ما عرفها الإنسان إلا في هذا الزمان بعد أن صنع أدق الآلات التي تمكن بها من معرفة هذه الأسرار.

فمن كشف لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة عام يوم لا طائرات، ولا غواصات، ولا مخترعات علمية ؟! إن هذا كله يشهد لكل عاقل في أمريكا أو روسيا، في الهند أو الصين، في أوروبا أو استراليا أو في أي مكان آخر ، أن هذا القرآن نزل بعلم الله، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفرقان : ٦] كما يشهد لكل عاقل أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) "لجي" : أي عميق كثير الماء (تفسير الطبري عند تفسير هذه الآية) "يغشاه موج" : يعلوه ويغطيه .

علامات الساعة[1]

قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦)إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] . وإخبار محمد صلى الله عليه وسلم بغيب علامات الساعة التي لم تظهر أماراتها إلا في زماننا، يشهد له بصدق الرسالة، كما يشهد بأن الساعة حق وأنها قد أصبحت قريبة .

ــ ومن العلامات التي ظهرت ما يلي :

١ ـ أمور عظيمة لم تخطر على بال أحد من قبل :

هذه العجائب والأمور العظام التي حدثت في المخترعات، وفي عالم السياسة، والأنظمة، والعلوم، وهذه الأحداث العالمية، التي ما كانت

---

(١) الساعة في اللغة :- جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات، وساع انظر (لسان العرب) لابن منظور ١٦٩/٨ والنهاية في غريب الحديث ٤٢٢/٢ .
والساعة في الشرع : الوقت الذي تقوم فيه القيامة. انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٠/١٠ وفتح الباري لابن حجر ٣٨٩/١١ ، وسميت ساعة لوقوعها بغتة قال تعالى : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) (محمد:١٨) وأشراط الساعة : علاماتها التي تسبق وقوعها: وهي على ثلاثة أقسام :- قسم قد وقع. وقسم ظهرت مقدماته. وقسم سيقع في المستقبل .

تخطر على بال أحد، سواء في أحوال المسلمين، أو الكــافرين، يصــدق عليها وصف: الأمور العظيمة، التي لم تخطر على بال أحد من السابقين، وقد أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(لا تقوم الســاعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم)**[(١)] .

٢ ـ الحفاة العراة رعاة الغنم وتطاولهم في البناء :

إن الحافي الذي لا يملك حذاء، العاري الذي لا يجد ثوباً يستر كــل جسمه، العالة في طعامه على غيره، الذي لا يجيد من العمل غير رعــي الغنم، إن الذي يتصف بكل هذا لا يتصور أحد من الناس من قبــل، أنــه سيتمكن من بناء أي بيت، فضلاً عن أن يجعل ذلك البيت مــن البيــوت الطويلة ويطاول غيره في البناء، وفضلاً عن أن يكون ذلــك ظــاهرة لا تحدث لشخص واحد، بل تحدث لجماعات كثيرة من رعاة الغنم الحفــاة،

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد عن سمرة ابن جندب رضي الله عنه في كتــاب الفــتن ٣٩/١ وعنه ابن وضاح في البدع ٢٦٠/١، ولمعنى الحديث وموضوع البحث شاهد في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً، انظر: صحيح البخاري ٢٦٦٠/٦ رقــم الحــديث ٦٨٦٤ وصحيح مسلم ١٨٣٢/٤ برقم ٢٣٥٩ وصحيح ابن حبــان ١٠١/٧ بــرقم٢٨٥٦ والحاكم ٤٧٨/١برقم١٢٣٠ وصحيح ابن خزيمة ٣٢٥/٢ برقم١٣٩٧وقال الألباني: إسناده ضعيف ، ثعلبة مجهول كما قال ابن المديني وغيره، وهو في مجمع الزوائد ٤٤٨/٢برقم ٣٢٧٣.

العراة، العالة، فهذا أمر ما كان يخطر ببال أحد، لكن الأمر وقع، فبعد أن فتح الله على المسلمين وغيرهم من ثروات الأرض، وخاصة البترول، رأينا رعاة الغنم الحفاة، العراة، العالة، يتطاولون في البنيان، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن هذه من علامات الساعة، فقال : **(إذا رأيت الحفاة، العراة، العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان فانتظر الساعة)**[1] .

٣ ـ ظهور الكاسيات العاريات المائلات المميلات رؤوسهن كأسنمة الجمال:

كان هناك بعض الصعوبة في فهم حالة النساء اللائي وصفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهن سيخرجن في آخر هذه الأمة، وأنهن كاسيات عاريات، وقد يحتار الإنسان، كيف تكون المرأة كاسية، وعارية في آن واحد حتى رأينا ذلك في زمننا، فللمرأة كساء، ولكنه شفاف يصف الجسم، ويظهره [أولها الملابس الكثيرة، ولكنها تفصلها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك/التفسير ب/ سورة آلم غلبت الروم ١٧٩٣/٤ برقم٤٤٩٩ بلفظ (وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها) ومسلم ك/ الإيمان ب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٣٧/١ برقم٨ بلفظ (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) واللفظ الوارد في الأصل هو في شعب الإيمان للبيهقي ب/ الدليل على أن الإيمان و الإسلام على الإطلاق عبارتان عن دين واحد ٥٠/١ .

قصيرة] أو تكون لابسة كاسية في بعض الأماكن، متعرية في أماكن أخرى. وهن أيضاً مائلات مميلات، وقد اكتمل الميل عن الطريق المستقيم، والتمايل بالأجساد، حتى وضعوا لهن في أحذيتهن كعوباً عالية، لاستكمال الميل في الأجسام، وهن بهذا الميل مميلات لكثير من الشباب مضلات لهم بفتنتهن المعروضة .

ورؤوسهن كأسنمة البخت المائلة : أي كأسنمة الجمال المائلة . وهذا ما نشاهده في زماننا مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كشف الله له هذا الغيب، قبل ألف وأربعمائة عام، فقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: **(صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس[1]، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة[2]، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها...)**[1] .

---

(١) الذين يعتدون ظلماً على الناس فيضربونهم بالسياط . قال المناوي : هم أعوان والي الشرطة المعروفون بالجلادين. فإذا أمروا بالضرب تعدوا المشروع في الصفة والمقدار. وقيل : المراد بهم الطوافون على أبواب الظلمة ومعهم المقارع يطردون بها الناس. انظر فيض القدير للمناوي ٤/٢٠٩ .

(٢) لم يكن العلماء السابقون يتصورون أن الرأس نفسه سيكون في شكل سنام الجمل. فشرحوا الحديث كما قال النووي. يكبرنها (أي رؤوسهن) ويعظمنها بلف

٤ ـ نطق الجماد :

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : **(إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله من بعده)**[٢] .

عمامة أونحوهما ؛ بينما هو في الحقيقة اليوم ؛ كسنام الجمل عندما يقمن (أي النساء) بلف شعور رؤوسهن إلى أعلى الرأس (الباروكا) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك/ كتاب اللباس والزينة ب/ النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ٣/١٦٨٠برقم٢١٢٨واللفظ له، وأحمد في مسنده٢/٤٤٠ برقم ٩٦٧٨ وابن حبان في صحيحه ١٦/٥٠٠ برقم٧٤٦١ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٠٦برقم ٨٠٤٩ وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه١١/٣٨٣ برقم ٢٠٨٠٨ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٣/٢٨٨ برقم ٥٩٢٧، وللحديث شاهد في سنن الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري : (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده) ٤/٤٧٦ برقم٢١٨١ قال الشيخ الألباني: صحيح. وفي المستدرك للحاكم ٤/٥١٤ برقم٨٤٤٢ وقال هذا = =حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وعلق عليه الذهبي بقوله: على شرط مسلم ، وهو في السلسلة الصحيحة ١/٢٤١ برقم١٢٢ قال الألباني: (صحيح). والعذبة بفتح العين المهملة والذال المعجمة أي : طرفه ، وشراك نعله بكسر الشين المعجمة أحد سيور النعل تكون على وجهها. انظر: تحفة الأحوذي٦ / ٣٤٠ .

النعل جماد، والسوط جماد، وما كـــان أحـــد يتصـــور أن الجمـــاد سينطق، وقد نطق الجماد فعلاً! وأما كيف يحدث النعل، أو السوط الرجل عما أحدث أهل بيته بعده؟ فقد اخترعت الآن أجهزة يحملها الإنسان فـــي يده، فتنقل له الأصوات، والكلام من بيته، أو من بيت غيره، [وما بقـــي إلا أن تشكل في شكل سوط، ليسهل حملها، أو تصنع فـــي الحـــذاء فـــلا ترى] ويمكن تركيبها في طرف العصا أو في مكان ما من الحذاء بحيـــث لا ترى[١] .

٥ ـ قبض العلم، وكثرة الزلازل، وتقارب الزمان، وظهور الفتن، وإطالة البناء:

قبض العلم هو موت العلماء وعدم وجود من يخلفهـــم، والمقصـــود بهم علماء الإسلام، وقد دل الحديث على ذلك، وكثرة الزلازل هـــو مـــا نشاهده ونسمعه في هذه الأيام من الزلازل المدمرة .

---

(١) تجرى محاولات لإجراء عمليات جراحية في مخاخ الحيوانات لتـــتمكن مـــن النطق وهناك أجهزة للتنصت يوجهها صاحبها إلى أي بيت يشاء ، ليسمع كل مـــا يدور في داخل ذلك البيت. وقد صُنِعَ حذاء تتولد الكهرباء فيه بحركة السير. وهناك فكرة لتوليد تيار كهربائي من حرارة الدم في جسم الإنسان بحيث إذا وضـــع فـــي الجيب ووصل بالفخذ تكون التيار الكهربائي ، وعندئذ لا تحتاج آلات التنصت إلى مصدر للطاقة (بطاريات) فتؤخذ من النعل والفخذ. وقد يكون عندئذٍ أحـــد معـــاني الحديث الذي أشار إلى حديث الفخذ والنعل للإنسان بقوله (ويخبره فخذه بما يحدث أهله بعده) والله أعلم.

وتقارب الزمان أي : أن الأيام تمر وكأنها ساعات قليلة، وسبب ذلك كثرة الأحداث التي تجعل الإحساس بالزمن يقل (والله أعلم) فإذا كنت مشغولاً في عمل مرت الساعة وكأنها لحظات، أما إذا كنت فارغاً فتحس بطول الزمان، وزماننا هذا أيامه مملوءة بالأعمال، مما يجعلها تمر بسرعة[1] ، وظهور الفتن : أي : كثرة الفتن التي تفتن الإنسان عن دينه، والإعلان بها .

وأما إطالة البناء فما عليك إلا أن تقارن بين المنازل قبل خمسين عاماً والمنازل في أيامنا هذه وكيف استطالت، وهذا كله قد أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : **(لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل ....، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن[2]، وحتى يتطاول الناس في البنيان ...)**[3] .

---

(١) ومعنى تقارب الزمن: مروره بسرعة ، أو أنه ينجز من الأعمال في ساعة ما لم يكن ينجز إلا في يوم وربما أسابيع كالسفر بالطائرات وما تنتجه المصانع من المنتجات وغير ذلك من الأعمال الكبيرة التي تنجز في أوقات قليلة .

(٢) وتظهر الفتن: أي تقع الفتن. ويظهر وقوعها للناس وإن كانوا بعيدين عنها عبر ما يشاهدونه في أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والله أعلم .

(٣) أخرجه البخاري ك/ كتاب الفتن ب/ خروج النار ٦/٢٦٠٥ برقم٦٧٠٤. وعند الإمام أحمد بلفظ (لاتقوم الساعة حتى يتطاول الناس بالبنيان) ٢/٥٣٠ برقم١٠٨٧٠ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم .

٦ ـ تسليم الخاصة، وفشو التجارة وقطع الأرحام وكثرة القراءة وشهادة الزور:

تسليم الخاصة : هو أن يخص الإنسان بالسلام من يريــد، وفشــو التجارة : انتشارها، وفشو القلم : أي : كثرة استخدام القلم، وهــو دليــل على كثرة القراءة والكتابة، وهذا كله جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : **(بين يدي الساعة تسليم الخاصة ، وفشــو التجــارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشــو القلــم، وظهور الشهادة بالزور، وكتمان شهادة الحق)**[١] .

٧ ـ كثرة الزنا وشرب الخمر :

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : **(إن من أشراط الســاعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر)**[٢]، وكثــرة الجهل، أي الجهل بالدين.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب من كره تسليم الخاصة ١ / ٣٦٠ وصححه الألباني. و أحمد في مسنده ١/ ٤٠٧ برقم ١٠٤٩ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن ، والحاكم في المستدرك ٤/١١٠ برقم٧٠٤٣ وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٢) أخرجه البخاري ك/النكاح ب/ يقل الرجال ويكثر النساء ٥/٢٠٠٥ برقم، ٤٩٣٣ واللفظ له ، و مسلم ك/ العلم ب/ رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٤/ ٢٠٥٦برقم٢٦٧١.

٨ ـ انتشار التعامل بالربا :

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : **(ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره)**[1] .

قال ابن حجر : وخص هذه الأمور بالذكر ؛ لأنه يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد وهي الدين ؛ لأن رفع العلم يخل به. والعقل ؛ لأن شرب الخمر يخل به. والنسب ؛ لأن الزنا يخل به انظر : فتح الباري ١/١٧٩ باختصار .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٤٩٤ برقم ١٠٤١٥ وقال شعيب الأرنؤوط : ضعيف عباد بن راشد ضعيف لكنه متابع ، وأبو داود ك/ البيوع ب/ في اجتناب الشبهات ٢/٢٦٣ برقم٣٣٣١ وقال الشيخ الألباني : ضعيف،وابن ماجه ك/ التجارات ب/ التغليظ في الربا ٢/٧٦٥ برقم ٢٢٧٨،والحاكم في المستدرك كتاب البيوع ٢/١٣ برقم٢١٦٢ وقال:قد اختلفت أئمتنا في سماع الحسن من أبي هريرة فإن صح سماعه منه فهذا حديث صحيح وقال الذهبي في التلخيص : سماع = =الحسن من أبي هريرة بهذا صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى٥/٢٧٦ برقم١٠٢٥٣، وبمثل قول الحاكم قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٨ والزيلعي في نصب الراية ٢/٤٧٦ وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب رقم الحديث ١١٦٧ وإذا لم يصح هذا الحديث مرفوعاً فهو صحيح إلى الحسن البصري فيكون مرسلاً والمرسل مقبول إن كان من كبار التابعين عند الشافعي وهو حجة عند الحنفية وبعض الشافعية والمالكية. انظر إرشاد الفحول للشوكاني ص١١٩ وهو مذهب الحنابلة. انظر: المسودة لابن تيمية ١/٢٢٥ وجمهور الصحابة والتابعين على قبول المرسل. انظر: المستصفى للغزالي ١/٢٣٥.

وقد انتشر التعامل بالربا في زماننا عن طريق البنوك وغيرها، وإن كنا نرى ظهور بنوك إسلامية لا تتعامل بالربا، نسأل الله أن يكثـر مـن هذه البنوك الإسلامية.

٩ ـ التحية بالتلاعن وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال:

يأمر الإسلام بالتحية الحسنة، والرد الأحسن، وهكذا كان المسلمون، حتى ظهر في زماننا من يحيي غيره باللعن، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: **(لا تزال الأمة على شريعة حسنة ما لم تظهر فيهم ثلاث : مـا لم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم ولد الخبث، ويظهر فيهم السـقارون)** قالوا: وما السقارون؟ قال : **(بشر يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن)**[١] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ /٤٩١ برقم ٨٣٧١ واللفظ له،وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: منكر، وأحمد في مسنده ٤٣٩/٣ برقم ١٥٦٦٦ وقال شعيب الأرنؤوط:إسناده ضعيف، والطبراني في المعجم الكبير ١٩٥/٢٠برقم ٤٣٨، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧٤/١ وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وزبان وكلاهما ضعيف وقد وثقا ولكن معنى هذا الحديث يعتضد بحديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا استحلت أمتي خمساً فعليهم الدمار ، إذا ظهر التلاعن وشربوا الخمور ولبسوا الحرير واتخذوا القيان واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء" أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في شعب الإيمان ٣٧٧/٤ ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب

وما كان أحد يتصور أن الرجل سيتشبه بالمرأة، والعكــس، حتــى فاجأنا الزمان بهذه المصيبة، لكن رسول الله صلى الله عليه وســلم قــد أخبرنا عن هذا، وكشف الله له ما سيقع، فقال عليه وعلى آلــه الصــلاة والسلام : **(من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة ... وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال...)**[1].

١٠ ـ وطائفة على الحق ظاهرين:

ومهما كثر الفساد[2]، قد شاءت حكمة الله سبحانه أن تبقــى طائفــة على الحق ظاهرة، تقيم الحجة على الناس بالدعوة إلى دين الله، وتتمسك

٧١/٣ وقال : وسند هذا الحديث يتقوى بسند آخر، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم٢٣٨٦ .

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (مطولاً) ٣٥٨/٣ وقال ابن حجر: في إســناده فرج بن فضالة وفيه ضعف وانقطاع. انظر : تلخيص الحبيــر ١٧٧/٢ وضــعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٣١٣/٢ برقم١١٧١ .

(٢) أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما سبق عن فتن تمــر بهــا الأمــة ويتركز ظهورها عند اقتراب الساعة ، ولأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خــاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده، لكن الله عزوجل ضمن حفظ دينه كما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩) ، وقيض الله لحفظ الدين رجالاً عبر التاريخ يحفظونه .

بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ما نشاهده، فلا يخلو مكان إلا وفيه من يظهر دين الله، ويتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله .

وفي هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله)**[1].

---

(١) المراد بهذه الطائفة التي ذكرها الحديث والتي يقيم الله بها الحجة على الناس إلى قيام الساعة ؛ قد تحدث عنه العلماء ، فمنهم من قال : هي طائفة تحفظه بالعلم كما قال الإمام البخاري : هم أهل العلم ، وقال الإمام أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من ، قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث . ومنهم من قال : إنهم طائفة موزعة بين أنواع المؤمنين ، قال الإمام النووي : ويحتمل أن هذه الطائفة معروفة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض. انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٦٨/١٣ ، ومنهم من قال : هم طائفة مقاتلة يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، ويشهد لهذا القول ما رواه مسلم عن جابر بن سمره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة" انظر صحيح مسلم ك/ الإمارة ب/ قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" ١٥٢٣/٣ برقم ١٩٢٠.

وبعد : فهذا قليل من كثير، مما أخبر به رسول ربنا صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة عام، يشهد بصدق نبوته، وبأنه بشير لنا ونذير بين يدي عذاب شديد، فكما رأينا علامات الساعة اليوم فسنرى الساعة غداً، لأن المخبر بها واحد، وهو الصادق المصدوق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : إن هذا الدين لم يزل قائماً ؛ بسبب مقاتلة هذه الطائفة. انظر فيض القدير للمناوي ٣٠١/٥. وسبق كلام الإمام النووي في معنى الطائفة حيث قال : ومنهم شجعان مقاتلون ، وذكر الحافظ ابن حجر هذا القول = =نصاً في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٩٥/١٣. وانظر شرح النووي لصحيح مسلم ٦٨/١٣-٦٩ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة ب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين" ٢٦٦٧/٦ رقم الحديث ٦٨٨١ من رواية المغيرة بن شعبة بلفظ "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" وأخرجه مسلم من رواية ثوبان رضي الله عنه ك/ الإمارة ب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لاتزال طائفة من أمتي على الحق" ١٥٢٣/٣ برقم١٩٢٠ ، وأحمد في مسنده ٢٧٩/٥ برقم ٢٢٤٥٦ والترمذي في سننه ٥٠٤/٤ برقم ٢٢٢٩ والحاكم عن عمر رضي الله عنه ٤٩٦/٤ برقم ٨٣٨٩.

بينة تغير نظام الخلق

ـ من القرآن الكريم :

لقد خلق الله الكون على نظام ثابت، ولكن الله يخرق هـذا النظـام تأييداً لرسله وتصديقاً لهم .

ومن أمثلة ذلك : ما حدث لرسولنا محمد صلى الله عليـه وسـلم، وهي بينات كثيرة أقنعت الكثير من الناس بصدق رسالته ونبوته، ومنها:

١ـ انشقاق القمر :

نظام الخلقة الثابت هو أن القمر جسم واحد، ولا يقدر علـى شـقه نصفين أحد إلا الله، ولكن الكفار لما كذبوا محمداً صلى الله عليه وسـلم، وطالبوه بآية تصدقه شق الله له القمر نصفين، فقال عليـه وعلـى آلـه الصلاة والسلام : (اشهدوا)، قال الكافرون: سحرنا محمد، ولـم يكـذبوا

الآية التي شاهدوها[1] فأنزل الله قوله : ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[2][القمر:١–٢].

---

(١) أخرجه البخاري ك/ التفسير ب/ سورة القمر ١٨٤٣/٤ برقم٤٥٨٣ ، ومسلم ك/ صفات المنافقين وأحكامهم ب/ انشقاق القمر ٢١٥٩/٤ برقم ٢٨٠١ ، والترمذي ٣٩٥/٥ برقم٣٢٨٩ وفيه قول المشركين سحرنا محمد، وأحمد ٣٧٧/١ برقم٣٢٨٩.

(٢) **انشقاق القمر** : لقد شاهد الكفار انشقاق القمر وهم أحرص الناس على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شاهده المسلمون وهم أقوى الناس تصديقاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ونزل القرآن مسجلاً لهذا الموقف ومسجلاً لما قاله الكافرون من مبررات ومغالطات واهية لتغطية المعجزة الظاهرة التي رأوها وشاهدوها، وسمع الجميع ما سجله القرآن عن المعجزة وعن موقف الكافرين منها، فما كذب الكافرون وقوع المعجزة ولاشككوا فيما روى عنهم القرآن من تبريرات كاذبة ، مع أنهم كانوا أحرص الناس على تكذيب القرآن ، قال تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) (القمر:١–٣) بل لقد أكد الكافرون صدق ما أخبر به القرآن من معجزة انشقاق القمر بتحولهم تباعاً من الكفر إلى الإسلام .

وصدق المؤمنون الخبر عن نفس المعجزة بثباتهم على الإيمان ، ولون أن القرآن سجل ما لم يقع ولم يشاهدوه لكان ذلك سبباً للردة عن الإسلام .

وقد شاهد أحد ملوك الهند سرباتك معجزة انشقاق القمر وهو في الهند فقال : "إن القمر لا ينشق إلا لنبي" وتنازل عن ملكه لابنه وذهب لمقابلة النبي فوصل إلى مكة وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم بعد فترة عاد إلى بلاده ووافته منيته في= =صلالة في عمان كما تروي ذلك مخطوطة هندية موجودة في بريطانيا في مكتبة

٢ ـ الإسراء والمعراج :

شاء الله أن يرفع رسوله إلى سدرة المنتهى، فوق السماء السابعة، فلم يعرج به من مكة، بل أسري به منها ليلاً إلى بيت المقدس، ثم عُرِج[١] به من بيت المقدس.

وقد كان في إسرائه الدليل للكفار على صدقه، لأنهم كذبوا الرسول، ثم امتحنوا صدقه، فسألوه عن وصف بيت المقدس، وهم يعلمون أنه لم

مكتب الهند بلندن وقد أخذ البريطانيون المخطوطة إلى بريطانيا أثناء فترة إستعمارهم الهند ، وقد عد سرباتك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات مؤمناً وتذكره الكتب الإسلامية التي تعنى بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في كتاب الإصابة في أسماء الصحابة للإمام ابن حجر ، وقد روى الإمام الحاكم في كتابه المستدرك في باب الأطعمة ١٥٠/٤ برقم٧١٩٠ حديثاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الزنجبيل من جرة أهداها له ملك الهند .

وبعد أن وصل رواد الفضاء الأمريكان إلى القمر شاهدوا أدلة على أن القمر قد انشق نصفين والتحم مرة ثانية ، وتحدث عن هذا إثنان من علماء الفضاء الأمريكان في التلفزيون البريطاني ، وشاع أمر هذا الخبر بين المسلمين في بريطانيا ، وقد سمع وشاهد هذا الخبر عن هذه المعجزة في التلفزيون البريطاني داود موسى بيكوك رئيس الحزب الإسلامي في بريطانيا الآن ، وحدث بهذا أثناء محاضرة للدكتور زغلول النجار وفي محاضرات كثيرة ألقاها في الجامعات البريطانية.

(١) العروج : الارتفاع والصعود .

يره من قبل، فوصفه حجراً حجراً، فسألوه عن قافلة لهم في الطريق، فحدد مكانها، وعدد رجالها، ومن أي القبائل هم، ووصف الإبل، وذكر وصف الجمل الذي يتقدم القافلة، وما يحمل، بل وحدد الزمن الذي تصل فيه القافلة، فوصلت في الموعد الذي حدده[1]، فكان في ذلك كله دليلاً على إسرائه، وكان الإسراء دليلاً على المعراج في السماء، وذكر القرآن الإسراء، فقال سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال سبحانه عن المعراج : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[2] [النجم : ١٢-١٨]، وكانت الجنة والنار من آيات الله التي

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٨ .

(٢) "أفتمارونه" : أي تجادلونه : "رآه" أي رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى التي تنتهي إليها علوم الخلائق، وهي في السماء السابعة عن يمين العرش . "جنة المأوى" : هي التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين . "يغشى السدرة" " يغطيها ويسترها . "ما زاغ البصر" : أي : ما مَالَ عما أُمِر برؤيته = ="آيات ربه الكبرى" : أي الآيات العظام، منها : أنه رأى جبريل على صورته وله ستمائة جناح. ورأى الجنة والنار. ورأى الملائكة على اختلافهم في خلقهم وفي

عبادتهم، فمنهم الساجد، ومنهم الراكع، ومنهم القائم، يسبحون بحمد ربهم لا يتعبون ولا يفترون .

فقد أخرج مسلم في صحيحه ك/ الإيمان ب/ الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات ١/١٤٥ برقم١٦٢ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا= = لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا }ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ

بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً قَالَ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ= = ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ .

رآها عليه وعلى آله الصلاة والسلام . إن الإســراء والمعــراج خــرق للعادة، وقد جعله الله تصديقاً لرسوله .

٣ ـ الرياح والجنود التي لا ترى تقاتل مع الرسول وصحبه:

لقد كان المسلمون في جانب في الخندق الذي حفروه حول المدينــة لمنع المشركين من الوصول إليها، وكان الكفار في الجهة الأخرى مــن الخندق، فإذا برياح شديدة وجنود لا ترى، تطفئ نيران الكافرين وتكفــئ قدورهم، وتهدم أبنيتهم، وتقتلع خيــامهم، وتشــرد خــيلهم وإبلهــم، وإذا بالمشركين الذين جاءوا من أماكن بعيدة، وحاصــروا المســلمين ليــالي طويلة، تطردهم الرياح وجند الله رغم أنوفهم ، ويعودون خائبين، وأصبح المسلمون يرددون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (الحمــد لله وحده، صدق وعده ، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده)[١] .. وفي ذلك نزل قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب : ﴿ يَاأَيُّهَا

---

(١) أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ ما يقول إذا رجع من الغــزو ٣/١٢١ برقم٢٩١٨ ، ومسلم ك/ الحج ب/ ما يقول إذا قفــل مــن ســفر الحــج ٢/٩٨٠ برقم١٣٤٤ ، والنسائي ٨/٤٢ برقم٤٧٩٩ واللفظ له وقال الألباني صحيح لغيــره، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من قوله حين يرجع من أسفاره : "صــدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ".

الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب : ٩].

٤ ـ النعاس والمطر والملائكة تنزل لتأييد المسلمين :

توجه المسلمون لقتال المشركين في بدر، وهم خائفون لقلتهم، وضعفهم، فأنزل الله النعاس أماناً لهم، واحتلم بعضهم، فأخذ الشيطان يوسوس لهم، ويخوفهم من الموت وهم جنب، ليردهم عن المعركة، فأنزل الله ماء ليغتسلوا به، وليثبت الرمال به تحت أقدامهم عند سيرهم إلى المعركة، ثم نزلت الملائكة عند اللقاء بين الجيشين فهزم الكفار هزيمة نكراء في أول معركة بين الكفار والمسلمين.. وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[١] [الأنفال : ١١، ١٢] .

---

(١) "يغشيكم" : أي جعله غاشياً عليكم كالغطاء . "أمنة" : أمناً من الله وتقوية لكم . "رجز الشيطان" : أي وسوسته وتخويفه إياكم. "وليربط" : يشد على قلوبكم ويقويها= = باليقين. "الرعب": الخوف والفزع والانزعاج. "كل بنان" : كل الأطراف أو كل مفصل .

٥ ـ جنود الله تنصر محمداً على الكافرين أثناء الهجرة :

قررت قريش قتل محمد صلى الله عليه وسلم فأحاط شبابها بـداره، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من بيـنهم وقـد أغشـى الله أبصارهم واختفى في غار حراء وصاحبه أبا بكر الصـديق رضـي الله عنه يخشى أن ينظر الكفار الذين يطاردونهم إلى داخل الغار فيكتشفونهما ولكن جنود الله صرفتهم عن النظر إلى داخل الغار .

وطارد الفارس المدرب سراقة بن مالك الرسول صـلى الله عليـه وسلم وصاحبه بعد خروجهما من الغار، فلما قرب منهما سـاخت قـوائم فرسه في الرمال، حتى لامست بطن الفرس الأرض، وسقط مـن فـوق فرسه، فأخذ سراقة يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان[١]، وإلى هذا تشير الآية : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢] [التوبة:٤٠].

---

(١) انظر صحيح البخاري ك/ المناقب ب/ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ٣/١٤٢٠ برقم٣٦٩٣ ، ومسلم ك/ الزهد ب/ في حديث الهجرة ٤/٢٣٠٨ برقم ٢٠٠٩ .

(٢) "السكينة" : هي الطمأنينة . "أيده" : أي قواه .

سؤال وجواب :

قد يسأل سائل فيقول : وكيف أجعل إيماني بوقوع هـذه الخـوارق كإيمان من شاهدها؟ والجواب: بالتفكر في الأمر، واستخدام العقل نصـل إلى هذا الإيمان، فمثلاً خارقة الرياح والجنود التي لم تر، وخارقة انشقاق القمر، وغيرهما من الخوارق، لقد وقعت هذه الخوارق أمام مئات وآلاف المسلمين والمشركين، ثم نزل قرآن سجل هـذا الـذي وقـع، وسـمعه المسلمون وسمعه الكافرون، فصدق المسلمون ما ذكره القرآن من وقوع تلك الخوارق أمامهم، فثبتوا على إيمانهم، وعبادتهم، وجهادهم، وصـدق المشركون بما حدث، فلم يكذبوه، بل فسروا الانشقاق وباقي الخوارق بأنه سحر مستمر، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الإيمان والإسلام، وأصـبحوا هـم الحملة لهذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد حفظ الله القرآن من كل تبديل وتحريف فأنت ترى أن النسـخة من القرآن الموجودة في أمريكا، والصين ، والهند، وروسـيا، وأوربـا، وأفريقيا، هي نفس النسخة التي كان يقرأها الآباء والأجداد في مشـارق الأرض ومغاربها، وهي نفس النسخة التي نزلت على محمد رسـول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا نعرف أن الخوارق البينة سجلت فـي أعظـم سجل، أجمع الناس على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأزمانهم على صحة سنده.

ولو أن القرآن أخبر بأن حادثة وقعت للناس وهي لـــم تقـــع، مثـــل انشقاق القمر، أو تسليط الرياح على المشركين فـــي غـــزوة الأحـــزاب، لكذب بها الكافرون والمسلمون، وعندئذ لا يبقى أحد على الإسلام، لكـــن الذي حدث هو العكس، فدل ذلك على أن كل ما سجله القرآن هو الحـــق الذي وقع وشاهده وصدقه المسلمون والكافرون، وحفظـــه الله لنـــا فـــي القرآن بدون تحريف أو تبديل[١] .

---

(١) انظر كتاب بينات الرسول – صلى الله عليه وسلم – ص٢٢٧ .

بينة تغير نظام الخلق

ـ من الحديث الشريف :

وقد حفظ المسلمون أقوال رسولهم، وأعماله وتقريراتـــه، وحفظـــوا أوصافه الخلقية والجسدية، وكل ما يتصل به، ووصفوا الخـــوارق التـــي أجراها الله على يده، والتي كانت سبباً في إسلام الكثير مـــنهم، وتنـــاقلوا ذكرها جيلاً بعد جيل، وانبرى علماء الحديث يدققون في الروايات في كل جيل ويضبطون الألفاظ، ويتحرون السند[1].

---

(١) آمن الصحابة الكرام بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلموا أن طريق الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة إنما يكون باتباعهم له ، وتأسيهم به كما قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)(الأحزاب: من الآية٢١) ولكي يتحقـــق هـــذا التأسي به والاتباع له فقد حرص الصحابة حرصاً كبيراً على معرفة أحواله وضبط أقواله فكانت أعينهم كالكاميرات تراقب ما تشاهد من أحواله وترويها بدقـــة بالغـــة للأجيال من بعدهم ، وآذانهم كالمسجلات المرهفة ، التي تلتقط كل قول يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه دين يتقرب الخلق إلى ربهم باتباعـــه ، فحفظـــوا أقواله ، ودونوا أفعاله ، وسجلوا تقريراته ، بما لم يعرف له التاريخ نظيرا. حتـــى بلغ عدد الرجال الذين اشتغلوا من هذه الأمة بضبط الحديث وروايته مايزيد علـــى نصف مليون، وقد وضعوا الضوابط العلمية الدقيقة لمعرفة أحوال الرواة وطـــرق الحكم على صحة الحديث أو ضعفه بما لم يقع لبشر آخر في التاريخ، حتى عرف= = العالم تفاصيل حياته الشخصية والعائلية والعامة وعرفوا أوصافه الخَلْقية والخُلُقية

ولقد حدثت خوارق كثيرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت في كتب الحديث، نذكر منها الخوارق التالية :

وعادته في طعامه وشرابه وملبسه حتى بلغ بهم الأمر حصر الشعرات البيض في لحيته ، ورأسه وقد أخبر أنس بن مالك أنه لما توفي لم يكن في رأسه ولحيته عشرون شعره بيضاء "أخرجه البخاري ومسلم" . وحتى نقلوا عنه ما يقوله عندما يدخل الخلاء ، كما نقلوا عنه أقواله مع زوجاته وأقواله في جميع أحواله من الغضب والرضا والأزمات والصفاء ، ونقلوا عنه أحواله في الخوف والأمن والمطاردة له والفتح لمكة على يديه التي كانت أعتى قلعة للكفر في عصره ، وعرفوا تصرفاته في حالات الشدة والرخاء والغضب والرضا ، فعلوا ذلك كله وهم يخشون الكذب عليه من زيادة أو نقص خشية أن يكون الكذب سبباً لدخولهم النار كما حذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : "إنّ كذباً علي ليس ككذبٍ على أحد ، مَنْ كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" "أخرجه البخاري ك/ الجنائز ب/ ما يكره من النياحة على الميت ١/٤٣٣ برقم١٢٢٩ ، ومسلم" في المقدمة ب/ تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١٠ برقم٤ ، فالعلم بأحواله وأقواله وأفعاله وتقريراته دين يدخل الجنة والكذب عليه في شيء من ذلك يدخل النار، وعلى هاتين القاعدتين كتبت دواوين السنة التي نقلت لنا الكثير من معجزاته الخارقة للعادة .

١ ـ تكثير الماء القليل :

كان المسلمون بحاجة إلى ماء وهم في المدينة للوضوء قال أنس رضي لله عنه : **(أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء، وهو بالزوراء[١] مع أصحابه، فوضع يده في الإناء، فجعل ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم، قال قتادة : قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة)**[٢] .

وحدث مثل هذا والرسول مسافر مع سبعين من أصحابه[٣]. رواه البخاري .

---

(١) الزوراء : موضع بسوق المدينة . فتح الباري ١/١٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام٣/ ١٣٠٩ برقم٣٣٧٩ ، ومسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٨٢/٤ برقم٢٢٧٩ .

(٣) حيث جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم **دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ ، قَالَ أَنَسٌ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، قَالَ أَنَسٌ فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ**. ومعنى الرحراح : القريب القعر مع سعة فيه. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير . والحديث أخرجه البخاري ك/ الوضوء ب/ الوضوء من التور ١/٨٤ برقم١٩٧، ومسلم ك/ الفضائل ب/ في معجزات = =النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٧٨٣/٤ برقم٢٢٧٩ ، وابن خزيمة في صحيحه

وحدث مثل هذا في الحديبية والمسلمون ألف وأربعمائة[1] – رواه البخاري – فزاد ماء البئر .

وحدث مثل هذا أيضاً في سفر الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، عندما مسح على مزادتي امرأة كانتا فارغتين من الماء، فامتلأتا فشرب المسلمون وكان عددهم أربعين رجلاً، ثم ملأ كل قربته

٦٥/١، وابن حبان في صحيحه ٤٨١/١٤ برقم٦٥٤٦ ، وأحمد في المسند ١٤٧/٣ برقم١٢٥١٩ ، وأبو يعلى في مسنده ٧٢/٦ برقم٣٣٢٧ وعبد بن حميد في مسنده ٤٠٣/١ برقم١٣٦٥ والبيهقي في دلائل النبوة ١٢٢/٤ .

(١) حيث جاء في الحديث عَنِ الْبَرَاءِ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً ، وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً فَجَلَسَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي الْبِئْرِ ، فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا وَرَوَتْ أَوْ صَدَرَتْ رَكَائِبُنَا. أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام ١٣١١/٢ برقم٣٣٨٤ والبيهقي في دلائل النبوة ١١٠/٤-١١١.

فنزحناها : أخذنا من مائها شيء بعد شيء حتى لم يبقى منه شيء .

مج : المج إرسل الماء من الفم مع النفخ .

وروى هذه الحادثة أيضاً سلمة بن الأكوع رضي الله عنه. وأخرجه مسلم ك/ الجهاد والسير ب/ غزوة ذي قَرَدْ ١٤٣٣/٣ برقم١٨٠٧ .

فعادت المرأة تقول: لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما يقولـــون، فأســـلم قومها[١].

---

(١) عَنْ عِمْرَانَ قَالَ كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم (فذكر الحديث إلى قوله):- فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَنَزَلَ فَدَعَا رجلاً من أصحابه وَدَعَـــا عَلِيًّا فَقَالَ اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ ، فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا ، فَقَالَا لَهَا أَيْنَ الْمَاءُ ؟ قَالَتْ : عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ، وَنَفَرُنَا خُلُوف قَالاَ لَهَا انْطَلِقِي إِذًا ، قَالَتْ إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، قَالَتِ : الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ ؟ قَالاَ : هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ ، فَانْطَلِقِي، فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا ، وَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيـــهِ مِـــنْ أَفْـــوَاهِ الْمَـــزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ الْعَزَالِيَ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ : اسْقُوا وَاسْتَقُوا ، فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ .... وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَـــدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: اجْمَعُوا لَهَا ، فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَـــةٍ وَسَـــوِيقَةٍ حَتَّـــى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهَ فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا ، وَوَضَعُوا الثَّـــوْبَ بَـــيْنَ يَدَيْهَا ، قَالَ لَهَا : تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا (وفـــي صحيح مسلم قال الراوي عمران بن حصين – رضي الله عنه – فشـــربنا ونحـــن أربعون رجلاً عطاشى حتى روينا وملأنا كل قربة معنا واداوة) فَأَتَتْ أَهْلَهَـــا وَقَـــدِ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ قَالُوا : مَا حَبَسَكِ يَا فُلَانَةُ ؟ قَالَتِ : الْعَجَبُ ، لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِـــي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ؟ فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَـــيْنِ = =هَذِهِ وَهَذِهِ ، وَقَالَتْ بِإِصْبَعَيْهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ [تَعْنِي السَّمَاءَ

٢ ـ تكثير الطعام القليل :

وَالأرْضِ] أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حقًّا، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلكَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا : مَا أُرَى أَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا ، فَهَلْ لَكُمْ فِي الإِسْلامِ ؟ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الإِسْـلامِ.
أخرجه البخاري ك/ التيمم ب/ الصعيد الطيب وضوء المسلم ١/١٣٠ بـرقم٣٣٧، ومسلم ك/ المساجد ب/ قضاء الصلاة الفائتة ١/٤٧٤ برقم٦٨٢ وابن خزيمة فـي صحيحه ١/٦٠ برقم١١٣ مختصراً وابن حبان في صحيحه ٤/١٢٤ بـرقم١٣٠١ وأحمد في المسند ٤/٤٣٤ برقم١٩٩١٢ والبزار في مسنده ٩/٥٩ والطبراني فـي المعجم الكبير ١٨/١٣٢ برقم٢٧٦ وابـن أبـي شـيبة فـي المصـنف ٦/٣١٧ والأصبهاني في دلائل النبوة ١/٣٧ والبيهقي في دلائل النبوة ٤/٢٧٧ .
مزداتين : المزادة وعاء يحمل فيه الماء في السفر .
سطحيتين : السطحية هي المزادة تكون من جلدين لاغير .
أوكأ : شد أفوههما بخيط .
العزالي : جمع عزلاء والعزلاء فم القربة الأسفل .
سويقة : طعام يتخذ من مدقوقة الحنطة والشعير .
مارزئنا : ما نقصنا .
الصرم : القوم التي هي منهم .
وقد ذكرت كتب السنة كثيراً من هذه الخوارق مثل : (قصة ميضأة أبـي قتـادة ، وحادثة تكثير الماء في غزوة تبوك) انظر بينات الرسول ومعجزاته من ص٢٨١- ٢٨٨ وغيرها كثير .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم جائعاً، فجاءه أبو طلحة ببضعة أقراص من شعير، فأمر الرسول بفتها ودعا الله، وأمر أن يأكلوا منها عشرة عشرة، حتى شبع الجميع، وكان عددهم سبعين أو ثمانين رجلاً[1].

---

(١) أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام ١٣١١/٣ برقم٣٣٨٥ ، ومسلم ك/ الأشربة ب/ جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ١٦١٢/٣ برقم٢٠٤٠ ، والترمذي في سننه ك/ المناقب ب/ في آيات إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما خصه به ، وابن حبان في صحيحه ٤٦٩/١٤ ، وأبو عوانه في مسنده ١٧٨/٥ ومالك في الموطأ ٩٢٧/٢ وعبد بن حميد في مسنده ٣٧١/١ من المنتخب، وغيرهم . وإليك القصة كاملة : قال أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ بِطَعَامٍ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِمَنْ مَعَهُ قُومُوا فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ فَقَالَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَانْطَلَقَ =
=أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم هَلُمِّي

واشتد الجوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهـم يحفرون الخندق، فذبح جابر رضي الله عنه شـاة لرسـول الله وبعـض أصحابه، فنادى الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الخندق وكـانوا ألفـاً، فبارك الله اللحم والخبز حتى شبعوا جميعاً[1].

يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ ائذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُـمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَـبِعُوا وَالْقَـوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا .

(١) قال جابر رضي الله عنه : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجـاءوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صـلى الله عليه وآله وسلم المِعْول فضرب في الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسـول الله ائذن لي إلى البيت فقلت لامرأتي هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصا شديداً فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شـعير ولنـا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في بُرمتهـا ثـم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت : لا تفضحني برسول الله = = صلى الله عليه وآله وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنـا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبـي

وفي غزوة تبوك أصيب المسلمون بمجاعة فاستأذنوا الرسول أن يذبحوا الإبل، فاقترح عمر رضي الله عنه أن يجمع المسلمون بقايا طعامهم ويدعو الرسول بالبركة، فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا، فبارك الله لهم في الطعام، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا

صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سُورا فحيّ هلا بكم ، فقام المهاجرون والأنصار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء ، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقلت: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم !! فقالت : بك وبك فقلت: قد فعلت الذي قلت، قالت : هل سألك؟ قلت: نعم، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعُ خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو، قال كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة. لفظ القصة من مجموع روايتين للإمام البخاري في صحيحه ك/ المغازي ب/ غزوة الخندق وروى القصة أيضاً الإمام مسلم في صحيحه ك/ الأشربة ب/ جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ، وأحمد في مسنده ٣/٣٧٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٢٧٤ والدارمي في سننه ١/٣٣ وأبو عوانة في مسنده ٥/١٧٧ وابن أبي شيبة في المصنف ٦/٣١٤ والفريابي في دلائل النبوة ص٥٣ والأصبهاني في دلائل النبوة أيضاً ١/٢٠٨ .

في العسكر وعاء إلا ملأوه. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني رسول الله[1].[2]

---

(١) فقد أصابت المسلمين مَجَاعَةٌ في غزوة تبوك ، فقال الصحابة يَا رَسُولَ اللَّـهِ : لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآلـه وسلم افْعَلُوا قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ وَلَكِـنِ ادْعُهُـمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : نَعَمْ ، قَالَ : فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ ثُـمَّ دَعَـا بِفَضْـلِ أَزْوَادِهِمْ قَالَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ قَالَ : وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَـفِّ تَمْـرٍ قَـالَ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ قَالَ فَدَعَا رَسُـولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَـلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ. أخرجه مسلم ك/ الإيمـان ب/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعـاً ، وابـن حبـان فـي صحيحه ٤٦٥/١٤ وأحمد في المسند ١١/٣ وأبو يعلى في مسـنده ٤١٢/٢ وابـن منده في الإيمان ١٧٨/١ والفريابي في دلائل النبوة ص٣٣ .

(٢) وقد روت كتب السنة الكثير من خارقة تكثير الطعام القليل للرسول صـلى الله عليه وسلم مثل : " قصة سلمة بن الأكوع ، وقصة تكثير تمـر جـابر ، وقصـة إطعامه صلى الله عليه وسلم ١٣٠رجلاً من شاة ، وقصة حيسة أم سليم ، وقصة = = تكثير شطر وسق شعير ، وظهور بركته في شعير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وقصة تمرات أبي هريرة، وقصة قصعة الثريد التي كانت تمـد، وإطعـام

٣ ـ حنين جذع النخلة وتسبيح الطعام[١] :

لما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد في خطبة الجمعة إلى جذع النخلة الذي كان يستند إليه بعد أن صنع له المنبر، حنَّ الجذع كحنين الناقة حتى كاد يتصدع، فجاء إليه رسول الله وضمه حتى سكن[٢].

وروى البخاري والترمذي : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

عمر رضي الله عنه ٤٠٠من مزينة ، ودر لبن شاة بيده وهي لا تحلب ، وتكثير اللبن في قصة أبي هريرة ، وقصة تكثير السمن لأم مالك" انظر بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من ص٢٧٥ إلى ص٢٨٠.

(١) ومن نوع هذه الخارقة حوادث أخرى بينتها كتب السنة منها مايلي : نزول العذق استجابة لدعوته ، وحادثة السلمة التي شهدت بنبوته ، وانقياد شجرتين له ، وشهادة الذئب بنبوته ، وشكوى جمل له من صاحبه وتأدب حيوان الوحش معه، وتكثير المال لسلمان الفارسي ببركته ، واستجابة الله عزوجل لدعواته سواء لمن دعى لهم أو دعى عليهم ، وشفاء المرضى برقيته" انظر بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من ص٢٨٩ إلى ص٣١٤.

(٢) أخرجه البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام ، وابن ماجه ك/ إقامة الصلاة ب/ ما جاء في بدء شأن المنبر ، والترمذي ك/ المناقب ب/ في آيات إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحمد في مسنده ٣/٣٠٠ .

٤ ـ حماية الرسول من أعدائه :

أقسم أبو جهل أن يطأ رقبة محمد صلى الله عليه وسلم بقدمه إذا رآه يصلي، فرآه يصلي، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لينفذ وعده، فعاد على عقبه وهو يتقي بيديه، فقيل له : ما لك؟! قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة!![٢] .

---

(١) انظر البخاري ك/ المناقب ب/ علامات النبوة في الإسلام ، والترمذي ك/ المناقب ب/ في إثبات النبوة .

(٢) فقد جاء في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ! قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ ! قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ؟ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا !! وفي ذلك قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْداً إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ،= = كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق:٩-١٩) أخرجه مسلم ك/ التوبة ب/ قوله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) ٢١٥٤/٤ برقم٢٧٩٧ ، وابن حبان في صحيحه ٥٣٢/١٤ برقم٦٥٧١ ، والنسائي في السنن الكبرى ٥١٨/٦ برقم١١٦٨٣ وأبو يعلى في مسنده ٧٠/١١ برقم٦٢٠٧ ، والأصبهاني في دلائل النبوة ٦٥/١ .

وتآمرت يهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدست السم في شاة قدمتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلم أنها مسمومة فمجها، بينما أصاب السم بعض أصحابه(١).

(١) لما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيبر ، أهدت له امرأة يهودية شاة وجعلت فيها سماً؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود فجمعوا له، فقال : إني سائلكم عن شئ ، فهل أنتم صادقيَّ عنه فقالوا : نعم ، قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أبوكم ؟ قالوا : فلان فقال : كذبتم ، بل أبوكم فلان ! قالوا : صدقت. قال : فهل أنتم صادقيَّ عن شئ إن سألت عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: من أهل النار قالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلُفُونا فيها ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخسؤوا فيها، والله لا نَخلُفُكم فيها أبداً ، ثم قال: هل أنتم صادقيَّ عن شئ إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم، قال : هل جعلتم في هذه سماً، قالوا : نعم ، قال : ما حملكم على ذلك؟ ، قالوا: إن كنت كاذباً نستريح وإن كنت نبياً لم يضرك .

أخرجه البخاري ك/ الجزية والموادعة ب/ إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟ ١١٥٦/٣ برقم٢٩٩٨ ، ومسلم ك/ السلام ب/ السم ١٧٢١/٤ برقم٢١٩٠،= = والبيهقي في السنن الكبرى ٤٦/٨ برقم١٥٧٨٥ ، قال الحافظ ابن حجر :- وفي الحديث إخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيب وتكليم الجماد له انظر فتح الباري ٤٦/١٠ .

٥ ـ إخباره بالغيب :

ومن نوع هذه الخارقة ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوته قبل نجد حيث نجاه الله من رجل كان يريد قتله فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما "أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ" أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ غزوة بني المصطلق ١٠٦٥/٣ برقم٢٧٥٣ ، ومسلم ك/ الفضائل ب/ توكله على الله وعصمة الله تعالى له من الناس ١٧٨٤/٤ برقم١٤٣ ، وابن حبان في صحيحه ٤٠٠/١٠ برقم٤٥٣٧، والبيهقي في سننه الكبرى ٣١٩/٦ والنسائي في السنن الكبرى ٢٣٦/٥ وعبد بن حميد في مسنده ٣٢٧/١ من المنتخب. وفي رواية : "فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من يمنعك مني؟ قال : كن خير آخذ قال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال : لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فرجع فقال : جئتكم من عند خير الناس . رواه سعيد بن منصور ١٩٩/٢ برقم٢٥٠٤ ، وأبو يعلى ٣١٢/٣ برقم١٧٧٨ ، والحاكم ٣١/٣ برقم٤٣٢٢ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كـائن فـي حياته، وبعد موته، إلى قيام الساعة[1] .

---

(١) من أمور الغيب التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم :

أولا : الإخبار بالغيب الذي مضى :

* فتق السموات والأرض : أخبر القرآن أن السموات والأرض كانتا رتقاً، ففصل الله بينهما كما قال تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأنبياء:٣٠).

وقد بقي هذا الأمر سراً مجهولاً لا تعرفه البشرية عبر القرون قبل نزول القرآن وبعده بقرون، إلى أن سار الإنسان على سطح الأرض يجمع الشواهد ويقارن بين الظواهر الأرضية المختلفة، بل والظواهر الكونية التي استدل بها على حقيقة الاتصال السابق بين جسم الأرض وأجرام السماء. وتحقق له ذلك عندما سار على المنهجية التي وضعها القرآن لمعرفة بدء الخلق كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** ﴾ (العنكبوت:٢٠) وكان مما اكتشفه الإنسان أن باطن الأرض لا يزال نارياً ملتهباً ، كجسم الشمس والنجوم ، وكباطن معظم الكواكب التي لم تبرد. واكتشف الإنسان أن القشرة على الأرض تكونت بالبرودة ، فعرف أن الأرض وأجرام السماء كانا في الأصل شيئاً واحداً يتكون من عناصر متشابهة استدلوا عليها بتحليل الطيف كما وجدوا أن النجوم والكواكب لا تزال تتشكل من دخانٍ (سديم) في السماء . وقد وجد الباحثون في علم الفلك أن النجوم لا تزال تتباعد عن بعضها إلى يومنا هذا ، وكذلك الكواكب في المجموعة الشمسية = = لا تزال تتباعد عن بعضها وتأكدوا بالقياس العلمي أن القمر لا يزال يبتعد عن الأرض كل عام أربعة سنتيمترات. وهذا يدل على أن الأرض وأجرام السماء كانت

أقرب إلى بعضها البعض قبل مليون عام ، وكانت أكثر قرباً قبل مليار عام. وهكذا إذا رجعنا القهقرى سيوصلنا الحساب إلى الجسم المتحد قبل الانفصال. إن حقيقية اتصال الأرض بالسماء حقيقة غيبية يعجز الذهن البشري أن يتخيلها زمن نزول القرآن. إذ كيف يطيق العقل البشري في ذلك الزمان أن يتخيل أن النخلة على الأرض والبحر المحيط كانا جزءاً من الشمس الملتهبة ، أو أنهما كانا يوماً ما مادةً واحدةً مع القمر أو النجوم .لكن إمكانيات البحث العلمي ووسائله المتطورة مكنت من معرفة هذا السر الذي سبق أن ذكره القرآن ، فيدل ذلك على أن هذا العلم عن خلق الكون ونشأته قد جاء إلى محمدٍ ﷺ بوحي من الله جل وعلا .

* نجاة فرعون ببدنه

كشف الدكتور موريس بوكاي في كتابه "القرآن والعلم الحديث" عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليم مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آيةً للعالمين ، حيث قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (يونس:٩٢). يقول الدكتور بوكاي : "إن رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منبتاح خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام ، وإن الدراسة الطبية لمومياء منبتاح قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون. إن التوراة تذكر أن الجثة ابتلعها البحر ولكنها لا تعطي تفصيلا بشأن ما حدث لها لاحقاً. أما القرآن فيذكر أن جثة الفرعون الملعون سوف تنقذ من الماء كما جاء = =في الآية السابقة، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة ، إذ إنها لم تظهر أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل

في الماء." وقد أخبرني الدكتور موريس في مقابلة معه أنه أحد الأطباء الذين قاموا بالكشف على جثة فرعون فوجدوا فيها :

١- آثار الموت غرقاً . ٢- آثار ملح ماء البحر .

٣- أظهرت أشعة X تكسير العظام دون تمزق الجلد واللحم مما يدل أن كسر العظام كان بسبب ضغط الماء .

ويبين الدكتور بوكاي وجه الإعجاز في هذه القضية قائلاً : "وفي العصر الذي وصل فيه القرآن للناس عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت جثث كل الفراعنة الذين شك الناس في العصر الحديث صواباً أو خطأ أن لهم علاقة بالخروج، كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية. في عصر محمد صلى الله عليه وسلم كان كل شئ مجهولاً عن هذا الأمر ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبالتالي فإن جثة فرعون موسى التي مازالت ماثلة للعيان إلى اليوم تعد شهادة مادية في جسد محنط لشخص عرف موسى عليه السلام، وعارض طلباته ، وطارده في هروبه ومات في أثناء تلك المطاردة ، وأنقذ الله جثته من التلف التام ليصبح آية للناس كما ذكر القرآن الكريم". وهذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حيازة أحد من البشر عند نزول القرآن ولا بعد نزوله بقرون عديدة ، لكنها بينت في كتاب الله على لسان النبي الأمي، مما يشهد بأن مصدر هذا العلم هو الوحي الإلهي .=

= ثانيا : الإخبار بغيب الحاضر في وقت نزول القرآن

- قصة حاطب : قال الله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ* لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (الممتحنة:١-٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :-" كان سبب نزول صدر هذه الآيات الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضاً وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفاً لعثمان. فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم **وقال** " **اللهم عم عليهم خبرنا**" أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤٣٣/٢٣ برقم١٠٥٢ ، فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً ، فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعائه فبعث في إثر المرأة فأخذ الكتاب منها ، وهذا بين في هذا الحديث المتفق في البخاري ك/ الجهاد والسير، ب/الجاسوس ١٠٩٥/٣ برقم٢٨٤٥ ، ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل أهل بدر ١٩٤١/٤ برقم ٢٤٩٤ ، على صحته فعن علي رضي الله = =عنه يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو

لتلقين الثياب قال فأخرجت الكتاب من عقاصها ظفائر شعرها ، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حاطب ما هذا ؟ قال لا تعجل عليّ إني كنت أمرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إنه صدقكم" فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ : "إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وفي رواية للبخاري فأنزل الله السورة ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ...﴾ (الممتحنة:١). انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٤٢ ، فمن أخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب؟ ومن دله على المكان الذي سيجد فيه رسلة تلك المرأة ؟! إنه الوحي الذي أيد الله به رسوله ، وكشف له به ما غاب عنه .

ثالثاً : الإخبار بغيب المستقبل " ولتعلمن نبأه بعد حين "

المثال الأول : " غلبت الروم "

أخبر القرآن الكريم بأن الروم التي غلبتها فارس في بيت المقدس ؛ سوف تعاود الكرة وتخوض حرباً جديدة مع الفرس ، يكون النصر فيها للروم ، وذلك في مدة = =لا تتجاوز بضع سنين قال تعالى:﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم:١-٣). وقوله تعالى:﴿ **وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ إخبار بغيب سيقع في مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ، ولا تزيد عن تسع سنوات ،

كما يدل على ذلك لفظ بضع. وسبب نزول هذه الآيات بهذا الخبر الغيبي هو أن مشركي قريش فرحوا بظهور الفرس عبدة الأوثان على الروم أهل الكتاب ، بل وأظهروا الشماتة والتشفي بالمسلمين حتى قال قائلهم : سنفعل بكم كما فعله الفرس بالروم ، مما أحزن المسلمين؛ لأنهم يرون أن أهل الكتاب أقرب إليهم من المشركين فأنزل الله هذه الآيات ، أخرجه الترمذي ك/ تفسير القرآن ب/ سورة الروم ٣٤٣/٥ برقم ٣١٩٣ ، وأحمد ٢٧٦/١ برقم ٢٤٩٥ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين والحاكم في المستدرك ٤٤٥/٢ برقم ٣٥٤٠ ، وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في المعجم الكبير ٢٨/١٢ برقم ١٢٣٧٧ .

إن إعلان هذا الخبر عرَّضَ نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لامتحانٍ صعب ، فالمدة المضروبة لانتصار الروم محدودة ، والدولتان خرجتا لتوهما من حرب كانت نتيجتها غلبة الفرس على الروم، وهناك احتمال قوي أن هذه النتيجة ستدفع المنتصر لمتابعة انتصاراته وتجر المنهزم لمزيد من الهزائم . لكن النبي صلى الله عليه وسلم بلّغ الناس بهذا الخبر الذي جاءه من ربه ، وهو يعلم أنه يضع دينه ومستقبله وأصحابه رهن تحقق هذه النبوءة ، بانتصار الدولة المغلوبة المهزومة، وفي زمن محدد تظهر نتيجته في بضع سنين ، وهو يزال حياً مثل هذا لا يصدر إلا من نبي يوقن بوعد ربه الذي يملك مصير الأمم والدول والجيوش ويعلم ما يكون في المستقبل ، وقد راهن أبوبكر الصديق رضي الله عنه على تحقيق هذا = = الخبر أُبي بن خلف ، فكان رهاناً بين الإسلام والكفر، موضوعه مدى صدق وقوع هذا الخبر الغيبي في المدة المحدودة . وقد فرح المسلمون بتحقق هذا الخبر الذي وقع بعد سبع سنوات ، وكانوا يومئذ قد حققوا انتصاراً في غزوة بدر على الكافرين والنبي ﷺ بين ظهرانيهم ، وكان ذلك سبباً في إسلام خلق كثير من الكفار؟

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ الم*غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:١-٦).

المثال الثاني : إنا كفيناك المستهزئين :

* وقد تحقق وعد الله لرسوله بكفايته المستهزئين. قال تعالى:{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:٩٥].

فعن ابن عباس قال :(المستهزؤون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل ، والعاص بن وائل السهمي) .

فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أكحله وقال : كفيته .

ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عينيه وقال : كفيته .

ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال : كفيته .

ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال : كفيته .

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أكحله فقطعها .=

= وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها .

وأما الأسود بن المطلب فعمي وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني ؟ قد قتلت فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا . وجعل يقول : يا بني ألا تمنعون عني ؟ قد هلكت ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها .

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما إذ دخل في رجله شبرقة"أي شوكة" حتى امتلأت منها فمات منها..) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/٩ برقم١٧٥٠٩. وأنظره في صحيح السيرة النبوية للألباني [١/٢٢٠-٢٢١] .

وهكذا تحقق الوعد الإلهي لنبيه صلى الله عليه وسلم وكفاه المستهزئين فما مات النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد شهد مصارعهم .

المثال الثالث : إخباره صلى الله عليه وسلم للأنصار بما حز في نفوسهم يوم فتح مكة .

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (..." من دخل دار أبي سفيان فهو آمن " فقالت الأنصار بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الأنصار) قالوا لبيك يا رسول الله قال : (قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قرابته) قالوا: قد كان ذاك، قال: (كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم والمحيا= = محياكم والممات مماتكم) فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم) أخرجه مسلم في صحيحه ك/ الجهاد والسير ب/ فتح مكة ١٤٠٥/٣ برقم١٧٨٠ [١٤٠٥/٣] ، وأحمد بن حنبل في مسنده [٥٣٨/٢] برقم١٠٩٦١ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم والدارقطني في

سننه ٦٠/٣ برقم٢٣٣ والبيهقي في الكبرى ١١٧/٩ برقم ١٨٠٥٢ ، وأورده الألباني في مشكاة المصابيح ٣٥٦/٣ برقم٦٢١٠ قال عنه صحيح ، أعلام النبوة [١٢١/١] .

المثال الرابع : إخباره صلى الله عليه وسلم العباس بالمال الذي أخفاه عند أم الفضل.

عندما أسر العباس بن عبد المطلب في بدر وطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفدي نفسه وبعض أهله كما هو الشأن في أسرى قريش ، ادّعى العباس أنه لا يملك مالا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :(فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت عند أم الفضل وليس معكما أحد غيركما فقلت وإن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا ؟! قال : فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها ، وأني لأعلم انك رسول الله) أخرجه أحمد في مسنده [٣٥٣/١] برقم٣٣١٠ ، وحسنه شعيب الأرنؤوط ، والحاكم ٣٦٦/٣ برقم٥٤٠٩ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي والبيهقي في سننه الكبرى ٣٢٢/٦ برقم ١٢٦٢٨ .

فهذه المعجزة التي مرت بنا بعض حوادثها وأخبارها من إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ومجيئه كما أخبر قدمت دليلا للكافرين والمنافقين وللمؤمنين = =وللأجيال البشرية من بعدهم أن الله قد أيد رسوله بكشف الغيب المكنون في نفوس الناس، وبالغيب الذي كان يقع في مكان بعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم الناس فتأتي الركبان بعد زمن مصدقة لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل ، أو إخباره عن الغيب الذي لا زال مختفيا

لقد كان سبب إسلام شعب اليمن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر الفرس واليمنيين بأن ملك الفرس قد قتله الله انتقاماً لرسوله ـ عليه وآله الصلاة والسلام ـ وحدد الرسول الليلة التي قتل فيها كسرى ملك الفرس، فكان هذا سبباً في إسلام شعب اليمن وإسلام الفرس الذين كانوا في اليمن، ودخلوا في دين الله أفواجاً[1].

بأستار الزمان ، فتأتي الحوادث شاهدة بصدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها .

فانطلقت الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة بين الجموع البشرية مؤيدة بالمعجزات ، ومنها المعجزة التي مرت بنا بعض أدلتها ، وهي معجزة إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيب الذي كشفه الله له في عصر الرسالة .

(١) **قصة إسلام أهل اليمن ومعجزة تحديد القبلة :** كان أهل اليمن يمثلون ثقلاً سكانياً كبيراً في الجزيرة العربية ، وقد جعل الله في إسلامهم آية ، فتذكر كتب الحديث والسير والتاريخ أنهم أسلموا برسالة دون حرب ، لكن هذه الرسالة كانت معجزة ، وشاء الله أن تحتوي أحداث قصة إسلام أهل اليمن على معجزة جديدة أظهرتها الأبحاث في جيلنا في شهر رجب عام ١٤٢٧هـ . =

= أما الرسالة التي أسلم عليها أهل اليمن فقد كانت بعد أن وصل رسولا باذان [بابويه وخرخسره] إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلبان منه السفر إلى كسرى ملك الفرس للمثول بين يديه يسأله عن رسالته التي تجرأ بزعمه وأرسلها إليه يدعوه إلى الإسلام [وباذان هو الوالي الفارسي الذي كان يحكم اليمن في مدينة صنعاء] فأخبرهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في صبيحة اليوم التالي

لوصولهما أن الله قد انتقم له وقتل كسرى الذي تطاول على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : "إن ربي تبارك وتعالى قد قتل ربك يعني كسرى "رواه أحمد ٤٣/٥ برقم : ٢٠٤٥٥ وصححه الأرنؤوط .
وفي رواية "اذهبوا إلى صاحبكم فأخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة" .
وفي رواية "أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى في هذه الليلة" السلسلة الصحيحة ٤١٤/٣، وروى نحوه ابن أبي شيبه ٣٤٦/٧ برقم ٣٦٦٥٦ ، كما وردت القصة مطولة في كتب السير والتاريخ انظر سيرة ابن هشام ٦٩/١ والسيرة النبوية لابن كثير ٥٠٩/٣ وتاريخ الرسل والملوك للطبري ٣١/٢ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣١٨/١ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور وسبل الرشاد ٦٧/١٠ والروض الأنف ١٤٦/١ والسيرة النبوية للصلابي ١١٢٠/٢ .
فعاد الرسولان بهذا الخبر الغيبي المزلزل للفرس الذين كانوا يحكمون اليمن، ولأهل اليمن الذين انتشر فيهم الخبر حتى وصل حضرموت، وما هي إلا أسابيع وجاءت الأخبار مؤكدة لهذا الخبر الذي أخبر به في صبيحة ليلة حدوثه وهو على مسافة بعيدة لايصل منها الخبر إلا بعد أكثر من شهر فظهرت المعجزة فعرفوا صدق رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. =
= فأسلم الفرس الذين كانوا في اليمن بقيادة باذان ، وأسلم أهل اليمن ، وتحرك اليمنيون بوفودهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عام الوفود ولما نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر:١) قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن هم أرق أفئدةً والإيمان يمان والحكمة يمانية" أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ٢٧٧/٢ برقم ٧٧٠٩ وقال الأرنؤوط إسناده على شرط الشيخين ، وأورده الألباني

في السلسلة الصحيحة ١٤٩/٩ برقم٣٣٦٩ والدارمي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنه ٥١/١ برقم٧٩ واللفظ له والطبراني في المعجم الأوسط ٢٨٤/٢ برقم ١٩٩٦ والنسائي في السنن الكبرى ٥٢٥/٦ برقم ١٧١٢ الحديث في صحيح مسلم بدون ذكر الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ك/ الإيمان ب/ تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن ٧١/١ برقم ٥٢ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ "إذا جاء نصر الله والفتح" وجاء أهل اليمن رقيقة أفئدتهم ، لينة طباعهم ، سخية قلوبهم، عظيمة خشيتهم ، فدخلوا في دين الله أفواجا" أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢٨٣/١ برقم٤٩٣ .

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أحد عشر معلماً ، منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى همدان بن زيد ، ومنهم معاذ بن جبل رضي الله عنه أرسله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى مخلاف الجند، ومنهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أرسله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى تهامة ، ومنهم وبر بن يُحنَّس الخزاعي رضي الله عنه الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى صنعاء وأمره أن يبني لهم = =مسجدا ، قال وبر بن يحنس الخزاعي رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يقال له ضين" أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٥٣/١ برقم٨٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

وقال الحافظ الرازي في كتابه "تاريخ صنعاء" أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أرسل وبر بن يحنس إلى صنعاء في العام السادس الهجري قال له :

"مرهم ببناء مسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدان ، واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين" وهاتان الروايتان تفيدان أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حدد للصحابي وبر بن يحنس رضي الله عنه الموضع الذي يبنى فيه المسجد بقوله: "واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين" وإذا أخذنا هذه الروايات واستفدنا مما كشفه العلم الحديث اليوم ، وما تيسر لنا من إمكانيات جاءت بها الأقمار الصناعية التي قامت بتصوير الأرض على مستويات متفاوته ، فهي تصور المكان عن قرب واضح يبين تفاصيل بيت أو سيارة كما تصور عن بعد يبين أطراف دولة أو دول أو قارة أو قارات ، وبهذه الإمكانية التي أتاحها نظام [جوجل إيرث Google Earth] للباحثين استطعنا أن نثبت الدقة المساحية والجغرافية للتوجيهات النبوية التي قالها للصحابي وبر بن يحنس في وقتٍ مَا كان الناس يعرفون شيئاً عن جغرافية أرض محدودة فضلاً عن مساحة تصل إلى ما يزيد عن ألف كيلومتر من المدينة المنورة إلى صنعاء ، ومن اطلع على أول خريطة رسمت للجزيرة العربية بعد هذا التوجيه النبوي بقرون يعرف صعوبة تحديد الملامح الكبرى للجغرافيا كالبحار والجبال والصحراء فضلاً عن المدن والمساحات الدقيقة والإحداثيات بالغة الدقة كما هو الحال في موضوعنا هذا حول توجيهات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تحدد قبلة مسجد صنعاء وقد حافظ اليمنيون على المسجد الذي بناه الصحابي الجليل وبر بن يُحنَّس في زمن الرسول صلى الله عليه وآله = = وسلم وبتوجيهاته على حدوده إلى يومنا هذا ، وجعلوا لحدوده دعامتين مميزتين إحداهما تسمى المسمورة والثانية تمسى المنقورة ، وحتى بعد بنائها بالحجر الآن حافظ اليمنيون على موضع الدعامتين وكتبوا على الدعامتين : المسمورة والمنقورة وهذا المكان المحدد بدعامتي المسمورة والمنقورة موجود معلوم طوال التاريخ الإسلامي لليمن وإلى يومنا هذا في مؤخرة الجامع الكبير بصنعاء ، وعندما قمنا باستعمال هذا البرنامج [جوجل إيرث G55gle Earth] المتصل بالأقمار الصناعية وخرجنا بسهم من قبلة المسجد الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبر بن

يحنس ببنائه واتجهنا به إلى قمة جبل ضين كما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجعل قبلة المسجد إليه ، ثم واصلنا امتداد الخط المستقيم فإذا به يدخلنا مكة المكرمة ويصل بنا إلى الحرم الشريف ويستقر في وسط الكعبة، وإذا كانت أغلب مساجد المسلمين في العالم تتجه في تحديد القبلة إلى الجهة التي فيها الكعبة كما قال تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)(البقرة: من الآية١٥٠) ، إلا أن توجيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوبر بن يحنس مكّنه من تحديد القبلة إلى عين الكعبة مباشرةً ، وهذا هو الوحي الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا هو الفرق بين العمل البشري والتوجيه النبوي ، فمن علَّم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تحديد موضع الكعبة وجهة القبلة ، وزاوية ميلها التي لا تتيسر إلا بأدق الأجهزة العلمية في عصرنا الحاضر وباستعمال الأقمار الصناعية والطائرات والخرائط الدقيقة ؟! وصدق الله القائل عن الوحي الذي أجراه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (لنجم:٣-٥) إنها الرسالة التي أقام الله حجتها على العباد بمعجزات تتجدد عبر القرون .

البشارات في الكتب السابقة

لا يستطيع أحد أن يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي كتب لليهود والنصارى والمجوس والهندوس في كتبهم المقدسة: أوصافه، واسمه، وأوصاف زمنه وتعاليم دينه وصفات أصحابه وتحديد بلاده (مكان بعثته) بما يشهد له بأنه رسول من عند الله أنزل الله عليه الكتاب المبين ، لأن ذلك قد كتب في كتبهم قبل ولادته بقرون كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[١] [الشعراء:١٩٦] .

وقد كانت هذه البشارات سبباً في إقناع أجيال من النصارى والمجوس واليهود والهندوس إلا أن الذين أصروا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم قاموا بالتحريف والتبديل لهذه البشارات، وبرغم ذلك لا تزال في كتبهم بشارات تشهد بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ومن تلك البشارات :

---

(١) "زبر الأولين" : أي كتب الأولين .

ـ في التوراة :

جاء في التوراة : أن نبياً سيظهر في مكة (الـــديار التـــي ســـكنها قيدار)[١] ــ وهو أحد أبناء إسماعيل عليه السلام، وقيدار سكن مكة كمـــا تحكي التوراة ذلك ــ وأن اسمه يرتفع فيها[٢]، وأنه يركب الجمل[٣]، وأنه يحارب بالسيف[٤]، وأنه ينتصر هو وأصحابه[٥]، وأنه يبارك عليـــه فـــي

---

(١) **في التوراة** : جاء في التوارة : سفر إشعيا : الإصحاح: ٤٢ الفقرة :١٠ "لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار" ومعنى ذلك أن الدين الجديد سيرتفع الصوت به في مكة حيث سكن قيدار أحد أبناء إسماعيل وقد تحقق ذلـــك بإرتفـــاع صوت المسلمين بالأذان إعلاناً عن الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) وجاء في التوراة العبرية الموجودة الآن بيد اليهود في نشيد الأنشاد "الإصحاح الخامس" الفقرة ١٦ مايلي: حِكّو حِكّو ممتكم فكلو محمد يم زيه دودى فزيه ريعي" ومعناها : كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي هذا خليلي .

(٣) وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في التوراة في سفر أشـــعيا الإصـــحاح : ٢١ الفقرة :٦ بأنه راكب الجمل ، أي أنه يبعث في زمن يكون الجمل فيه وســـيلة المواصلات، كما أن هذه البشارة تشير إلى أنه يبعث في منطقة صحراوية .

(٤) كما وصف في المزمور :٤٥ فقرة :٣ "بأنه متقلداً سيفاً" وفي الفقـــرة :٥ أنـــه يرمي بالنبل" وهذا يشير إلى أن النبي الذي سيأتي يبعث في زمن تكـــون وســـيلة الحرب السيف والنبل .

(٥) كما جاء في التوراة في سفر أشعيا الإصحاح ٢١الفقرة ١٢ " وحي من جهة= = بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الـــددانيين. هـــاتوا مـــاءً

كل يوم[1]، (وهذا ما يفعله المسلمون عند التشـــهد)، وأن ملـــوك الـــيمن تأتيـــه بـــالقرابين، وأن علامـــة ســـلطانه علـــى كتفـــه بقـــدر بيضـــة

لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومـــن أمـــام شـــدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عدد قِسِيِّ أبطال بني قيدار تقل ، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم" . وتنطبـــق هـــذه البشارة على محمد صلى الله عليه وسلم وهجرته تمام الانطباق، فقد نزل الـــوحي على محمد صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب ، وفي الوعر من بلاد العرب، في مكة والمدينة. وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة من أرض بني قيـــدار (قريش) الذين كانوا قد عينوا من كل بطن من بطونهم شاباً جلداً ليجتمعـــوا لقتـــل محمد صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته ، فجاء الشباب ومعهـــم أســـلحتهم فخـــرج الرسول مهاجراً (هارباً) ، فتعقبته قريش بسيوفها وقسيها كما تذكر العبارة :" فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة ". ثم عاقب الله قريشاً (أبناء قيدار) وبعد ثمان سنوات التي عبر عنها بســـنة الأجيـــر وهي المدة التي أستأجر موسى لشعيب وقدرها ثمان سنوات كما جـــاء فـــي قولـــه تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَـــجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَـــاءَ اللَّـــهُ مِـــنَ الصَّالِحِينَ) (القصص:٢٧) وبعد ثمان سنوات من الهجرة فتحت مكة وحطم الكيان العسكري لقريش وخضعت للرسول صلى الله عليه وسلم وذهب مجد قريش وجـــاء مجد الإسلام .

(١) ووصف في المزامير (المزمور :٧٢ الفقرة :١٥) بأنه " يصلى عليه ويبـــارك عليه كل وقت" وهكذا شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالمسلمون يباركون عليه كل

الحمام[1] (وهذه العلامة كانت على كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه أوصاف لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم)[2].

كما جاء في التوراة: أن الله تجلى على الناس في أماكن ثلاثة، وهي: سيناء، حيث أعطي موسى عليه السلام التوراة .

يوم عدة مرات في صلاتهم والمسلمون منتشرون في جميع أرجاء الأرض فلا يمر وقت إلا وقد حضر وقت الصلاة لطائفة من المسلمين الذين يصلون عليه ويباركون عليه في صلاتهم في دعاء التشهد .

ووصف أيضاً في المزامير (مزمور : ٧٢ الفقرة :١٠) بأن : (ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية) وقد انتهى ملوك اليمن ولم يظهر نبي دان له ملوك اليمن إلا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) في سفر أشعيا .

(٢) وقد روى الصحابي الجليل عبدالله بن سرجس حديثاً يتعلق بخاتم النبوة رواه مسلم ك/ الفضائل ب/ إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله ١٨٢٢/٤ برقم٢٣٤٦ قال فيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزاً ولحماً أو قال ثريداً .... ثم درت فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل. وقال السائب بن يزيد ثم درت خلف ظهره (يقصد النبي صلى الله عليه وسلم) فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة. أخرجه البخاري ك/ المرضى ب/ من ذهب بالصبي المريض ليدعى له ٢١٤٦/٥ برقم٥٣٤٦ ، ومسلم ك/ الفضائل ب/ إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله ١٨٢٣/٤ برقم ٢٣٤٥ ،=

=والترمذي ك/ المناقب ب/ في خاتم النبوة ٦٠٢/٥ برقم٣٦٤٣، وزر الحجلة معناه بيض نوع من الطيور كما في فتح الباري .

ساعير (جبال في فلسطين) حيث أعطى الإنجيل لعيسى عليه السلام.

مكة (فاران)، حيث نزل القرآن على محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

تقول التوراة التي بين يدي اليهود إلى يومنا هذا : (جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، وتلألأ من جبل فاران)، وفاران هو الاسم القديم لمكة، كما تذكر التوراة نفسها في سفر التكوين(٢١: ٢٢) .

وقد أشار بعض الباحثين[1]، إلى أن القرآن قد أشار إلى هذه الأماكن الثلاثة بقوله تعالى : ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ** ﴾ [التين: ١-٣] .

التين والزيتون : إشارة إلى منابتهما في فلسطين .

طور سينين : سيناء .

هذا البلد الأمين : مكة .

ـ في الإنجيل :

---

(١) هو القس الذي أسلم واختار له اسماً بعد إسلامه هو إبراهيم خليل أحمد وكتابه هو (محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل) .

وجاء في إنجيل برنابا، في الباب (٢٢٠) : أن عيسى عليه السلام قال لأتباعه : (وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

وجاء في إنجيل يوحنا[١] أن عيسى عليه السلام أخبر قومه بالنبي الذي سيأتي بعده، فقال : (إن لي أموراً كثيرة، أيضاً لا أقول لكم، ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم[٢] ويخبركم بأمور آتية) .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بعد عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتكلم بالوحي، وأخبر الناس بالغيب الذي سيأتي.

---

(١) هو أحد الأناجيل الأربعة التي تم اختيارها في مؤتمر نيقية في عام ٣٢٥م من بين سبعين إنجيلاً برعاية الإمبراطور الروماني قسطنطين الذي قصد جمع كلمة المسيحيين في هذا المؤتمر على إنجيل واحد فتعذر ذلك فأقروا الأربعة الأناجيل وأمروا بإحراق بقية الأناجيل .

(٢) إشارة إلى أنه أمي وإلى أنه يسمع ولا يقرأ وإشارة إلى أن معجزاته الإخبار بغيب المستقبل ، وإشارة إلى أنه لا يتكلم من قبل نفسه بل بكل ما أخبره الله به، قال سبحانه واصفاً نبيه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم:٣-٤).

وقال أحد كبار العلماء من النصارى، هو الأب عبد الأحد داود الآشوري، في كتابه (محمد في الكتاب المقدس)[١] : إن العبارة التي يرددها النصارى الآن : (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) لم تكن هكذا من الأول بل كانت : (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وللناس أحمد)، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ[٢] فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

---

(١) فصل الإسلام والأحمديات التي أعلنتها الملائكة ص :١٤٥ إلى ص : ١٥٤ .

(٢) واسم أحمد هو من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ك/ التفسير ب/ سورة الصف ٤/٨٥٨ برقم٤٦١٤ ، ومسلم ك/ الفضائل ب/ في أسمائه صلى الله عليه وسلم ٤/١٨٢٨ برقم٢٣٥٤. وغيرهما عن جبير بن مطعم "إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب" .

ـ في كتب الهندوس[1] :

جاء في كتاب (السامافيدا) وهو كتاب مقدس عند البراهمة في الهند، في الفقرة السادسة والثامنة من الجزء الثاني ما نصه : (أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة) .

وجاء في كتاب (ادروافيدم) ــ وهو كتاب مقدس عند الهندوس ــ : (أيها الناس اسمعوا وعوا يبعث المحمد[2] بين أظهر الناس، وعظمته تحمد حتى في الجنة، وهو المحامد)[3] .

---

(١) **في كتب الهندوس** : الهندوس هم ديانة من أكبر الديانات الهندية يتوارثون كتباً مقدسة لديهم كثيرة التحريف تتحدث عن الأنبياء السابقين وتذكر محمداً صلى الله عليه وسلم وتصف دينه وتحدد مكانه وتبين صفات أصحابه ، ولاتزال بعض النصوص في هذه الكتب صريحة في بشاراتها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والديانة الهندوسية هي امتداد للديانة البرهمية التي حملها الآريون عند توجههم إلى الهند أثناء مرورهم بأرض إيران (وللتوسع انظر : موسوعة الأديان في العالم الديانات القديمة ص٨٧) .

(٢) المحمد : أي محمد.

(٣) المحامد : أي محمد . الجزء ٢٠ فصل :١٢٧ الفقرة ١-٣ .

وجاء في كتاب (بهوش برانم) من كتب الهندوس المقدسة: (في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم محامد[١] الملقب بأستاذ العالم[٢] والملك يطهره بالخمس المطهرة)[٣] ــ الجزء : ١ ــ فصل ٣ ــ عبارات ٣ ــ وما بعدها[٤].

ـ في كتب المجوس :

جاء في كتاب (زندا أفستا) (أن الله سيبعث رسولاً هذا وصفه: رحمة للعالمين، ويتصدى له عدو ويسمى أبو لهب، ويدعو إلى إله واحد). وصدق الله القائل: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] واليهود والنصارى هم أهل الكتاب ، والمجوس

---

(١) محامد : أي محمد ولكنه التحريف .

(٢) أستاذ العالم : أي رسول للعالمين .

(٣) الخمس المطهرة : الصلوات الخمس لأن الله يمحو بهن الخطايا كما تزول الأوساخ بعد الاغتسال بالماء كما جاء في الحديث : "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا . (الدرن : الوسخ) رواه البخاري ك/ مواقيت الصلاة ب/ الصلوات الخمس كفارة ١/١٩٧ برقم٥٠٥ ومسلم ك/ المساجد ومواضع الصلاة ب/ المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات ١/٤٦٢ برقم٦٦٧ واللفظ له ، والترمذي ٥/١٥١ برقم٢٨٦٨.

(٤) من كتاب التيارات الخفية في الديانات الهندية القديمة لمؤلفه (تي محمد) .

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن نسن بهم سنة أهل الكتاب[١]، غيـــر آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم[٢]، لأنه والله أعلم قد تطاول العهد علـــى

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٣٥/٢ ، ومالــك فـــي الموطـــأ ٢٧٨/١ ومن طريقة الشافعي في مسنده ٢٠٩/١ ومن طريق البيهقي فـــي الســـنن الكبرى وكذلك رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤٣٧/١٩ قال في مجمع الزوائـــد ١٣/٦ رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم وقال في تخليص الحبير ورواه (يعنـــي الحديث) ابن أبي عاصم في كتاب النكاح بسند حسن ، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١١٤٩/٢.

(٢) **في كتب المجوس** : كما جاء في الكتب الزرادشتية (المجوسية) بشارات تشير إلى المكان الذي تظهر فيه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلـــك : أن أمـــة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بـــلاد العـــرب يهـــزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين ، وبعد عبادة النار فـــي هيـــاكلهم يولـــون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام. من كتاب "محمد في الأسفار العالمية" للأستاذ عبدالحق .

هذه بعض البشارات التي بشرت بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم قبل ولادته بمئات وآلاف السنين وتناقلها اليهود والنصارى والمجوس والهنـــدوس بأســـانيدهم إلـــى علمائهم من الأحبار والرهبان والكهان وكلها تبشر البشرية بمقـــدم محمـــد عليـــه الصلاة والسلام وتصف دينه وأصحابه وتحدد مكانه وبلاده وتذكر أعداءه فانطبقت كل تلك البشارات على محمد صلى الله عليه وسلم وكان مجيئه تصديقاً لما جـــاء = = في زبر الأولين وكتب السابقين، يقول الله جل وعلا : (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (الرعد:٤٣). ويقول

كتبهم، وكثر فيها التحريف، ولقد كانت هذه البشارات وغيرها سبباً في إسلام الكثير من أسلاف اليهود، والنصارى، والمجوس، والهندوس [1] .

الله عن علم أهل الكتاب عن محمد صلى الله عليه وسلم : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة:١٤٦). وهذه الشهادة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم تصل إلى العالم من الكتب المقدسة عند غير المسلمين فتقوم بها الحجة على الناس جميعاً".

فكان اليهود في بلاد العرب عندما يقاتلون قبيلة من العرب يخوفونهم بقرب مبعث نبي يقاتلونهم معه فكانوا يقولون سيبعث نبي آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم وكانوا يدعون بين يدي قتالهم مع العرب بقولهم : "اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان" فلما ظهر النبي من غير بني إسرائيل كفروا به كما قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة:٨٩).

وكان من أسباب إسلام أهل المدينة وإقبالهم على الإسلام ما كانوا يسمعونه من اليهود عن مقدمه وما كانوا يستفتحون به على أعدائهم كما بينا، بينما كان أهل مكة يصدون عنه ويحاربونه.

وكان عبدالله بن سلام ممن أسلم أيضاً على هذه البشارات وهو أعلم أحبار اليهود القاطنين في المدينة المنورة باعتراف اليهود أنفسهم وفي إسلامه نزل قول الله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الاحقاف:١٠) .

(١) **أمية الرسول صلى الله عليه وسلم** : لقد أشار القرآن الكريم إلى أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها مذكورة عند أهل التوراة والإنجيل .

شهادة أحواله بصدق نبوته

صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ)(الأعراف :١٥٧).

إن أمية النبي صلى الله عليه وسلم وكيفية بدء الوحي إليه لأول مرة موجود عند أهل الكتاب إلى يومنا هذا .

فقد جاء في سفر أشعيا: " ويدفع الكتاب للأمي ويقال له : اقرأ هذا أرجوك فيقول: أنا أمي " (الإصحاح ٢٩ الفقرة ١٢) أي لست بقارئ .

وهذه ترجمة للنص الذي ورد في نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس المعتمدة عند النصارى وهي أوثق النسخ للتوراة والإنجيل عندهم .

وبينما نجد هذا النص الواضح في الطبعات الإنجليزية نرى أن القسس العرب قد حرفوا هذا النص في نسخته العربية فجعلوا العبارة كالآتي :

"أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا فيقول : لا أعرف الكتابة"

فانظر كيف حرفوا النص ! فالسائل يطلب القراءة والنبي ينفي عن نفسه معرفة الكتابة ! وهذا التحريف مقصود لئلا تتطابق الحادثة المذكورة في النص السابق مع قصة نزول جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومطالبته له بالقراءة فنفى النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه القدرة على القراءة. قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع في مرسل عبيد بن عمير عند ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أتاني جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب قال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ " فتح الباري ك/ التفسير ب/ تفسير سورة "اقرأ باسم ربك الذي خلق" وكم من الزمن قد مر بعد عيسى عليه السلام، وما نزل وحي على نبي إلا على النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدون أميته مكتوبةً عندهم حتى يومنا هذا .

ما من شخص يتصدى لأمر الناس إلا وسلط الناس أنظارهم عليه لدراسة أحواله، فما تمر الأعوام إلا وقد انكشف على حقيقته، وخاصة إذا تقلب بين أوضاع الضعف والقوة، والخوف والأمن، والفقر والغنى، وقلة الأتباع وكثرتهم، والشدة والرخاء كما حدث في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا تأملنا أحواله وجدناها تشهد بأنها أحوال لا تكون إلا لنبي، ومن أبرز هذه الأحوال :

١ ـ الصدق :

لقد شهد له قومه بالصدق فسموه قبل أن يبعثه الله بالرسالة (الصادق الأمين) ولقد قال له أبو جهل : إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به(١) فأنزل الله قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] . ولقد عرف عنه الصدق في كل أموره

---

(١) أخرجه الترمذي ك/ تفسير القرآن ب/ سورة الأنعام ٢٦١/٥ برقم٣٠٦٤ ، ورواه الحاكم ك/ التفسير ب/ تفسير سورة الأنعام ٣٤٥/٢ برقم٣٢٣٠، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأورده الألباني في صحيح السيرة النبوية عن علي رضي الله عنه ٢٠٣/١ .

حتى في مزاحه صلى الله عليه وسلم الأمر الـــذي لا يتحقــق إلا لنبـــي مرسل[1] .

---

(١) **الصدق** : ولقد كان الصدق خلقه وسجيته التي لا ينفك عنها في أخطر المواقف وأشدها ففي غزوة بدر التي كان يحرص النبي صلى الله عليـــه وســـلم علـــى أن لايدرك أعداؤه شأنه تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضـــي الله عنـــه على جيش المسلمين لمعرفة أخبار الجيش القرشي حتى وقف الرسول على شـــيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشـــيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمـــدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغني أن قريشا خرجـــوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : نحن من ماء ثم انصرف عنه. قال : يقول الشيخ : ما من ماء أمـــن مـــاء العراق ؟ انظر سيرة ابن هشام ٣ /١٦٢ كما تجلى في تنفيره من الكذب والتشـــديد عليه وحثه على الصدق كما قال عليه الصلاة والسلام : "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن الكذب يهـــدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتـــب عنـــد الله كذابا" أخرجه البخاري ك/ الآداب ب/ قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ = = وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة:١١٩) ٥/٢٢٦١ ومسلم ك/ البر والصلة والآداب ب/ قبح الكذب ٤/٢٠١٢ .

وهذا أبو سفيان الذي كان من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم، يسأله ملك الروم "هرقل" عن صدق النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : "هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ ، قال أبو سفيان لا. قال هرقل بعد ذلك : فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على الصفا أمام قريش بعد أن كلف بتبليغهم الرسالة يقول لقريش "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا. رواه البخاري ك/ التفسير ب/ سورة المسد ٤/١٩٠٢ برقم٤٦٨٧ ، ومسلم/ ك/ الإيمان ب/ في قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء:٢١٤) ١/١٩٣ برقم٣٥٥ .

فهؤلاء قومه يُجمعون على صدقه. بالرغم أن الكثير منهم قد ناصبوه العداء ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى : (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)(الأنعام :٣٣) .

– ومن أحواله الشاهدة بصدقه أمانته فيما إئتمنه الله عليه من تبليغ الرسالة، وأمانته فيما ائتمنه الناس عليه من ودائع وإن كانوا خصوماً له .

وأما أمانته فيما ائتمنه الله عليه من الوحي الذي كلف بتبليغه فقد بلغ عن الله كل شيء حتى ما كان متضمناً بعض العتاب له .

ولو كان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تصرف في القرآن لحجب آيات العتاب الإلهي له في بعض اجتهاداته صلى الله عليه وآله وسلم .=

= ومن أمثلة هذا العتاب : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن لبعض الناس في التخلف عن الجهاد نظراً لما أبدوه من أعذار ، فعاتبه الله سبحانه على ذلك مبيناً له أن بعض الذين استأذنوه كانوا غير صادقين ، فلم يكن ينبغي أن يأذن لهم. قال

تعالى : (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) (التوبة:٤٣) .

وقد عاتبه سبحانه عند قبوله الفداء في أسارى بدر مبيناً له أنه ما كان ينبغي له قبول الفداء منهم والإسلام مازال في حالة ضعف. قال سبحانه : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لأنفال:٦٧) ، وعاتبه ربه سبحانه عند إعراضه عن عبدالله بن أم مكتوم الأعمى لما جاءه ليتعلم منه ، لكونه منشغلاً بدعوة بعض رؤساء قريش ، قال سبحانه (عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) (عبس :١-٤) .

وعاتبه ربه سبحانه عند تحريمه العسل على نفسه ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم:١) .

ولو كان القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما سجّل على نفسه هذا العتاب، يتلوه الناس بل ويتقربون إلى الله بتلاوته حتى يوم المآب .

وقد جاءته المعجزة في نظر الناس تجري بين يديه عندما انكسفت الشمس في يوم موت ابنه إبراهيم ، وقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم ، وكان يسعه أن يسكت على ذلك فقد فسر الناس هذا الحدث أنه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يسكت عن بيان الحق وتصحيح هذا الفهم الخطأ فقال : "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله = =وصلوا حتى ينجلي" رواه البخاري ك/ الكسوف ب/ الدعاء في الخسوف ٣٦٠/١ برقم ١٠١١ ، ومسلم ك/ الكسوف ب/ ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم

في صلاة الكسوف من أمر ٦٢٢/٢ برقم ٩٠٤ ، وأبو داود ٣٧٧/١ بــرقم١١٧٧ وابن ماجه ٤٠٠/١ برقم ١٢٦١ وغيرهم .

وجاءه الأمر من الله أن يبلغ أمراً يتعلق به شخصياً كان يحرص أن لا يطلع عليــه الناس فبلغه كما جاء في قوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّــهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُــؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِــنْهُنَّ وَطَــراً وَكَــانَ أَمْــرُ اللَّــهِ مَفْعُــولاً) (الأحزاب:٣٧). قالت عائشة رضي الله عنها لو كان محمد صلى الله عليه وســلم كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية : (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَــا اللَّــهُ مُبْدِيــهِ) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه ك/ التوحيد ب/ وكان عرشه على الماء ٢٦٩٩/٦ برقم٦٩٨٤ ، ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ك/ الإيمان ب/ معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْــرَى) (الــنجم:١٣) ١٥٩/١ بــرقم ١٧٧، والنســائي ٤٣٢/٦ برقم١١٤٠٨. وروي عن علي بن الحسين : [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه أنه يريد طلاقهــا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية : اتــق الله فــي قولك وأمسك عليك زوجك وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها وهذا هو الذي أخفــي في نفسه ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن يخشى الناس في شــيء قــد= =أباحه الله له بأن قال : أمسك مع علمه بأنه يطلق] وأعلمه أن الله أحق بالخشية أي في كل حال قال علماؤنا رحمة الله عليهم : وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه

٢ ـ الالتزام الكامل بما يدعو الناس إليه :

إن النفس البشرية تكره أن يفرض عليها قيود الالتزام، وخاصة إذا وصلت إلى درجة التمكن في المجتمع، وإذا تأملنا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدنا أن حاله يشهد بأنه أتقى الناس، وأكملهم خلقاً، وأعظمهم عبادة، كان يصوم حتى يقول أهله : لا يفطر! وكان يقوم الليل في صلاته حتى تفطرت قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها : لم تصنع

الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين. تفسير القرطبي ١٤ /١٦٦.

– ومن عظيم أمانته صلى الله عليه وسلم والتي تجلت بوضوح في موقفٍ تعرض له وهو من أحرج المواقف وأصعبها في حياته حينما قذف بعض الأفاكين زوجته الطاهرة السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها ، وشاع الخبر بين الناس ، ولم يستطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول شيئاً مدة شهرٍ كامل مع تعرض زوجته للطعن وذلك لأن الله سبحانه لم يوح إليه شيئاً في ذلك ، وكان بإمكانه لو كان يفتري الوحي – وحاشاه – أن يقول شيئاً يبرئ به عرضه وساحته ولكن لم يفعل ذلك لأنه كان أمين الوحي صلى الله عليه وسلم .

– وأما أمانته فيما ائتمنه الناس عليه فقد تجلت تلك الأمانة كتجلي الشمس في رابعة النهار عندما هاجر إلى المدينة ولديه ودائع الناس من خصومه وأعدائه الذين حاربوا دينه وفتنوا أصحابه بالقتل والتشريد واخراجهم من ديارهم فأبقى علياً رضي الله عنه ليرد الودائع إلى هؤلاء الأعداء المحاربين له ولأصحابه ، وقد عرفت عنه صفتا الصدق والأمانة بعد بعثته وقبل بعثته أيضاً فحين رأته قريش داخل المسجد حين اختلفوا في وضع الحجر الأسود قالوا : هذا الأمين قد رضينا به، انظر : صحيح السيرة النبوية١/٤٥ .

هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً؟)[١].

كان ينفق المال فلا يبقى في بيته شيئ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي.

وما حفظ عنه من أذكار وأدعية يشهد أنه كان دائم الذكر لربه لـــيلاً ونهاراً، وعند كل عمل من الأعمال[٢]، وكان مع ذلك هو الرسول، المبلغ

(١) رواه البخاري ك/ التفسير ب/ سورة الفتح ٤/١٨٣٠ برقم٤٥٥٦ ، ومسلم ك/ صفات المنافقين وأحكامهم ب/ إكثار الأعمال والاجتهـــاد فـــي العبـــادة ٤/٢١٧١ برقم٢٨١٩ ، والترمذي ٢/٢٦٨ برقم٤١٢ ، والنسائي ٣/٢١٩ برقم ١٦٤٤، وقـــد شهد الله له بذلك فقال تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْـــفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْـــرِبُونَ فِـــي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْـــهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّـــهَ إِنَّ اللَّـــهَ غَفُـــورٌ رَحِـــيمٌ) (المزمل:٢٠) .

(٢) إن ملازمة ذكره لربه في كل شأنه وفي كل حال من أحواله وفي معظم أوقاته حتى كأن الذكر يجري مع أنفاسه يدل على عظيم تعلقه بربه وحبه له وتوكله عليه وثقته بما عنده وطمعه في مرضاته وخوفه من غضبه ورجائه في رحمته يشهد بأن هذا الحال لا يكون إلا حال رسول مبلغ عن ربه ، وقد حرص أن يصبغ أمته بهذه

لدين الله، قائد جيش المسلمين، وكان المسلمون إذا حمي الوطيس[1] احتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام .. ثبت يوم حنين مع مائة من أصحابه أمام أربعة آلاف من المشركين، ونصرهم الله على عدوهم[2].

المعاني فعلّمها ذكر ربها في كل حال من أحوالها في الطعام أو الشراب في الصباح والمساء وعند النوم واليقظة وعند رؤية ما يسر أو ما يحزن وعندما يهل الهلال أو تهب الريح أو ينزل المطر أو يسمع الرعد أو البرق وعند صياح الديك أو نهيق الحمار حتى أنّه علمهم ذكر ربهم عند دخول الخلاء وعند الخروج منه ، كما هو مبين في الأدعية المأثورة التي خصص لها العلماء كتباً خاصة .

(١) الوطيس هو التنور وهو كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب (النهاية ١٠٥٥/١) .

(٢) فقد أورد الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى من الناس ما رأى قال : " يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار = =يا أصحاب السمرة " : فأجابوه : لبيك لبيك . فجعل الرجل منهم يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه من عنقه ويؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة ، فاستعرضوا الناس فاقتتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ثم جعلت آخرا بالخزرج وكانوا صبرا عند الحرب وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ؛ فنظر إلى مجتلد القوم فقال : " الآن حمي الوطيس " . قال : فوالله ما رجعت راجعة الناس إلا والأسارى عند

خيره المشركون في مكة بين إعطائه ما يريد من المـــال، والجـــاه، والسلطان مع ترك الدين وبين الحرب والتنكيل به إن أصر على دينـــه، فاختار أن يبلغ ما أمره الله به، وبعد أن خضعت له الدنيا، نزل قول الله : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَـــالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨] . فاخترن جميعـــاً رسول الله، وزهدن رضوان الله عليهن في الحياة الدنيا وزينتها[١] .

رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقتل الله من قتل منهم وانهزم من انهـــزم مـــنهم وأفاء الله على رسوله أموالهم ونساءهم وأبناءهم . انظر تاريخ الإسلام ١ /٣٢٢ .

(١) بعد أن فتح الله على النبي أبواب الدنيا أرادت نساؤه أن يوسع عليهن في النفقة مما آتاه الله ، فكان جوابه حاسماً خيرهن بين الصبر على شغف الحيـــاة معـــه أو الطلاق . ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى : (قل لأزواجك) عـــن جـــابر رضي الله عنه قال : أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل= = عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمـــر رضـــي الله عنهما فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليـــه وسلم ساكت فقال عمر رضي الله عنه : لأكلمن النبي صلى الله عليه وســـلم لعلـــه يضحك فقال عمر رضي الله عنه : يارسول الله لو رأيت ابنة زيد ــ امرأة عمر ــ سألتني النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : [هن حولي يسألنني النفقة] فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان : تسألان النبي صلى الله عليه

لقد كان مثلاً أعلى للحكم بين الناس بالعدل، فقال : (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1].

وكان مثلاً أعلى في كل شيء حتى أنك تجد كل أبناء أمته يحاول أن يتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في أي جانب، فلا يستطيع أن يبلغ درجته، فاجتماع المثل العليا في كل جانب لا يكون إلا لنبي مرسل[2]، شهد له ربه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]،

وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن : والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال : وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال : [إني أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت : وما هو ؟ قال : فتلا عليها : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً) (الأحزاب:٢٨) قالت عائشة رضي الله عنها : أفيك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله. تفسير ابن كثير ٦٣٣/٣. وهو في مسند أحمد بن حنبل ٣ /٣٢٨. قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح ، ورواه النسائي في السنن الكبرى ك/ عشرة النساء ب/ إذا لم يجد الرجل ما ينفق على إمرأته هل يخير إمرأته ٣٨٣/٥ برقم٩٢٠٨ .

(١) رواه البخاري ك/ الأنبياء ب/ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ١٢٧٦/٣ برقم٣٢٨٨ ، ومسلم ك/ الحدود ب/ قطع السارق الشريف ١٣١١/٣برقم١٦٨٨.

(٢) لاتجد في الناس من يبلغ المثل الأعلى في جانب من جوانب الحياة إلا وترى فيه نقصاً في جوانب أخرى، وقل أن تجتمع العديد من الصفات الكريمة لشخص من

وجعله أسوة للناس، فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

الأشخاص ، أما اجتماعها كلها في شتى جوانب الحياة بأعلى صورها لا تكون إلا لمن أراد الله أن يجعله أسوة للناس يرى فيه أصحاب المثل العليا أسوتهم كاملة في كل جانب من جوانب الحياة .

٣ ـ قيامه بالرسالة وتبليغ الناس :

لقد أدى الرسول حق الرسالة والتبليغ، فمرة باتصاله الشخصي، ومرة بدعوة الناس إلى الطعام، ومرة بعرض نفسه على القبائل صابراً، والقبائل ترده واحدة بعد أخرى، ومرة بدعوة الناس إلى الاجتماع، ومرة بالتصدي للناس، ومرة بإرسال الدعاة من أصحابه، ومرة بإرسال الرسل إلى الملوك والأمراء، ومرة بجهاد الذين يصدون عن سبيل الله، ولقد واجه الكفار هذه الدعوة وأهلها بألوان من القسوة والشدة، والأذى، فهذه قريش تهزأ برسول الله وأصحابه، ثم تفتك ببعض المسلمين حرقاً، وقتلاً، وتعذيباً وتحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، حتى أكل المسلمون الجلد والشجر ويشتد الأذى فيهاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إلى الحبشة فراراً بدينهم، ثم إلى المدينة، وتآمرت قريش على قتل رسول الله، ولكن الله أمره بالهجرة للنجاة من كيدهم، وبلغ ما أمره به ربه حتى الذي فيه عتاب له من ربه مثل قوله تعالى : ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى**

* ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[1] [عبس : ١-١٠] وذلك بسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو بعض كبار الكفار، فجاءه المسلم الأعمى ابن أم مكتوم يسأله، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لئلا يشغله بسؤاله عن دعوة كبراء القوم الذين إذا أسلموا كان إسلامهم خيراً للمسلمين، فلم يزد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن عبس بوجهه وابن أم مكتوم أعمى لا يرى وجه الرسول وهو عابس فلا يؤذيه ذلك، ولكن الله سبحانه أنزل عليه العتاب فبلغه الرسول كما نزل[2].

إن سعي محمد صلى الله عليه وسلم كان منصباً في حياته كلها على أن يبلغ ما أمره به ربه أن يبلغه مهما كانت المصاعب والعقبات، وفي حجة الوداع قال للمسلمين : (ألا هل بلغت)؟ فيشهدون له بأنه قد بلغ

---

(١) "عبس" قطب وجهه الشريف . "تولى" : أعرض . "يزكي" : أي يتطهر بتعليمك إياه من دنس الجهل . "تصدى" : أي تتعرض له بالإقبال عليه . "تلهى" : تتشاغل وتعرض .

(٢) رواه الترمذي ك/ التفسير ب/ سورة عبس ٤٣٢/٥ برقم ٣٣٣١ وصححه الألباني وابن حبان في صحيحه ك/ البر والصلة والإحسان ب/ الجار وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم ٢٩٣/٢ برقم٥٣٥ ، والحاكم ٥٥٨/٢ برقم٣٨٩٦ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إليهم دين الله فيقول: (اللهم اشهد)[١] . إن حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جانب من جوانبها تشهد بأن صاحب هذه الأحوال لا يكـــون إلا نبياً رسولاً .

(١) أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ حجة الوداع ١٥٩٨/٤ برقم ٤١٤١ ، ومسلم ك/ القسامة والمحاربين والقصاص ب/ تغليظ تحريم الدماء والأعــراض ١٣٠٥/٣ برقم١٦٧٩ ، وأحمد في المسند ٣٧/٥ برقم٢٠٤٠٢ ، وابن حبان فـــي صـــحيحه ٣١٢/١٣ برقم٥٩٧ ، والحاكم في المستدرك ٣٦١/٢ برقم٣٢٧٦ ، والطبراني في المعجم الكبير ٧/٤ برقم٣٤٧٨ .

أحوال أتباعه وأعدائه

الشاهدة بصدق رسالته

ـ أتباعه :

إن قدرة الأستاذ تظهر في تلاميذه، ومهارة المدرب تظهر على من دربهم، وصدق الرسول يظهر في أحوال أتباعه، فهم الذين عاشوا معه، ورباهم، وزكاهم، وعلمهم، ومن تأمل في أحوال الصحابة يجد مصداق وصف الله لهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] [آل عمران :

---

(١) وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال:٧٤) وقوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْأِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات:٧) وقد عظم الله شأن الصحابة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فجعل اتباعهم بإحسان سبباً لرضوان الله ودخول الجنة كما قال تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١٠٠) وهؤلاء الصحابة الذين نزلت فيهم الآيات أعدادهم كبيرة كما جاء في شأن أصحاب بيعة الرضوان وهم ألف وأربعمائة قال عنهم تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ= = فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (الفتح:١٨) وكما قال الله في جيش

العسرة الذي خرج لمواجهة أمبراطورية الروم بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ عددهم قرابة ثلاثين ألفاً : (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١١٧). وإذا نظرنا في حياة هؤلاء الصحابة الأفذاذ وجدنا مواقفهم تدل على صدق إيمانهم فقد بذلوا أموالهم وأنفسهم رخيصةً في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وفارقوا الأوطان والأهلين مهاجرين إلى الله ورسوله ، وآثروا العيش الخشن في نصرة الدين على العيش الناعم بين أقوامهم وفي بلدانهم .

فهذا أبوبكر الصديق يبذل ماله لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقف معه في أحلك المواقف في هجرته وغيرها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما نفعني مال قط ما نفعني مالُ أبي بكر" رواه الإمام أحمد مسند أبي هريرة رضي الله عنه ١٧٥/١٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : ٥٨٠٨. وقال "إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة" رواه البخاري ك/ أبواب المساجد ب/ الخوخة والممر في المسجد ١٧٨/١ برقم٤٥٥ ، ومسلم ك/ فضائل الصحابة رضي الله عنهم ب/ من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٨٥٤/٤ برقم ٢٣٨٢ ، والترمذي ٦٠٨/٥ برقم ٣٦٦٠ وابن حبان في صحيحة ٥٥٨/١٤ برقم ٦٥٩٤ والطبراني في المعجم الكبير ٣٣٨/١١ برقم ١١٩٣٨ والنسائي في السنن الكبرى ٣٥/٥ برقم٨١٠٢ .

وهذا عمر الفاروق يسلم فيعز الله به الإسلام ويقارع المشركين متحدياً لهم مظهراً للإسلام (انظر سيرة ابن هشام ٣٤١/١) وهذا عثمان بن عفان ينفق أمواله الكثيرة في أصعب المواقف التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم (انظر سبل الهدى= =والرشاد ٤٣٥/٥) ، وهذا علي بن أبي طالب يعرض نفسه لخطر القتل حين

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حيث نام على فراشه ليوهم المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال باقياً في بيته (سيرة ابن هشام ٤٨٢/١) ، ثم يبذل الجهود الكبيرة في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهذا بلال الحبشي يعذبه المشركون فيضعون الصخرة الهائلة على صدره في رمضاء مكة ليكفر بالله ويأبى ذلك مردداً قوله : أحد أحد (رواه الحاكم ٢٨٤/٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي صحيح) وهذا خباب بن الأرت يعذب في الله ويوضع ظهره على الجمر حتى ينطفئ الجمر من شحم ظهره ، ويثبت على دينه (انظر ابن سعد في الطبقات ١١٧/٣) ، وهؤلاء آل ياسر العنسي يعذبون في الله ويثبتون على دينهم حتى ماتت سمية وياسر تحت العذاب ، وثبت عمار على دينه (انظر الروض الأنف ٨٦/٢) وهاهم هؤلاء الصحابة يثبتون مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك المواقف حتى اضطروا لأكل الشجر من شدة الجوع (قال سعد رضي الله عنه : كنا نغزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام لقد خبت إذاً وضل عملي وكانوا وشوا به إلى عمر قالوا لا يحسن يصلي. رواه البخاري ك/ فضائل أصحاب النبي ب/ مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري ٣٦٤/٣ برقم٣٥٢٢ ، ومسلم ك/ الزهد والرقائق ب/ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ٢٢٧٧/٤ برقم ٢٩٦٦ ، والترمذي ٥٨٢/٤ برقم ٢٣٦ ، وأحمد في المسند ١٨٦/١ برقم١٦١٨. والدارمي ٢٧٤/٢ برقم٢٤١٥ ، وابن حبان ٤٤٨/١٥ برقم٦٩٨٩ ، ويربطون الأحجار على بطونهم من شدة الجوع أيضاً (معجم الطبراني الكبير ٣٧٦/١١) ويقاسون مع=
=النبي صلى الله عليه وسلم أنواع المخاوف : مخاوف القتل ومخاوف الجوع

١١٠]، ولقد شهدت شعوب الأرض في ذلك الزمان للمسلمين بأنهم خيـــر أمة عرفتها البشرية، ذلك لأن القاعدة في معاملة الشعوب والدول أن أي شعب أو دولة تغزو دولة أخرى وشعباً آخر ينتج عن هذا الغزو كراهيةٌ وحقدٌ بين الشعوب نرى شاهداً عليـــه إلـــى يومنـــا بـــين المســـتعمِرين والمستعمَرين، لكن هذه القاعدة نُقضت مع الفاتحين المسلمين الذين سادوا الأرض في زمنهم، لقد أحدث الفتح الإســـلامي حبـــاً ونصـــراً، وولاءً، وامتزاجاً بين المسلمين وغيرهم من الشعوب، وأصبحت تلـــك الشـــعوب المفتوحة تحمد الله على أن أرسل إليهم هؤلاء الفاتحين المســـلمين، وإذا بحثت عن السبب ستجد أن الصراع بين الناس يكون على الـــدنيا، أمـــا المسلمون فقد بذلوا دنياهم لإسعاد الناس في الآخرة[١] لأنهم آمنوا بالآخرة

والعطش ومخاوف ذهاب الأهلين والأموال وهم مع ذلك صابرون ثابتون محتسبون يتسابقون إلى بذل الدماء والأموال نصرةً لله ورسوله وإحقاقاً للهدى ودين الحق في الأرض فهذا جيل النبوة وتلاميذ الرسالة خير القرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يعدون بالآلاف ويشهد لهم القرآن ويزكيهم وكما تشهد لهم الســـنة وترفع شأنهم .

(١) لقد خرج الفاتح المسلم بماله ونفسه يحمل رسالة ربه إلى البشر ويعرض نفسه للمخاطر المهلكة قاصداً إخراج الناس من الكفر والجهل والظلم والفساد ودعـــوتهم إلى الإسلام والهدى والرشاد يضحي بحياته من أجل إنقاذهم من النـــار وينفـــق = =أمواله ليفوز بدخولهم إلى الإسلام شعاره قول ربه (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ

حق الإيمان، ولأن هذا الإيمان والسلوك كانا ثمرة الاقتناع الكامل بالأدلة التي قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدق رسالته وبالسلوك العملي الذي تجسد فيه الإيمان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ أعداؤه :

بعد طول العناد تحول الأعداء إلى أشد الأنصار، وأسلم الكثير من أهل الكتب السابقة، كل ذلك تصديقاً لرسول الله وإيماناً به[١] .

لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص:٨٣) فشهدت البشرية جيلاً من البشر يزهد في الدنيا ويضحى بها من أجل إسعاد الآخرين في الدنيا والآخرة وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فتعلقت قلوب الشعوب بهؤلاء الفاتحين رغم اختلاف أجناسهم وأديانهم ولغاتهم وثقافاتهم وبيئاتهم واستجابوا لدعوة هؤلاء الفاتحين فدخلوا في دينهم وتسموا بأسمائهم وعلموا أولادهم إلى يومنا هذا حبهم وتعظيمهم والدعاء لهم فلا يذكر قائد من قادة الفتح إلا مشفوعاً بالدعاء له وطلب بالرضوان له من رب العالمين من أحفاد تلك الشعوب إلى يومنا هذا أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وقتيبة وعقبة بن عامر وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة وغيرهم من قادة الفتح الإسلامي .

(١) **أعداؤه** : لقد طالت الخصومة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه من جهة وبين الكافرين المكذبين له من جهة أخرى واشتدت الخصومة واشتعلت= =الحروب وسفكت الدماء وأهدرت الأموال وأزهقت الأنفس وامتلأت القلوب حقداً

صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان

إن وضع القوانين والتنظيمات لأي شيء يتوقف على العلم بحقيقة من توضع له القوانين، وبالظروف المحيطة(١).

وغيظاً وعداءاً ومع ذلك فقد تمكن نور الحق من الوصول إلى قلوب أولئك الأعداء فرداً فرداً مجموعة إثر مجموعة حتى تحول من بقي منهم إلى الإسلام وخرجوا مع جيوش الفتح يكفرون عما فعلوا ويقدمون أموالهم وأنفسهم من أجل هذا الدين الذي حاربوه أول مرة مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وثمامة بن أثال ووحشي وغيرهم، وأمر كهذا لا يمكن أن يتم إلا في جو من الصدق في مواجهة العقيدة الجديدة، وصدقٍ مرة ثانية في الإيمان بها بعد العلم والاقتناع بها وهذا الحال يشهد على صدق الرسول والرسالة التي اقنعت ألد أعدائها بها .

(١) **صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان :** خلق الله الإنسان بفطرة بشرية فريدة قدر فيها طاقات الإنسان وقدراته وأشواقه وتطلعاته وحاجاته وضروراته ونوازعه ورغباته وأنزل له ديناً متناسباً مع تلك الفطرة يصلحها ويهذبها ويوجهها ويبين لها الخطأ والصواب والحلال والحرام ويدعوها إلى المنهج الأقوم في هذه الحياة ولما كانت فطرة الإنسان ثابتة لم تتبدل ولم تتغير من إنسان لآخر فأبدان الناس في كل العصور مخلوقة بنظام واحد وتركيب واحد لا يختلف فيها بدن عن بدن سواء كان ذلك البدن في زمن أبي الأنبياء إبراهيم أو موسى أو عيسى أو محمد عليهم الصلاة والسلام أو في زمننا هذا الذي نعيشه فالحكمة من العين عند بني البشر واحدة في= = كل العصور والحكمة من الأنف واحدة والحكمة من الأذن واحدة لم تتغير وهكذا

كل عضو أو نسيج أو خلية لا يختلف من زمن لزمن ولا من بيئة لبيئة فهي فطرة واحدة وخلقة واحدة وكذا التركيب النفسي للبشر يقوم على أصول واحدة فكل إنسان فطر على الحب والكراهية والخوف والرجاء وهكذا في سائر أنشطة النفس البشرية فهي فطرة واحدة وخلقة واحدة للبدن والنفس لم تتغير ولم تتبدل على مر العصور ولما كان الدين قد جاء لهداية الإنسان على ما فطر عليه في نفسه وبدنه والفطرة لم تتبدل فلا حاجة لدين جديد ما دامت الفطرة لم تتبدل كما قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:٣٠) ، لكن الظروف البيئية المحيطة بالإنسان قد تتغير من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان دون أن تتغير الفطرة البشرية وسيحتاج الإنسان عندئذٍ إلى تفاصيل لشؤون حياته تتناسب مع الصور المتغيرة لظروف الحياة والبيئة لكن تلك الصور التفصيلية لم تخرج عن القواعد الكلية التي توجه سلوك الإنسان إلى ما ينفعه وتدفع عنه ما يضره ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية بالقواعد الكلية لكل الأحوال البشرية وهي قابلة للاستجابة لكل الصور المختلفة في البيئات المختلفة والأزمنة المختلفة ، فالقتل جريمة سواء تم بحجر أو سيف أو رصاصة أو تيار كهربائي أو غاز يبعث على الضحك عند الموت وتلك الصور المختلفة لا تغير حقيقة الجريمة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم أمر الله أن تقوم على الشورى سواء تم ذلك في إجتماع للقبيلة أولأعضاء منتخبين في مجلس النواب وقد يتعرف الناس على الرأي في البلاد عن طريق الكتابة أو بواسطة الإستطلاعات الصحفية أوعن طريق الإستفتاء في مقرات خاصة وربما يكون في المستقبل عن طريق الهاتف أو الإنترنت أو أي وسيلة أخرى لكنها لاتخرج عن= =القاعدة أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم يجب أن تكون مؤسسة على قاعدة

الشورى ولعلم الله بحقيقة الفطرة البشرية تميزت الشريعة الإسلامية بالقواعد المرنة الشاملة لكل شئون الحياة والقادرة على الاستجابة لكل الصور المتجددة لكل زمان ومكان وكما هدى الله المسلمين إلى تلك القواعد ألزمهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد لاستنباط الأحكام التفصيلية للصور المتجددة من أحوالها ونظائرها في الشريعة التي دل عليها الكتاب والسنة ، فكما أن لتفصيل الثوب قواعد يراعيها الخياط من رقبة وأكمامٍ وطولٍ وعرض فإنها تختلف عند الخياط من شخص لآخر بحسب الطول والعرض والبدانة والنحافة وتختلف في مادتها بحسب الحر والبرد والغلاء والرخص ، لكنها لابد أن تكون خاضعة للقواعد العامة لتفصيل الثوب فلا يكون ثوباً بدون رقبة أو بدون أكمام ولايكون ثوباً دون أن يستر البدن طولاً وعرضاً ، وكذلك قواعد الشريعة يستنبط منها المجتهدون من الأحكام التفصيلية ما يتناسب مع الصور المتغيرة للبيئات والأزمنة المختلفة. ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم "إذا اجتهد الحاكم وأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر" رواه البخاري ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة ب/ أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٢٦٧٦/٦ برقم٦٩١٩ ، ومسلم ك/ الأقضية ب/ بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ١٣٤٢/٣ برقم١٧١٦ ، وأبو داود ٣٢٣/٢ برقم٣٥٧٤ ، والترمذي ٦١٥/٣ برقم١٣٢٦.

وأصول الدين واحدة عند جميع الرسل فيما يتعلق بالعقائد ومكارم الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ، قال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ)(آل عمران: ١٩) فدين الرسل واحد هو الإسلام ، لكن الشرائع اختلفت بسبب اختلاف البيئات والمستويات والظروف المحيطة بكل قوم من الأقوام فجعل الله لكل نبي = = شريعة تناسب قومهم وبيئتهم وظروفهم قال تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

والإنسان يجهل حقيقة روحه، والمستقبل الذي سيواجهه ، لذلك عجز الإنسان أن يضع تشريعات وقوانين دائمة تصلح لكل زمان ومكان، لكن الخالق سبحانه هو العليم بحقيقة خلق الإنسان، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٣] .

وهو المحيط علماً بما كان وما سيكون، ولذلك لا يمكن لبشر أن يأتي بشريعة ثابتة مرنة تتناسب مع كل زمان ومكان إلا إذا كان مرسلاً بها من عند ربه.

ولقد حكم المسلمون مشارق الأرض ومغاربها مئات السنين فكانت شريعة الإسلام صالحة للحكم طوال القرون في مختلف البيئات والأماكن.

ولقد فرضت شريعة الإسلام نفسها في زماننا هذا رغم ضعف أهلها، فجعلتها الأمم المتحدة مصدراً من مصادر القانون الدولي، مع أن القانون الروسي أو الأمريكي لا يعتبر أي منهما مصدراً من مصادر القانون الدولي .. ولقد شهد خبراء القانون الدولي (الأجانب) بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان.

وَمِنْهَاجاً)(المائدة : ٤٨) فهم في أصول الدين وقواعده متحدون وفي الشرائع والفروع متباينون بحسب اختلاف تفاصيل الظروف والأحوال وتفاصيل الحياة لكل أمة بعث فيها رسول .

قال الدكتور (إيزيكو انسابا توحين) أحد علماء القانون (إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة فهو يستطيع أن يتطـور دون أن يتضاءل في خلال القرون ويبقى محتفظاً بكامل ما له مـن قـوة الحيـاة والمرونة، فهو الذي أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً، وشريعته تفوق في كثيرٍ الشرائعَ الأوربية .

أما المؤتمر الدولي للقانون الذي انعقد في (لاهاي) عام ١٩٣٢ فهو الذي طالب عصبة الأمم أن تجعل الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القانون الدولي بعد أن اقتنع خبراء القانون الـدوليين بعظمـة الشـريعة الإسلامية، وفائدتها للناس في هذا الزمان .

وأما المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في بـاريس عـام ١٩٥٢م، فقد طلب من الجهات القانونية الدولية أن تسمح بانعقاد المؤتمر الدولي للفقه الإسلامي في كل سنة بدلاً من عقده في كل عشر سـنوات، وعللوا ذلك بأنهم يرغبون أن يتعلموا الفوائد الكثيرة من دراستهم للشريعة الإسلامية فقالوا في مؤتمرهم: (نظراً لما ثبت للمـؤتمرين مـن الفائـدة المحققة التي أتاحتها البحوث التي عرضت في خـلال أسـبوع (الفقـه الإسلامي) وما دار حول هذه البحوث من مناقشات أثبتت بجلاء أن (الفقه الإسلامي) يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا مريـة فـي نفعهـا، وإن اختلاف المبادئ في هذا الجهاز التشريعي الضخم منطوٍ على ثروة مـن

الآراء الفقهية، وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التي تتيح لهـذا الفقه أن يستجيب بمرونة هائلة لجميع مطالب الحياة الحديثة، فإن أعضاء المؤتمر يعلنون رغبتهم في أن يظل أسبوع الفقه الإسلامي يتابع أعمالـه سنة فسنة) .

فمن أين لأميٍ بعث منذ ألف وأربعمائة عام أن يأتي بهذا التشـريع لو لم يكن مرسلاً من عند ربه ؟

وعجباً للجهلة من المسلمين، الذين يريدون إلغاء الشـريعة الإلهيـة واستبدالها بالقوانين البشرية!!

فهـرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

والحمــد لله رب العالمـين ،،